الموسوعة الكونية الكبرى

آيات الله

في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان وفي البحار والمحيطات والأنهار

د. ماهر أحمد الصّوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة

قدّم للموسوعة

د. محمد سعيد رمضان البوطي

د. عكرمة سليم صبري — د. محمد جمعة سالم

د. فـاروق حمـادة — د. عبد المعطي البيومي



الموسوعة الكونية الكبرى

آيات الله

في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان وفي البحار والمحيطات والأنهار

د. ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة

قدّم لها:

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور عكرمة سليم صبري — الدكتور محمد جمعة سالم

الدكتور فاروق حمادة — الدكتور عبد المعطي البيومي

٧ - ٨



المكتبة العصرية

صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

Copyright© all rights reserved

جميع الحقوق محفوظة للناشر

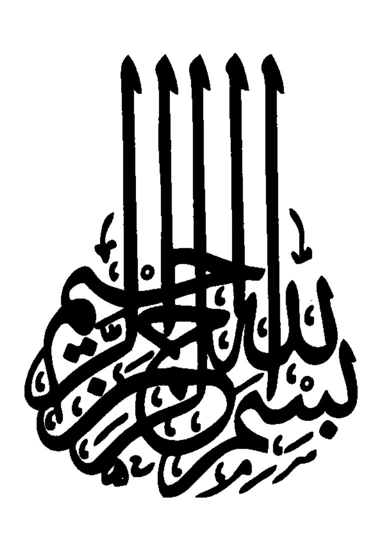
لا يجوز نسخ أو تسجيل أو إستعمال أي جزء من هذا الكتاب سواء كانت تصويرية أم الكترونية أم تسجيلية دون إذن خطي من الناشر.

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

IBSN 9953-34-787-5



آيَاتُ اللَّهِ

فِي نَشْأَةِ الحَيَاةِ عَلَى الأَرْضِ وَظُهُورِ الإِنْسَانِ
وَفِي البِحَارِ وَالمُحِيطَاتِ وَالأَنْهَارِ

الجُزْءُ السَّابِعُ



قدَّم
للموسوعة الكونية الكبرى
كل من السادة الأفاضل

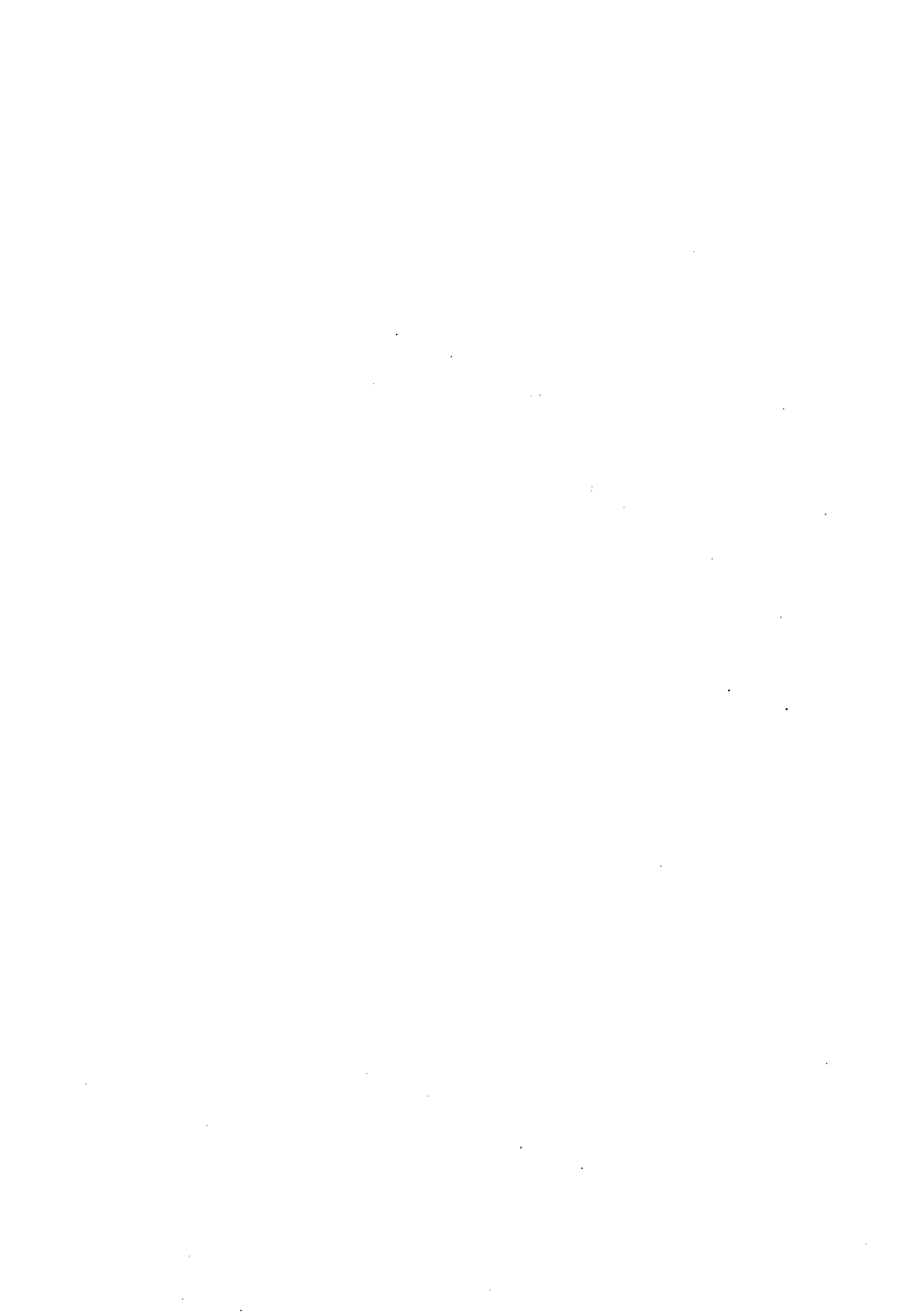
١ ـ الدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي ـ المفكر والداعية الإسلامي الكبير دمشق ـ سوريا .

٢ ـ الدكتور : عكرمة سليم صبري ـ خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدسة .

٣ ـ الدكتور : محمد جمعة سالم ـ وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف . دولة الإمارات العربية المتحدة .

٤ ـ الدكتور : فاروق حمادة ـ أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس المغرب ـ الرباط .

٥ ـ الدكتور : عبد المعطي البيومي ـ عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر ـ القاهرة جمهورية مصر العربية



أسماء وعناوين أجزاء
الموسوعة الكونية الكبرى

١ ـ الجزء الأول : آيات العلوم الكونية وفق أحدث الدراسات الفلكية .

٢ ـ الجزء الثاني : آيات العلوم الكونية وفق أحدث النظريات العلمية .

٣ ـ الجزء الثالث : آيات اللَّه في خلق الكون ونشأة الحياة .

٤ ـ الجزء الرابع : آيات اللَّه في السماء الدنيا والسماوات السبع .

٥ ـ الجزء الخامس : آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية .

٦ ـ الجزء السادس : آيات اللَّه في خلق الأرض وتأمين معايشها .

٧ ـ الجزء السابع : آيات اللَّه في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان .

٨ ـ الجزء الثامن : آيات اللَّه في البحار والمحيطات والأنهار .

٩ ـ الجزء التاسع : آيات اللَّه في الجبال والصحاري والغابات .

١٠ ـ الجزء العاشر : آيات اللَّه في النبات والثمار والأزهار والألوان .

١١ ـ **الجزء الحادي عشر** : آيات اللَّه في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها .

١٢ ـ **الجزء الثاني عشر** : آيات اللَّه في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات .

١٣ ـ **الجزء الثالث عشر** : آيات اللَّه في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل .

١٤ ـ **الجزء الرابع عشر** : آيات اللَّه في خلق الإنسان وبعثه وحسابه .

١٥ ـ **الجزء الخامس عشر** : آيات اللَّه في النوم والرؤى والأحلام ورؤية الاستخارة .

١٦ ـ **الجزء السادس عشر** : آيات اللَّه في الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم .

١٧ ـ **الجزء السابع عشر** : آيات اللَّه في الإعجاز التشريعي والغيبي في القرآن الكريم .

١٨ ـ **الجزء الثامن عشر** : آيات اللَّه في الإعجاز الرقمي والعددي وفواتح السور .

١٩ ـ **الجزء التاسع عشر** : آيات اللَّه في الموت ونهاية الكون .

٢٠ ـ **الجزء العشرون** : آيات اللَّه في قيام الساعة وبعث الخلائق وتبديل السماوات والأرض .

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

يقول تعالى:

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ .

[سورة فصلت، الآيتان: ٩، ١٠]

يقول تعالى:

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٠]

يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ .

[سورة الحجر، الآيتان: ٢٨، ٢٩]



حديث شريف

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«خلق اللَّه عزَّ وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلمَّا خلقه قال اذهب فسلِّم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. قال فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة اللَّه. قال فزادوه ورحمة اللَّه. قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن»

رواه مسلم.

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إذا مرَّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث اللَّه إليها ملكاً فصوَّرها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب! أذكرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب! رزقه! فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على أمر، ولا ينقص»

رواه مسلم



الإهداء

وهبت عملي:

إلى اللَّه تعالى.... ربنا ورب السماوات السبع والأراضين السبع، وما بينهما ورب الخلق أجمعين، الذي لا تضيع عنده الأعمال الصالحات، القائل في محكم كتابه:

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾.

والقائل: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

فتقبل مني إنك أنت العليم الخبير.

وإلى رسول اللَّه ﷺ الذي بيَّن لنا في أحاديثه الشريفة الكثير عن حقائق الخلق، ونشأة الكون وخلق السماوات والأرض، والإنسان، والحيوان، والنبات، والبحار، والأنهار، والجبال، والطب.... وبيَّن لنا كيف تكون نهاية الحياة، وانفطار السماوات، وقيام الساعة، وكيف يكون البعث والنشور والحشر، ويوم القيامة..

اللَّهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله صلاة أهل السماوات والأراضين، واجعلنا اللَّهم بالصلاة عليه من الفائزين، وبسنته من العاملين، وعلى حوضه من الواردين، وبشفاعته من الناجين، ومنه ومن آله وصحبه في جنات النعيم من المقربين.



هذه الموسوعة الكونيَة الكبرى

تشتمل في أجزائها العشرين على علوم جمعت أكثر من خمسين علماً فصلت القول فيها مستمداً العون من:

١ ـ كتاب اللَّه تعالى.

٢ ـ سنة رسول اللَّه ﷺ.

٣ ـ من كبار المفسرين لكتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ.

٤ ـ من العلوم والمعارف الإنسانية وفق أحدث النظريات العلمية الحديثة.

٥ ـ من الموسوعات العالمية والإسلامية والعربية.

٦ ـ من الموسوعات الشخصية لكبار الكتاب والمؤلفين المعاصرين.

٧ ـ كبار المفسرين والعلماء والباحثين والمفكرين.

٨ ـ وقد استمدت هذه الموسوعة الآراء والأفكار من ٢٦٩ عالماً وباحثاً في شتى العلوم والمعارف الإنسانية.

وقد تحدثت هذه الموسوعة عن خلق الكون، والأرض، ونشأة الحياة، وخلق الإنسان، والحيوان والطير والحشرات، والنبات، والنوم، والرؤى، والأحلام، وتحدثت عن الإعجاز في الأرض، والجبال، والبحار، والفضاء، وكذلك تحدثت عن الإعجاز التشريعي والغيبي، والرقمي، واللغوي، وآيات اللَّه في الرياح، والمطر، والبراكين.

وقد تحدثت عن نهاية الكون، والحياة، والموت، وقيام الساعة، والحشر، وتبديل السماوات، والأرض.





تقديم

بقلم
المفكر والداعية الإسلامي الكبير
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
دمشق ـ سوريا

«الموسوعة الكونية الكبرى»!!

استوقفني هذا العنوان.. وسألت نفسي: من الذي يملك أن يضع موسوعة علمية عن الكون كله؟... وهل الكون إلا معجم لكلمات اللّه؟.. ألم يقل اللّه تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾.

إذاً، فلا بد أن يستنفد الباحث الجليل الشيخ ماهر، مياه البحار كلها، مداداً لرسم الكلمات الكونية كلها، مترجمة إلى ظواهر علمية!!.. ولكن أفيمكن هذا؟!..

غير أني نظرت، وأنا أستعرض من هذه الموسوعة بعض أجزائها العشرين، وإذا الباحث حفظه اللّه ينظم من عناوين هذا الكتاب الكوني وحدها هذه الموسوعة الشاملة الكبرى.. ترى ماذا سيكون حجم عمله لو حاول أن يعرض لما تحت العناوين؟..

ومع ذلك، فممّا لا ريب فيه أن إنشاء موسوعة كونية من هذه العناوين وحدها، يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل، وعرض لكل ما يقال اليوم وقيل بالأمس عنها... غير أن التوفيق الذي حالف باحثنا العالم النشيط عندما أخرج لنا «موسوعة الآخرة» سيكون رفيقه إن شاء اللّه في رحلته الكونية هذه.

العقبة التي أود أن أذكِّر أخي الشيخ ماهر بها، وهو ماضٍ في رحلته العلمية

الفريدة هذه، هي: أنه سيجد الباحثين العلميين الأجانب، لم يتركوا ظاهرة كونية، في سماء اللَّه وأرضه وبحاره، وفي غابر الأزمنة ومستقبلها، إلا وأدلوا بتقرير (علمي) حسب قناعاتهم بشأنها، فيتلقفها الناس أَو جُلُّهم على أنها حقائق علمية ثابتة. ولا ريب أن هذا التعميم في الحكم ينطوي على خطأ كبير.

إن قرار «**المنهج العلمي لمعرفة الحقائق**» يقول: إن الظواهر الكونية المادية الخاضعة للتجربة والمشاهدة، لا يمكن أن يتم الوصول إلى يقين علمي بشأنها إلا عن طريق التجربة والمشاهدة.. وأقول: إن هذا ممكن وميسور لا سيما في هذا العصر الذي تكاثرت وتطورت فيه أجهزة المشاهدة والتجربة.. أما حقائق الماضي السحيق أو المستقبل البعيد، فهي من الغيب الذي لا سبيل إلى العلم به إلا عن طريق الاعتماد على الخبر الصادق بشروطه العلمية المعروفة.

غير أن الغربيين اليوم يقتحمون بأفكارهم ظلمات الماضي واحتمالات المستقبل، وينسجون من تخيلاتهم التي يعودون بها، ما قد يجزمون بأنه من الحقائق العلمية، كحكمهم الغيبي بأن الكون قد انبثق أيام كان معدوماً من **الانفجار الأعظم**، وكقرار كثير منهم بأن الإنسان كان ينتمي إلى فصيلة حيوانية أقل شأناً، ثم تطور صعداً تحت سلطان قانون البقاء للأصلح، وكالتوقعات المستقبلية المتعلقة بالفلك ومصير الأرض والإنسان.. فهذه الأحكام وأمثالها لا تعلو فوق درجة الفرضيات أو النظريات. ومن ثم لا يجوز اتخاذها سنداً في تفسير أو تأويل شيء من كلام اللَّه عز وجل عن الكون في القرآن.

إن المأمول أن يكون لهذه الموسوعة صدى إيجابي كبير في الأوساط العلمية والإسلامية، إن سار باحثنا الجليل في رحلته العلمية الموسوعية هذه، ملتزماً قواعد منهج البحث عن الحقيقة، واضعاً الأحكام الغربية المتسرعة عن غيبيات الكون تحت مجهر النقد. وذلك من واقع اهتماماته العلمية ونشاطاته الفكرية وغيرته الدينية.

واللَّه ولي التوفيق.

الدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
الدكتور عكرمة بن سليم صبري
خطيب المسجد الأقصى
والمفتي العام للقدس والديار المقدسة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين المبجلين وصحابته الغر الميامين المحجّلين، ومن تبعهم وسار على دربهم واقتفى أثرهم وسن سنتهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني أمام موسوعة كبيرة في حجمها، غزيرة في معانيها، عميقة في أفكارها، إيمانية في توجهاتها، إنها تجسد جهداً مباركاً فتحه اللّه رب العزة للأخ الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي حفظه اللّه ورعاه، وزاده بسطة في العلم وما حواه، وجعل الجنة مأواه.

وحينما تمعنت في هذه الموسوعة الزاخرة أيقنت أن أمتنا الإسلامية لم تمت ولم تسترخ بل فيها رجال وعلماء يبحثون وينقبون في كنوز القرآن التي لا ينضب معينها.

فهذه الموسوعة الكونية لم تترك شاردة ولا واردة تتعلق بالآيات الكونية في القرآن الكريم إلا تناولتها للدلالة على عظمة الخالق رب العالمين وقدرته على تيسير الكون وتنظيمه، هذا الكون الذي يسبِّح للّه عز وجل ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاء ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

هذه (الموسوعة الكونية الكبرى) التي ضمت بين دفتيها عشرين جزءاً بموضوعات متعددة ومتنوعة ومتناسقة ومتكاملة تبرز فيها آيات اللّه عز وجل

وقدرته في أكبر أجرام الكون وتتجلى في أصغر مخلوقاته، سبحانك يا رب ما أعظم قدرك وما أعلى شأنك.

وأرى أن هذا العمل الكبير غير مسبوق في تعداد أجزائه، وتنسيق معلوماته، واشتماله على كثير من العلوم الموثوقة منذ خلق اللّه السماوات والأرض، إلى نهاية الكون وقيام الساعة، وفق أحدث النظريات العلمية المعاصرة.

وإنّه لَمِن البديهيات أن التفكر في نظام الكون وفي مخلوقاته هو عبادة من العبادات، لأنها تقود إلى إيمان فوق إيمان، وإلى يقين فوق يقين.

وعليه فإني أوصي كل إنسان مثقف، مسلماً كان أو غير مسلم، أن يقتني هذه الموسوعة العظيمة ليزداد المسلم إيماناً ومعرفة، ولينشرح صدر غير المسلم للإيمان وقلبه للإسلام.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول: **جزى اللّه الأخ الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي على إخراج هذه الموسوعة الكبيرة خير الجزاء**، وأسأله عز وجل أن يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم وأن تكون في ميزان حسناته:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩]

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد للّه رب العالمين.

الدكتور: عكرمة بن سليم صبري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
الدكتور محمد جمعة سالم
وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبو ظبي

الحمد للَّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً وجعل القرآن هداية ونوراً وبشّر فيه عباده الصالحين أن لهم من اللَّه أجراً عظيماً، ورفع فيه ذكر الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات فضلاً منه ورحمة وتكريماً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى اللَّه بإذنه وسراجاً منيراً. . . فالقرآن الكريم آيات بينات جعله اللَّه سبحانه تبياناً لكل شيء بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة النحل، الآية: ٨٩]

فقد نهل منه المفسرون والعلماء على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان مادة أصيلة لكتبهم وعلومهم ومؤلفاتهم، وبذلك تفرعت منه عشرات الآلاف من الكتب تنهل من معينه وعلمه وإعجازه وما أودعه اللَّه فيه من علم الأولين والآخرين ولم يبق علم من العلوم إلا استقى مادته واستشهد من هذا الكتاب العظيم فقهاً وتشريعاً وتفسيراً وعلماً، فهو الكتاب الذي أنزله اللَّه سبحانه بعلمه ليكون منظماً لحياة الناس في شؤون دينهم ودنياهم.

قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦]

ولا شك أن القرآن الكريم لما نزل على سيدنا محمد ﷺ نقل البشرية نقلة كبيرة حيث أخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والعلم بما تحتويه آياته الكريمة من إشارات علمية عن هذا الكون العظيم. . . وكانت هذه الإشارات

العلمية مفتاح العلوم والدراسات ومنذ العصور المتقدمة، وعمد مفسرونا السابقون إلى تفسير هذه الإشارات العلمية القرآنية بما آتاهم اللّه سبحانه من علم فمنهم من برع في علوم التفسير خاصة في الآيات الكونية والإشارات العلمية كالإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير المسمّى بمفاتيح الغيب ولكن الحركة العلمية لتفسير آيات الإعجاز العلمي في القرآن لم تبدأ فعلياً إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين. وذلك بعد التطور الكبير الذي شهدته العلوم الحديثة والاكتشافات الكونية في شتى أنحاء العالم، وقد شجعت هذه الاكتشافات العلمية الحديثة في الكون والتي وافقت ما ذُكِر في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، لذا سارع العلماء والكتاب والمفسرون إلى شرح وبيان إعجاز هذه الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكون والأرض والإنسان والجبال والنبات والحيوان، وكثرت هذه المؤلفات وتعددت مناهجها وسبل طرحها وتفسيرها واستشهادها بالنظريات العلمية الحديثة وكلها تؤكد بالحجة والبرهان والعلم والعقل أن هذا القرآن هو من عند اللّه سبحانه، وقد سارع المسلمون وخاصة في الآونة الأخيرة إلى مدارسة القرآن الكريم وتوسعوا في فهم علومه وبيانه وإعجازه ذلك أن اللّه سبحانه رفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات. يقول تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾

[سورة المجادلة، الآية: ١١]

ومن هذه المؤلفات ما تناول علماً واحداً كعلم السماء، ومنها ما تناول الإنسان، ومنها ما تناول النبات، أو الجبال، أو البحار ومن الكُتَّاب من جمع أكثر من علم في كتاب واحد، وجميع هذه المؤلفات جمعت ما بين إعجاز الآيات الكريمة والعلم الحديث وهذا أدى إلى تفاعل العلوم والتفسير فأصبحت هذه الكتب رافداً علمياً جيداً للمسلمين فمع بيان إعجاز اللّه سبحانه في كتابه جاءت التفصيلات العلمية وأحدث النظريات مثل تفسيرهم لقوله تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

استعرض المؤلفون علم النجوم، والكواكب، والمجرات، وجاؤوا بأحدث ما توصل إليه العلم في هذا المجال العلمي وكذلك تعرضوا لآيات

الإنسان، وآيات النبات، والحيوان والبحار، والمطر والرياح وغيرها كثير.

. . . . . ومن هؤلاء الذين شاركوا في هذا العلم وهذه المؤلفات العلمية الكونية وبيان إعجاز القرآن الكريم في الآيات الكونية الباحث ماهر أحمد الصوفي في موسوعته الجديدة غير المسبوقة **(الموسوعة الكونية الكبرى)** حيث وصل عدد أجزائها إلى عشرين جزءاً، والمطلع على عناوين هذه الموسوعة يجد أن هذه الموسوعة شملت أنواعاً كثيرة من العلوم حيث بدأ المؤلف هذه الأجزاء بآيات العلوم الكونية ثم آيات اللَّه في خلق الكون وآيات اللَّه في السماوات، ثم انتقل إلى آيات اللَّه في الأرض في خلقها وتأمين معايشها ونشأة الحياة عليها وظهور الإنسان، ثم انتقل الباحث المؤلف إلى آيات اللَّه في البحار والجبال والنبات والحيوان وممالك الطير والحشرات وكذلك آيات اللَّه في الرياح والأمطار ـ والأعاصير ـ وتحدث عن خلق الإنسان ـ والرؤى والأحلام وكذلك تحدث في الأجزاء الخمسة الأخيرة عن الإعجاز اللغوي والبياني والغيبي والتشريعي والإعجاز الرقمي والعددي وآخر الأجزاء تحدثت عن الموت ونهاية الكون والبعث والنشور وتبديل السموات والأرض التي بدأ الحديث عن خلقها في الأجزاء الأولى. . . حقاً إنها موسوعة نادرة وحديثة ولم يسبق إليها أحد في هذا المستوى العلمي والعددي وتنوع العلوم وبيان إعجاز آيات اللَّه سبحانه في هذا الكون العظيم من الذرة إلى المجرة ومن بداية الخلق إلى يوم القيامة.

أسأل اللَّه العظيم أن يكون هذا العمل خالصاً للَّه وابتغاء وجهه الكريم وأن يجعل له انتشاراً واسعاً في عالمنا الإسلامي كما نأمل من المؤلف أن يسعى إلى ترجمة هذا العمل الكبير إلى مختلف اللغات لتعم الفائدة جميع المسلمين على مختلف أقطارهم وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات المؤلف وكل من ساهم في هذه الموسوعة من مقدمين وعلماء ومدققين وناشرين، وجعل موعدهم الجنة أجمعين وصدق رسول اللَّه ﷺ إذ يقول: « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل اللَّه له طريقاً للجنة** » وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

الدكتور محمد جمعة سالم





تقديم

بقلم
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة
أستاذ السنة وعلومها
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب

الحمد للّه رب العالمين ـ والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد اللّه، وعلى آله الطيبين، وصحابته الغُرّ الميامين ـ أما بعد:

أخي العزيز الطَّلعة الأستاذ ماهر أحمد الصوفي ـ زادك اللّه توفيقاً، فقد اطلعت ـ وأنا على جناح سفر، وشغل بالٍ ـ على طرفٍ من كتابك المسمى «الموسوعة الكونية الكبرى» وليس هذا بأول أعمالك وفضائلك، فقد سعدت من قبل بكتابك النافع المتميِّز (موسوعة الآخرة). وها أنت تتبعه اليوم بموسوعة الكون ـ في وقت تعاظم فيه الحديث عن نتائج العلوم وخطواتها الواسعة، وميادينها الشاسعة في دراسة الحياة، والكون ومظاهره، وشارك في هذه الدراسات كل شعوب الأرض ـ وإن كان ذلك بنسب مختلفة ـ من خلال مسيرة طويلة بدأت منذ آماد بعيدة، وهي متتابعة إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها.

وتقوى هذه المسيرة حيناً، وتضعف حيناً آخر. وقد وصل الدارسون إلى حقائق أصبحت قطعية، وأخرى لا زالت في حيز النظر والتخمين. وأخرى انكشف عُوارُها، وثبت خطؤها وبوارها.

لقد كان نزول القرآن الكريم منعطفاً عظيماً، ومحطة هامة في توجيه الإنسان للنظر في الكون ـ والحياة، فالكون بما فيه ـ دال على اللّه، هادٍ إلى

معرفته، مظهر لأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وهو خاشع خاضع، مسبِّح لبارئه.

لهذا كانت دعوة القرآن من أول يوم من نزوله. إلى التأمل فيه، وإدراك قوانينه، ومعرفة أحواله، وتقلباته، وأصنافه، ومتفقاته ومختلفاته. وقد بين لنا القرآن الكريم قواعد وحقائق عنه حتى لا يزلّ الإنسان ولا يتيه...

فمن كتاب اللَّه المنظور، ينتقل العاقل المتأمل الرشيد إلى كتاب اللَّه المسطور ليوقن بصدق الوحي، فيسمو بروحه وفكره إلى درجة الخاشعين المصدقين الذين تنطلق من حناجرهم ومشاعرهم ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

وإن النظر في كتاب اللَّه المسطور، والوقوف أمام آيات الكون خاصة، والنظر فيها بحقائق العلم، ويقينيات المعرفة المعاصرة ستكشف عن صدق هذا الكتاب العزيز. وأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فتزول غيومُ شكٍ وأوهامُ غفلةٍ رانت على بعض القلوب، وغشيت بعض العقول، كيف لا؟ واللَّه تعالى قد أخذ العهد على نفسه أنه سييسر للمكلفين هذه السبيل ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؟!

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وإنك بعملك هذا الذي قدمته أيها الأخ الباحث ماهر أحمد الصوفي في الموسوعة الكونية الكبرى ـ من ضمِّ الآيات ذات الموضوع الواحد، والعطف عليها بما توصلت إليه الدراسات العلمية في موضوعها، وخاصة تلك الدراسات التي أنجزها الباحثون في القرن العشرين للميلاد، قد أفدتَ فيه وأجدتَ.

وعملك هذا يأتي في السياق القرآني في الجمع بين الآيات المسطورة والمنظورة، وتثير بذلك وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني المستمر الدائم، المتنامي المتعاظم، وتثبت كذلك أنه لا يوجد في القرآن الكريم ـ على كثرة الدراسات وتنوعها في الكون والحياة ـ خطأ، أو تناقض، أو قصور.

وهذا جهد جليل في الدلالة على اللّه والهداية إليه وإقامة الحجة على الشاردين المعرضين تحت شعار العلم، وتقدمه، بمعطيات العلم وقطعياته بل وظنياته وفرضياته. مما يتعلق به المعرضون المدبرون وغيرهم.. **فهنيئاً لك بهذا الجهد العلمي الضخم الواسع**، ولكم كنت أتمنى أن يكون البحث في هذا الموضوع من كل مَنْ كتب فيه مركزاً مقصوراً على القطعي اليقيني ـ حتى لا تصبح آيات القرآن الكريم وتفسيرها في هذا الباب مهيعاً لا حدود له ولا ضوابط. وفي الختام أسأل اللّه تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، ويهدي به، وبغيره من الكتب التي ألفتها إلى الحق والصواب. وأن يرزقنا وإياك الإخلاص والسداد والرشاد في القول والعمل وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

وكتبه
خادم القرآن والسنة
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة





تقديم

بقلم
الدكتور عبد المعطي البيومي
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر ـ مصر

أرسل اللّه سبحانه الرسل، وأنزل الكتب، لترسم معالم المنهج الصحيح لرقي الإنسان المعرفي والثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ولتكون حياته البشرية على أتم ما يكون الكمال والسعادة في الحياة، وما بعد الحياة.

ولا يتم ذلك إلا باستيعاب الرسالات السماوية، وتدبر الكتب التي نزلت بها تدبراً يتسع به وعي الإنسان، لتحقق سعادته حين يتعقل كلية.

والقرآن الكريم نزل آخر الكتب السماوية ليفسر العالم وجوده ومظاهر الطبيعة فيه ليستطيع الإنسان تسخير كل ما في الكون، والانتفاع به. كما يقول تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٣]

ومن ثم اشتمل القرآن على آيات كونية وأخرى إنسانية، ولفت النظر إلى السماء والأرض والجبال والبحار والنبات والحيوان، ليشير إلى القوانين التي سخرت بمقتضاها هذه الأكوان، وحضَّ الإنسان على معرفة مفاتيح هذه القوانين، وسبب تسخير هذه الأكوان، ثم التوصل بها إلى معرفة الخالق لها، وإبداعه في خلقها.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٤٩]

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٢]

ولذلك توارد المفسرون منذ نزل القرآن الكريم على تفسير واكتشاف آياته الكونية وإعجازه العلمي، كل على حسب مستواه العلمي، ومستوى ثقافة عصره وإحاطته بمعاني آياته، وإلمامه بإنجازات عصره.

وكان الإمام «فخر الدين الرازي» من أشهر هؤلاء المفسرين الذين وقفوا على الآيات الكونية في القرآن الكريم فحاولوا مبكرين أن يفسروها في ضوء ثقافة عصرهم مطبقين ومتمثلين لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فكان تفسيره الجليل مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أكثر التفاسير وقوفاً عند الآيات الكونية وتأمل إعجاز الخالق وإعجاز القرآن معاً.

لكن القرآن نزل لكل العصور، ويكشف عن نفسه ومعاني آياته لكل الأجيال، في ضوء ما تحرز هذه الأجيال من الثقافة العلمية، وكذلك جاء بعد الرازي **الشيخ حسن العطار** من أوائل شيوخ الأزهر العظماء الذين تعرضوا لشرح الآيات الكونية، وجاء بعده **الشيخ طنطاوي جوهري** الذي توسع في شرح هذه الآيات الكونية، بأكثر ممَّا فعل الشيخ العطار وتوالت المحاولات.. حتى من الذين لم يدرسوا الثقافة الإسلامية دراسة مبكرة أو تخصصوا في علومها الدينية واللغوية، وكونهم تخصصوا في العلوم الكونية فعرفوا العلم، وقارنوا ما استطاعوا بين القرآن والعلم، ليكشفوا آيات الله في الكون، ويمكن أن يؤخذ هنا على سبيل المثال لا الحصر الدكتور «**موريس بوكاي**» في كتابه عن **حقائق العلم في ضوء الكتب المقدسة الثلاثة** بل إن الموضوع اتسع لغير المسلمين أحياناً كثيرة من أولئك الذين بهرهم القرآن بإعجازه في الإشارة إلى حقائق الكون وإشارات لا تخطئها الحقائق العلمية في عصر تقدم العلم واتساع آفاقه، حتى إن تقدم العلم واتساع آفاقه أيّد قضية القرآن وكشف توافق القرآن في تعبيره وإشاراته مع الحقائق التي اتفق عليها العلماء.

ومن ثم كان لدينا فريقان من الذين اهتموا بالآيات الكونية في القرآن الكريم:

١ ـ فريق متخصص في العلوم، مطلع على الآيات القرآنية، يفهمها في ضوء تخصصه العلمي، ويعرفها في ضوء العلم.

٢ ـ وفريق متخصص في الدراسات الإسلامية، مطلع على حقائق العلم، يفهمها في ضوء مقررات الإسلام وآيات القرآن، ويعرض حقائق العلم في ضوء هذه المقررات والآيات.

وهناك فارق ملحوظ بين الفريقين:

ذلك أن **«معالم الأمان»** أكثر توفراً لدى الفريق الثاني الذين استوعبوا الحقائق الدينية ويعرضون مقررات العلم في ضوئها لطول خبرتهم بالدراسات الإسلامية فإنتاجهم أكثر أماناً من الخطأ في المقارنة بين الإسلام والعلم، من الفريق الأول الذي قد تُؤَثِّر ثقافة بعضهم العلمية على حساب الحقائق الدينية.

وعلى كل حال، خطأ المتخصصين في الإسلام إن أخطؤوا في حقائق العلم، أهون من خطأ الدارسين للعلم ـ وإن حدث ـ في حقائق الإسلام. لأن الرصيد في العلم الشرعي يحمي الدارسين له أكثر مما يحمي المطلعين على هذا العلم الشرعي مجرد اطلاع دفعت إليه الرغبة أو الهواية التي انطلقت أساساً من العلم التجريبي ونصرته بالدين، بينما انطلقت رغبة الفريق الثاني من نصرة الدين بالعلم.

ولا يمنع من هذا الفارق ما قد يوجد من بعض هؤلاء وهؤلاء ممن نجحوا في المقارنة بين الدين والعلم، دون خطأ في الدين أو العلم.

... على أن العمل العلمي الضخم الذي بين أيدينا الآن لكاتبه الباحث ماهر أحمد الصوفي هو من الفريق الثاني حيث تخصص كاتبه في الدراسات الإسلامية وسبق له العمل الموسوعي في مجال الدين حيث قدم لقراء العربية **«موسوعة الآخرة»** من بداية أشراط الساعة حتى بلوغ أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، مع وصف موسع للجنة والنار وبهذا الاتساع والاستيعاب في البحث بدأ عمله العلمي الضخم بدراسة الكون منذ قوله تعالى:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ واستعرض البدايات المبكرة لعلم الفلك، وما جرى من خلق الكون بسماواته وأراضيه، وما في الكون من حياة وأحياء، وما فيه من بحار ومحيطات وأنهار، ومن جبال ووديان وصحاري وسهول وأدغال، ومن حيوان ونبات وألوان حتى بلغ أحدث النظريات، والحقائق العلمية في ساعة كتابة ما كتب في هذا العمل الكبير.

فهو بالإضافة إلى تخصصه الديني الذي يجعله أكثر أماناً من الخطأ لأنه يقف على حقائق العلم ويراها في ضوء الدين أكثر مما يرى المتخصص في العلم حقائق العلم، ويقرأ الآيات القرآنية في ضوء معارفه العلمية، فإنه يتوسع بهذه المرجعية الدينية المأخوذة في عرض المسائل العلمية على حقائق القرآن ولا يعرض ـ كما يفعل بعضهم ـ حقائق القرآن على مقررات العلم وهكذا اجتمع لهذا العمل العلمي الكبير عدة ميزات:

١ ـ **هذه المرجعية الدينية الأولى** التي أشرنا إليها، وهي مرجعية آمنة، وأمينة على حقائق الدين، يواكبها التزام بحقائق العلم الثابتة والأخبار العلمية الصحيحة.

٢ ـ **يقدم أحدث ما أنتج العلم** مع الأصالة فيما قرره الدين.

٣ ـ **يقدم بالمقارنة بين الدين والعلم في اتساق واضح**، لأنه يلتزم بالحقائق العلمية الثابتة التي لا تتغير حتى لا تتغير المفاهيم القرآنية بتغير بعض النظريات العلمية المتطورة دائماً، وقد يؤدي تطورها إلى تغيرها بالكلية، فلجوؤه إلى ثوابت العلم أنسب في تناول الموضوع حين يكون مقارنة مع ثوابت الدين.

٤ ـ **كل ذلك مع سهولة الأسلوب، وتبسيط العلم، وتيسير عرض حقائقه للقارئ. ولعل ذلك هو الذي دفع الباحث ماهر أحمد الصوفي كاتب هذه «الموسوعة الكونية الكبرى»** إلى عرض عمله العلمي بطريقة تختلف عن الموسوعات الأخرى التي تلتزم بالموضوعات وفق حروف الهجاء، مع ما يترتب على هذه الطريقة من عرض المعلومات المتفرقة المفككة فهي تحتاج إلى رابط بينها، لكن الطريقة التي اعتمد عليها الكاتب الباحث تقدم عرض الموضوعات تحت عنوان موضوعي يجمع شتات الموضوع

في عرض تاريخي علمي كأن يعرض المعلومات المتفرقة تحت عنوان آيات اللّه في السماء، أو آياته في البحار والمحيطات والأنهار، فذلك أجمع في عرضه لذهن القارئ وأكثر إفادة في ربط المعلومات في سياق واحد مفيد.

نرجو اللّه أن يجعل له ذلك في ميزانه، خدمة للدين والعلم، ومرضاة له، وتجلية لما احتوى عليه القرآن الكريم من وجوه الإعجاز في مجال الخلق والعلم على السواء.

الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي
عميد كلية أصول الدين ـ القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

... إن من أعظم ما خلق في هذا الكون هذا الكوكب الأزرق (كوكب الأرض)، رغم ضآلته وحجمه ومساحته أمام هذا الكون العظيم الذي لا يعرف بدايته ومنتهاه، وقد مضى أكثر من قرنين من الزمن ولا يزال الجدل قائماً حول كيفية نشأة الحياة على الأرض.. وكيف تفرد هذا الكوكب دون غيره بهذه الخواص والمميزات التي أهلته لأن يكون مكاناً صالحاً لنشأة الحياة عليه، من الخلية الحية الأولى، إلى ظهور الإنسان آخر المخلوقات خلقاً على الأرض، ولذلك خاض علماء الفلك والجيولوجيا وعلماء البيئة والفلسفة والرأي والاجتماعيات جدلاً طويلاً حول نشأة الحياة على الأرض، وكان أكثر الجدل حول وجود الإنسان درة هذه الأرض بل درة هذا الكون كلّه، لذلك كثرت النظريات حوله، منها ما كان وجودياً مثل نظرية داروين الذي أرجع وجود الإنسان إلى أنه كان فصيلة من فصائل القرود تتطورت خلال مئات الآلآف من الأعوام إلى أن آل إليه حاله إلى هذه الصورة التي نشاهده عليها اليوم.. هذه النظرية وجودية تنفي خلق الإنسان كما بين اللَّه سبحانه لنا في كثير من سور القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾

[سورة الحجر، الآيتان: ٢٨، ٢٩]

.. نظرية داروين نُقضت نَقضاً شديداً من معاصريه، وقد أثبت العلماء فيما بعد خطأها، وقالوا إن أي كائن حي لا يتطور من كائن حي آخر فلكل نوع شيفرته وحمضه النووي وميزاته وتفرده.. وكما

اختلفوا في نشأة الإنسان، اختلفوا في بداية نشأة الحياة وتعاقبها خلال عمر كوكب الأرض والذي بلغ حتى الآن ٤,٥ أربع مليارات ونصف مليار سنة، وهو رقم شبه متفق عليه من العلماء.... ذلك أنَّ هناك حياة نشأت وقامت واستمرت فترة طويلة جداً من الزمن وهي أكثر عمر الأرض البالغ ٤,٥ أربع مليارات ونصف مليار سنة، ذلك أن عمر الإنسان بالنسبة لعمر الأرض قصير جداً، ففي أكثر النظريات رجوعاً في الزمن بالنسبة لعمر الإنسان لا تتجاوز مليون سنة، ونسبة المليون سنة بالنسبة لـ ٤٥٠٠ مليون سنة عمر الأرض لا شيء يذكر.... ولكن الإنسان وبكل تلك العلوم التي توصل إليها لم يستطع أن يتعمق إلى أكثر من ٦٠٠ مليون سنة مضت من عمر الأرض وهي تقدير عمر المستحدثات التي وجدوها في الصخور.. أي أن هنالك ٤ مليارات سنة من عمر الأرض لا يزال مجهولاً، وإن توصلوا إلى بعض النظريات حول نشأة الحياة على الأرض، وكيف تطورت إلى أن وصلت أخيراً إلى الإنسان.. فعمر الإنسان قصير جداً لعمر الأرض، وعمر الإنسان الفرد قصير جداً أمام هذا الزمن الطويل.. وكيف وجد الإنسان؟ ومن أوجده؟ ولماذا تأخر ظهوره إلى هذا الزمن المتأخر من عمر الأرض إلى كثير من التساؤلات التي لا تنتهي، وكلٌّ أدلى بدلوه، سواء من الفكر المسيحي، والتوراتي، والإسلامي، والوجودي.. ومهما طال الزمن وتعددت النظريات فليس من نظرية أصدق مما جاء به القرآن الكريم.. ومن أصدق من اللَّه حديثاً.. قد بسط اللَّه سبحانه الحديث في القرآن الكريم عن خلق الإنسان وخلافته فيها وتسخير السماوات والأرض له، وكذلك بيّن اللَّه سبحانه أن سبب وجود الإنسان هو العبادة والطاعة والابتلاء والامتحان يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾

[سورة الملك، الآية: ٢]

وقد جعل اللَّه سبحانه نهاية الكون كله مرهون بنهاية حياة الإنسان على الأرض، وفي هذا دلالة قاطعة على تكريم اللَّه للإنسان، وأنه سخر له ما في

السماوات والأرض، فإذا ما انتهت حياة الإنسان على الأرض، وذلك بعلم اللَّه سبحانه قبض إليه سبحانه هذا الكون العظيم الذي سخره للإنسان يقول تـعـالـى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

وأرجو اللَّه سبحانه أن يكون هذا الجزء نافعاً ومفيداً واللَّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

د. ماهر أحمد الصوفي



الفصل الأول

١ ـ نشأة الحياة على الأرض.

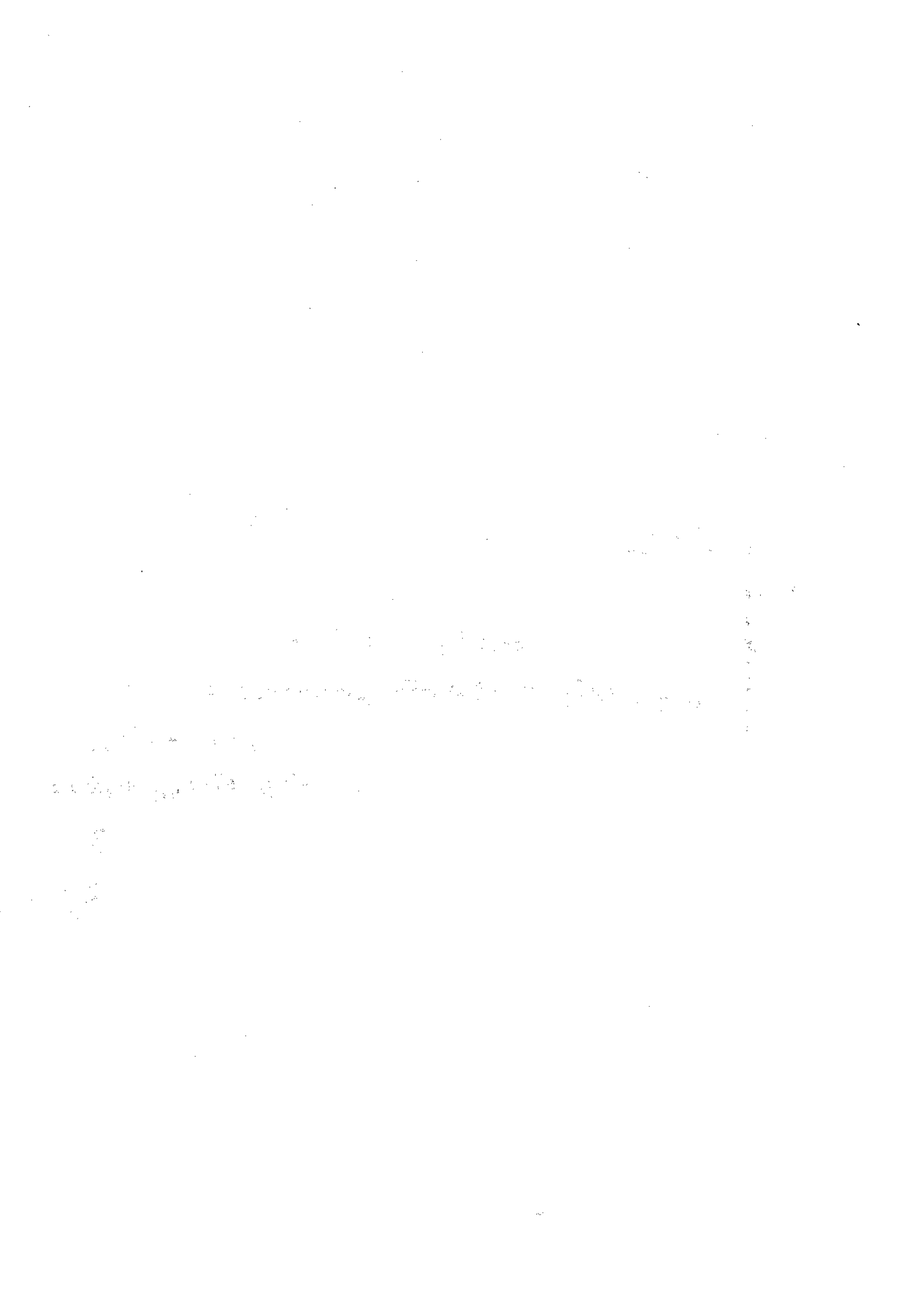
٢ ـ الحياة على الأرض قبل الإنسان.

٣ ـ ظهور الإنسان على الأرض، واختلاف نظريات العلماء حول وجوده.

٤ ـ الجدل حول حقيقة الإنسان وسر وجوده.

٥ ـ قصة الخلق كما وردت في التوراة، وماذا قال عنها موريس بوكاي.

٦ ـ نظرية الخلق في الفكر الإسلامي.



نشأة الحياة على الأرض

قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

. . . هذا القول خطاب للعقلاء وهم البشر على الأرض كي يسيروا في أرجاء الأرض ومسالكها، وينظروا إلى جبالها وبحارها وأنهارها وتربتها وصخورها ووديانها وتلالها وبحيراتها وينابيعها، وما أودع اللّه فيها من خيرات تحت ثراها حتى يستدلوا على الصانع الذي صنع والمتقن الذي أتقن ويهديهم إلى الخالق الذي خلق.

إن الأرض هي المادة الوحيدة الملموسة بين أيدي الناس ويستطيعون أن يتحسسوا كل ما فيها، وهذه الآية الكريمة ليست للناس وقت نزول القرآن فحسب بل هي لكل الناس، ولكل زمان، وفي كل مكان حتى يرث اللّه سبحانه الأرض ومن عليها والسماء ومن فيها، لأن كل جيل من الناس يستطيع أن يلتمس شيئاً من هذه الآية ويفهمها بمفهومه المعاصر، فرؤية الصحراء وما فيها وعظيم خلقها توحي إلى خالق قد خلق، ورؤية الجبال وعظمة شموخها توحي إلى الواحد الأحد، ورؤية البحار وما خلق اللّه في أعماقها تدل على الصانع الذي صنع، ورؤية الأنهار التي جعل اللّه لها مجرى تجري فيه، ويستفيد الإنسان منها في كل مكان وتوصل له المياه إلى حيث يعيش في هذه الأرض، تدل على صبغة اللّه ومن أحسن من اللّه صبغة، ثم الغابات، وكذلك الهواء والشمس التي تشرق على الأرض والقمر الذي ينير الأرض في الليالي الظلماء وهذه الأشجار والنباتات والخضار والثمار والمطر والصواعق والرعد والبرق والعواصف والبراكين والزلازل كلها تدل على إله واحد فرد صمد.

. . . نعم سيروا في الأرض أيها الناس ودعوا عقولكم ترشدكم إلى وحدانية اللّه وقدرته وعظمته.

. . . هذه الآية الكريمة ليست لعرب الجزيرة العربية بل لخلق اللّه جميعاً، فاللّه سبحانه يعلم أنه سيأتي يوم يُري خلقه آياته في سمائه وأرضه، ويعلم أن البشرية ستتطور ويكون هناك آلات ميكانيكية جبارة وعلم جيولوجي متقدم، وأجهزة دقيقة تبحث في كل شيء وفي أي شيء على هذه الأرض. . . تساعدهم على معرفة كيف بدأ اللّه الخلق وكيف نشأت الحياة على هذه الأرض، وسيدركون أن عملية الخلق ليست سهلة بل دقيقة ووفق نظام هندسي مصمم من خالق عليم وخبير، فاللّه سبحانه أنعم علينا نحن أبناء هذا الجيل بهذا التطور التكنولوجي الكبير فعرفنا بفضل اللّه سبحانه الكثير. . والله سبحانه يعلم عندما يخاطب الإنسان في كتابه الكريم أن الإنسان سيصل بفضل عقله الذي خلقه اللّه سبحانه إلى علم متقدم جداً عن عملية نشأة الحياة على هذه الأرض، واللّه سبحانه يعلم أن الإنسان سيسير في هذه الأرض، ويتعرف على كل ذرة فيها، ومنها سيعلم كيف بدأ اللّه سبحانه الخلق فيزداد علماً ويزداد يقيناً بوجود الخالق، لأنه لا يمكن لهذه الأرض التي نعيش عليها والتي جهز اللّه سبحانه وأعد فيها كل ما يلزم وبكل دقة كي يعيش الإنسان على سطحها آمناً، فلقد أوجد اللّه سبحانه له كل ما يلزمه لإتمام مسيرة حياته، وقد قدمت في آيات كثيرة عن نعم اللّه على عباده في هذه الأرض فلنرحل في أرض اللّه سبحانه وما خلق فيها، وكيف نشأت الحياة قبل الإنسان ومنذ ٤,٥ أربع مليارات ونصف مليار سنة، ثم ننتقل إلى عالم خلق الإنسان على الأرض، وكيف خلق؟ ومتى خلق؟ وفي أي مرحلة من مراحل عمر الأرض خلق الإنسان؟ وهل عمر الإنسان على الأرض ملايين السنين أم مئات الآلاف أم عشرات الآلاف أم بضعة آلاف؟.

. . . ونحن لا نستطيع أن ندخل مدخل نشأة الحياة على الأرض بدقة وتفصيل، لأن هذا يحتاج منا إلى مجلد ضخم، فتطور الحياة خلال أربع مليارات ونصف مليار سنة ومتابعتها بكل دقة وتفصيل أمر

كبير جداً، لذلك نذكر بإيجاز تطور الحياة على الأرض، لننفذ أمر الله سبحانه في الآية الكريمة ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

... تعتبر مسألة الحياة مسألة كيمياء عضوية، أساسها مركبات الكربون والتي تم تكوينها وترتيب ذراتها وجزيئاتها برهافة ودقة، استمرت نحو أربع مليارات ونصف مليار سنة. فالحياة الأولى للمخلوقات نشأت على الأرض، وتطورت من مواد كيميائية كانت تملأ الجو والمحيطات للكوكب الأرضي، وذلك في السنوات المبكرة من وجوده، والحقائق التالية توحي بتلك الفرضية:

١ ـ إن كل العضويات الحية على وجه الأرض تعتمد على نوعين من الجزيئات الأساسية للحياة، وهي الأحماض الآمينية والنيوكليوتيدات.

٢ ـ قام بعض الكيميائيين بصنع تلك القطع الجزئية البانية للحياة في المختبر، وذلك من غازات كان يعتقد أنها ملأت الأرض في بداية نشأتها.

٣ ـ اكتشاف العلماء لجسم صغير جداً يشكل مرحلة وسط بين نواة الذرات والجزيئات وبين العضويات المعقدة في عالم الأحياء وهو الفيروس، وهو يقع على الحدود بين المادة الميتة والحية. كأن ذلك يوحي بأن الحياة تطورت من مواد كيميائية غير حية وأنها خرجت من الموت ومصير العضويات الحية هو الموت.

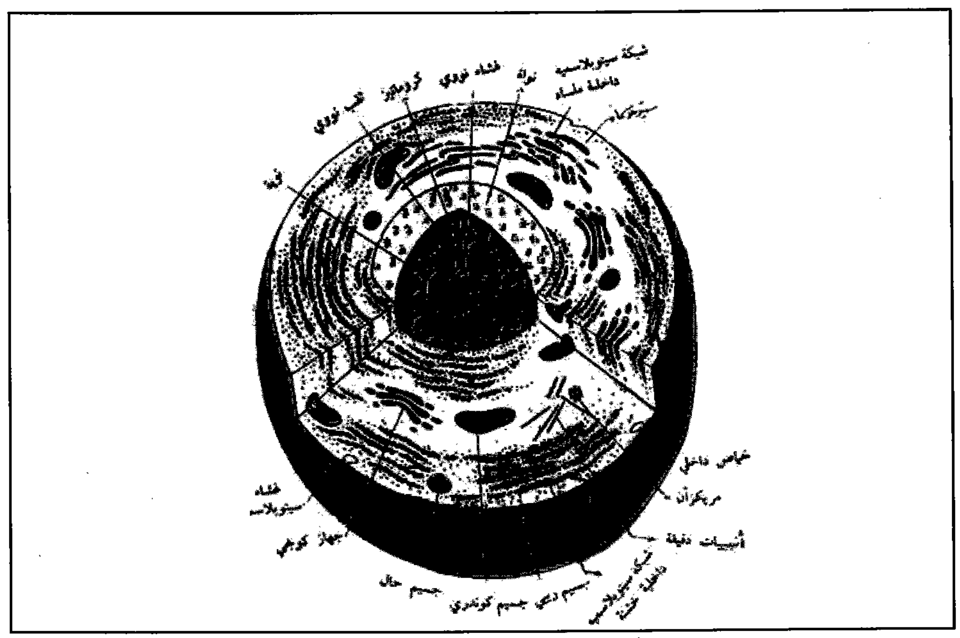
إن قصة الحياة على الأرض يمكن أن تكون فريدة من نوعها في مجرة درب التبانة كلها. فالأرض تشكلت من تكاثف الغاز والغبار الموجودين بين المجرات من ٤,٥ مليار ونصف مليار سنة ومن سجل الأحافير نستطيع أن نعرف أن الحياة نشأت بعد ذلك فوراً، أي قبل حوالي ٤,٥ مليار سنة وحدث ذلك قبل فقدان غاز الهيدروجين من جو الأرض. **وإليك تلك القصة**.

إن ما حدث على الأرض قد يكون نموذجاً لتطور الحياة على أي كوكب آخر. ففي الأيام الأولى من حياة الأرض كان البرق يومض في جوها الغازي مؤدياً إلى حدوث تفاعلات واتحادات كيميائية بين مكوناته الغازية. وانحلت النواتج الكيميائية المتولدة في المحيطات مشكلة نوعاً من الحساء متزايداً في تعقيده وتركيزه مع مرور الزمن. فكان ذلك هو الجد الأعلى للدنا، وكان ذلك قبل قرابة أربع مليارات سنة، ثم أخذت بعض من تلك الجزيئات تنتج جزيئات غيرها وبعملية تكاثر غير تام من جيل إلى آخر. لأنه لم تكن الأجيال الناتجة نسخاً تامة عن والديها وأشقائها. وسبب الفروق بينها يعود إلى تزايد التلاؤم والتكيف بين العضوية الوليدة آنذاك والوسط المحيط بها، أي مع البيئة التي وجدت فيها ومع استمرارية الإنتاج والتغير الإحيائي (الطفرة).

وبروز قانون الاصطفاء الطبيعي جعل التطور يتقدم دوماً نحو التعقيد والتخصيص. **هكذا ظهرت الخلية الحية الأولى**، فكانت الأب الشرعي لجميع الكائنات الحية، وكانت عبارة عن كائن دقيق جداً وبَسيط يشكل نطفة من البروتوبلازما (**الهيولى**) مكونة من خلية واحدة لم تتخصص بعد وتشبه الأميبيا التي نراها بالمجهر، وكانت تتكاثر بالانقسام فلا تشيخ ولا تموت بل تنقسم.

ـ الخلية الحية النباتية الأولى:

وجد منها نوعان في ذلك الزمان. أحدهما تميز بوجود مصانع صغيرة في بنيانها تدعى حبيبات اليخضور (**كلوروبلاست**) أو (**الكلوروفيل**) ، حيث كانت تقوم تلك الحبيبات بامتصاص غاز الكربون من الجو، وتمتص الماء من الأرض صانعة فحوماً هيدروجينية تتغذى بها الخلية، ومخزنة جزءاً منها. وتطلق خلال هذا التفاعل غاز الأوكسجين إلى الجو كأحد نواتج التفاعل الحيوي الذي قامت به حبيبات اليخضور. وكان ذلك يحدث في ساعات النهار فقط. وعرف منها بقايا نباتية وحيدة الخلية تدعى بالأشنيات المخبرية والطحالب.



هكذا بدأت الحياة من الخلية الأولى والصورة توضح

رسماً واضحاً للخلية الحية التي منها خلقت الخلائق. صورة بالمجهر الإلكتروني

ـ الخلية الحية الحيوانية الأولى:

هي نوع آخر من الخلايا الحية وكانت تتضمن على نوع آخر من الجسيمات الصانعة تدعى(**ميتوكندوربة**)، يحدث فيها اتحاد للغذاء مع الأوكسجين الممتص من الجو لاستخراج الطاقة الضرورية لاستمرارية الحياة، وغذاؤها هو الفحوم الهيدروجينية ذاتها المختزنة في النباتات، وكانت تلك الخلايا الحية حرة مستقلة، أمكن التعرف على بعض منها مما تركته من آثار الصخور القديمة المتصلة، وعرف منها بقايا حيوانية هي عبارة عن أصداف لبعض العضويات تشبه البكتريا. فجو الأرض الأولي، كان بشكل عام مكوناً من بخار ماء وغازات منطلقة من البراكين، وكان ذلك الجو شفافاً وأكثر نفوذاً للإشعاعات الكهرطيسية ذات الأطوال الموجية فوق البنفسجية الواردة من الشمس. وبينت قياسات التوابع الأرضية والمركبات الفضائية أن ذلك الإشعاع مميت وقاتل لكل أنواع الحياة. كما أنه يمنع تطور الحياة على اليابسة وفي مياه المحيطات ولعمق حوالي ثلاثين قدماً فيها. وأنه في تلك

الآونة وقبل زيادة المحتوى الأوكسجيني تطورت الحياة فقط في أسفل البحيرات العميقة والدافئة وبجوار الاندفاعات والنوافير البركانية داخل المحيطات، حيث تطورت أشكال صغيرة من الطحالب والبكتريا. **وسجلت الأحافير مثل تلك الأشكال الحياتية القديمة**، فمن تحليل حبات غبار الطلع لبعض النباتات القديمة التي وجدت ضمن طبقات الأرض، أمكن معرفة الكثير عن البيئة التي كانت تعيش فيها تلك النباتات.



صورة تقريبية تمثل بداية الحياة على كوكب الأرض النبات والماء قبل الحيوان والإنسان

وهكذا نجد أنه وفق نظرية (بيركنر ومارشال) أن نباتات الأعماق هي التي أنتجت غاز الأوكسجين وأدخلته تدريجياً في الغلاف الجوي الأرضي وبواسطة عملية التمثيل الضوئي، حيث امتص النبات غاز الكربون، واحتفظ به بشكل مركبات **هيدروكربونية**، وأطلق الأوكسجين الذي تراكم في الهواء الجوي، وكان تركيزه آنذاك حوالي واحد بالمئة من تركيزه الحالي في جونا. ومنذ ذلك الوقت صار يقوم بعملية ترشيح ومنع الأشعة فوق البنفسجية المميتة من وصولها سطح الأرض.

واقتصر اختراقها لمسافة عدة سنتيمترات فقط في ماء المحيطات، لهذا حدث أول انفجار تطوري عظيم وبشكل مفاجئ منذ حوالي ٦٠٠ مليون سنة، **إذ تطورت فجأة أشكال لا حصر لها من الأحياء النباتية والحيوانية**، مما زاد في كمية غاز الأوكسجين أكثر. ثم تلا ذلك انفجار ثانٍ قبل حوالي ٤٠٠ مليون سنة مضت، ظهرت بعدها أشكال حياتية ومخلوقات تتنفس الهواء الجوي، والغابات الضخمة في فترة **العصر الكربوني**، وهذه بدورها انتجت كثيراً من غاز الأوكسجين بواسطة عملية التركيب الضوئي، **وكان الهواء آنذاك أغنى بالأوكسجين منه الآن بحوالي عشر مرات**، ورافق ذلك اختصار لغاز الكربون من الجو، وضاع ما يدعى بمفعول البيت الزجاجي **(أو البيت الأخضر)** (Green house effect) لغاز أوكسيد الكربون (CO) فقد كان هذا المفعول يقتنص حرارة أشعة الشمس، ويمنعها من العودة إلى الفضاء الخارجي، فبدأت عصور جليدية نتيجة لضياع هذا المفعول من جو الأرض. والجليد بدوره خفض عملية التركيب الضوئي في النباتات وبشكل متزايد ثم أوقفها كلياً. نتج عن ذلك انخفاض لسوية غاز الكربون الجوي، وكذلك انخفض انطلاق غاز الأوكسجين. فعاد مفعول البيت الزجاجي بالتزايد، واستمر ذلك حتى تم التوصل إلى حالة من التوازن بين هذين المفعولين.

جعلت هذه النظرية العلماء ينظرون نظرة جديدة لقصة التطور والانفجارات المتطورة فقد توصلوا لأداة فعالة في تفسير تلك الظواهر استناداً لدور الأوكسجين الحيوي بعد أن كان الجو غنياً بالهيدروجين فقد صار غنياً بالأوكسجين الحيوي. يميل غاز الأكسجين إلى تحطيم الجزيئات وأكسدتها وهو سام لبعض العضويات الحية، والتحول إلى الجو الغني بالأوكسجين سبب هلاك عدد كبير منها، تلك التي لم تستطع التكيف والتلاؤم معه. لكن بعض العضويات الحية استطاعت النضال من أجل البقاء ونجحت في ذلك وما زالت موجودة حتى يومنا هذا، رغم الجو الأوكسجيني المعادي لها، **ومن أمثلتها عصيات الكزاز**.

إن الجزء الأكبر من الهواء يتكون من غاز الآزوت، وهو غاز خامل كيميائياً، كما أنه مغذ وداعم للحياة وهو أكثر رقة ولطافة من غاز الأوكسجين. يتكون جو الأرض من غازات عدة، حيث يشكل غازي الأوكسجين والنتروجين ٩٩٪ منها وهما من أصل حيوي فالكائنات الحية كونت الجو الغازي الملائم لتنفسها ووجودها. فالنبات ينتج غاز(O_2) يصلح

لتنفس الحيوان، وبالعكس، فإن الحيوانات تنتج غاز (CO_2) يستخدمه النبات لتنفسه، **وكم هو عظيم ذاك التعاون المتكامل الذي حدث ومازال يحدث بين الحيوان والنبات**، إذ يتنفس كل منها ما يزفره الآخر، وهذه الدورة الحيوية الخلاّقة يغذيها بالطاقة نجم يبعد عنا ١٥٠مليون كيلو متر وهو الشمس [١].

تقسيم علماء الجيولوجيا أزمان الأرض:

وأما علماء الجيولوجيا فقد قسموا الحياة على ظهر هذه الأرض عدداً من الأقسام على مر العصور والدهور والأحقاب، وسمُّوا كل زمن باسمه، وقدموا ما استطاعوا أن يعرفوه عن كل قسم حسب ما توفر لديهم من دلائل مستحاثية من الصخور والجبال والوديان والآثار. **فكيف قسم العلماء تلك الأزمان السحيقة من عمر الكون؟** . . . . في البداية إن (جيمس هاتون) **العالم الجيولوجي** أعلن المبدأ المعروف بين علماء الجيولوجيا والمختصين (الحاضر مفتاح الماضي)، وهذا الشعار الجيولوجي ظل سائداً في علم الجيولوجيا وأوساط العلماء حتى زمننا الحاضر، رغم أنه من أواخر القرن الثامن عشر، وقد منح (هاتون) لقب لورد لهذا الإعلان، حيث أحدث تغييراً كبيراً في علم الجيولوجيا، ومعنى نظريته **(الحاضر مفتاح المستقبل)**، أن الصخور الموجودة بين أيدينا وفي كل مكان في العالم، حيث يحتوي بعضها على حفريات أو آثار الكائنات الحية التي ظلت محفوظة في ثنايا الصخور والرواسب المختلفة في عصور ما قبل التاريخ، لتعطي بصمات الزمن في جميع أنحاء الأرض **لهذا تستخدم الحفريات في التعرف على مراحل الخلق وترتيبها الزمني، لأنها تؤرخ الأحقاب الزمنية والعصور المختلفة** عن طريق قياس انحلال الكربون المشع الموجود في هذه الحفريات، لتعيين زمن وفاتها بواسطة الانحلال الإشعاعي. ولقد تم استخدام هذه الطريقة لتحديد العصور خلال الزمن الماضي إلى ٦٠٠ مليون سنة الأخيرة، وتحديد العصور يقوم على أساس قانونين جيولوجيين، أحدهما ينص على أن الطبقات المترسبة دون اضطراب تكون مرتبة حسب زمن ترسيبها، والآخر قانون تتابع المملكة الحيوانية والنباتية، والذي ينص على أن الحيوانات والنباتات قد تطورت عبر الزمن، بحيث أن كل فترة تختص بمجموعة معينة من الحفريات، ولقد دلت الدراسات فعلاً على أن حفريات المملكة الحيوانية في زمن معين لم تكن موجودة في زمن جيولوجي آخر، وأن

(١) الكون والحياة من العدم حتى ظهور الإنسان د. مخلص الريس ود. علي موسى صفحة ١٩٥

حفريات كل عصر كانت منتشرة في جميع القارات في وقت واحد.

وهكذا أدركنا أن البحث في الأرض **(للتعرف على الحفريات كبرهان ودليل محفوظ بين الصخور، وكساعة زمنية لتحديد عصور بدء الخلق على اختلاف أشكاله)**، سوف يساعدنا لعمل نتيجة كونية مرتبة حسب فترات الحوادث وحقب الخلق المتتابع. ولقد تمكن العلماء حديثاً من الحصول على التاريخ الجيولوجي التالي باستخدام طرق الإشعاع الذري في تحديد عمر وتصنيف الصخور والحفريات كما يتضح من الجدول التالي:

جدول الحقب الجيولوجية

العصر	الفترة	مليون سنة مضت
ماقبل الكمبرى		٤٧٠٠
عصر الحياة القديمة (باليوزويك)	الكمبرى الأوردوفيسى السيلورى الديفوني	
	المسيسبي البنسيلفاني البرميانى	٥٧٠
عصر الحياة الوسطى (ميزوزويك)	الترياسي الجوارسي الطباشيري	٢٢٥
عصر الحياة الحديثة (سنوزويك)	الثلاثي	٦٥
عصر الحياة الحديثة (سنورزويك)	الرباعي	٢

هذا الجدول يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين غير متناسبين في طول فترة كل منهما، وفي درجة المعلومات المتوفرة عنهما، **فالأول وهو الأطول ويدعى عصر ما قبل الكمبرى** ومعظم صخوره متحولة وعارية من الحفريات، وحتى إذا

احتوت آثاراً للحفريات فإنها تكون عديمة القيمة لاختفاء معالمها، ولهذا لم يتمكن العلماء من تقسيم هذه الفترة القديمة لعصر ما قبل الكمبرى، وربما تساعد القياسات الراديومترية في المستقبل في تقسيم هذه الفترة، أما القسم الثاني وهو عصر ما بعد الكمبرى فإن تاريخه الجيولوجي متوفر حالياً، لتوفر حفرياته وصخوره المترسبة، بدرجة سمحت للعلماء بتطبيق معلوماتهم الجيولوجية لإيجاد علاقات علمية، ساعدت في تقسيم عصر ما بعد الكمبرى إلى عصور وفترات كما هو موضح بالجدول السابق وأهم هذه العصور ثلاثة هي:

١ ـ عصر الحياة القديمة (الباليوزويك):

والباليوزويك كلمة يونانية من مقطعين (باليو) بمعنى قديم، (زويك) بمعنى حياة، أي عصر الحياة القديمة الذي دام منذ ٥٧٠ مليون سنة وحتى ٢٢٥ مليون سنة مضت، وكانت أعلى أشكال الحيوانات في ذلك العصر من اللافقاريات وأخيراً الفقاريات بما فيها الأسماك والبرمائيات والزواحف الأولية.



كل شيء خلق قبل الإنسان: النبات والحيوان والأسماك. صورة تبين كيف خلق الله النبات ثم خلق الحيوانات. وهذه مجموعة من الحيوانات تمثل بداية الأنواع من الزواحف والبرمائيات

٢ ـ عصر الحياة المتوسطة (الميزوزويك) :

و(الميزو) بمعنى متوسط (زويك) بمعنى حياة أي عصر الحياة المتوسطة الذي امتد من ٢٢٥ مليون سنة إلى ٦٥ مليون سنة مضت، **ويعرف بعصر الديناصور.**

٣ ـ عصر الحياة الحديثة (السينوزويك)

و(السينو) بمعنى حديث (زويك) بمعنى حياة أي عصر الحياة الحديثة الذي بدأ منذ ٦٥ مليون سنة وحتى الآن **ويتميز عموماً بظهور الثدييات.**

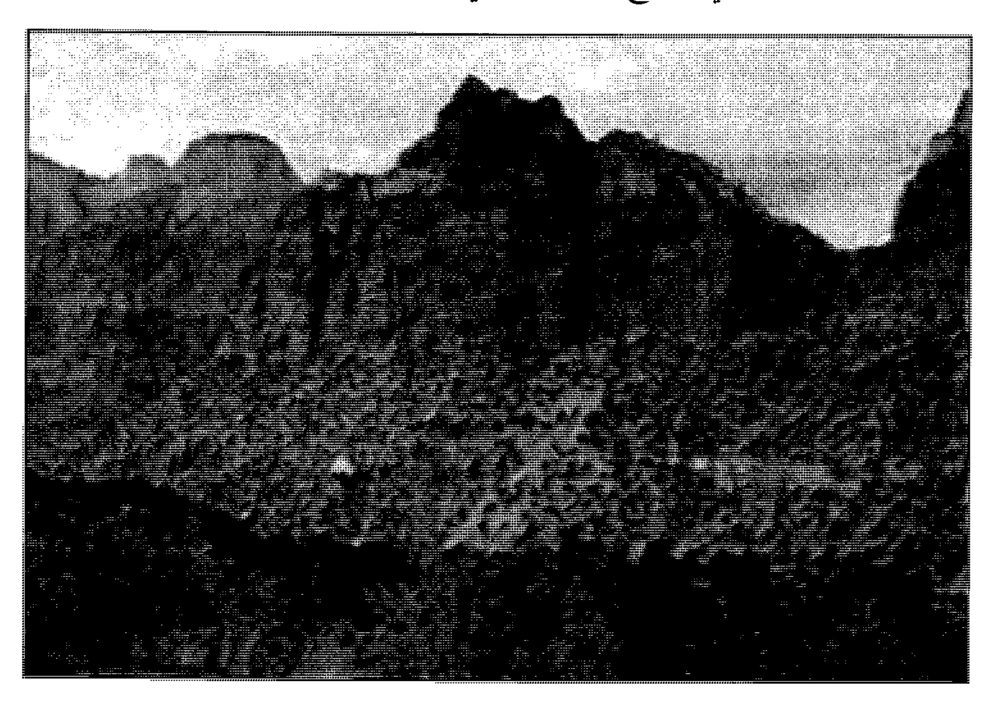
ويلاحظ أن كل عصر من العصور الثلاثة التي أتت بعد الكمبرى أي عصور الحياة القديمة والمتوسطة والحديثة مقسمة كما بالجدول إلى حقب أو فترات.

وهكذا نلاحظ أن ما قبل العصر الكمبرى المعلومات قليلة وهو زمن سحيق ليس بالأمر السهل، وهكذا قسم الجيولوجيون عصور الحياة على الأرض إلى أربعة عصور، هي على الترتيب، ما قبل الكمبرى، وعصر الحياة القديمة، والمتوسطة، والحديثة التي انتهت بظهور الإنسان. كما تم الاتفاق علمياً على التاريخ الجيولوجي للأرض مثلما هو مبين في الجدول الزمني التالي الذي يبدأ بتشكيل كوكب الأرض بتصلب قشرته منذ ٤٥٠٠ مليون سنة، وهذا هو عمر الأرض الجيولوجي الذي سبق استخدامه في حساب عمر الكون، والمهم هنا هو استعراض عصور الحياة المختلفة، في هذا الجدول الزمني لنتبين المعنى العلمي للآية الكريمة (العنكبوت: ٢٠) ولندرك نشأة وتكرار عملية الخلق عبر العصور المختلفة بواسطة القوة الخلاقة للمولى عز وجل طبقاً لإرادته سبحانه.

أطوار الحياة على كوكب الأرض	تاريخ حدوثه
تشكيل الكوكب وتصلب القشرة	منذ ٤٥٠٠ مليون سنة
المحيطات الأولية	منذ ٤٢٠٠ مليون سنة
الغلاف الجوي الأولي (السام)	منذ ٣٥٠٠ مليون
حفريات البكتريا والطحالب	منذ ٣٤٠٠ مليون سنة
المحيطات في حجمها الحالي	منذ ٣٠٠٠ مليون سنة
إنتاج الأوكسجين من النبات	منذ ٢٠٠٠ مليون سنة
الغلاف الجوي الحالي	منذ ١٠٠٠ مليون سنة
بدء عصر اللافقاريات	منذ ٥٧٠ مليون سنة
بدء عصر الأسماك	منذ ٣٩٥ مليون سنة
بدء العصر الكربوني	منذ ٣٥٠ مليون سنة
بدء عصر الزواحف	منذ ٢٥٠ مليون سنة
بدء عصر الديناصور	منذ ٢٠٠ مليون سنة
بدء عصر الثدييات	منذ ٦٥ مليون سنة
تكون سلاسل جبال الألب والهملايا	منذ ٤٠ مليون سنة
بدء العصر الجليدي	منذ ٢ ـ ٣ مليون سنة
بدء ظهور الإنسان	منذ فترة لا تتعدى آلاف السنين (دون تحديد)

وهكذا نجد أن الطبقات المترسبة دون اضطراب تكون مرتبة حسب زمن ترسبها، وهناك قانون تتابع المملكة الحيوانية والنباتية والذي ينص على

أن كل فترة زمنية تختص بأنماط معينة من الكائنات، ولذلك فإن جغرافيا كل عصر كانت منتشرة في جميع القارات وفي وقت واحد.[١]



سبحان من أرسى الجبال وأنبت النبات وخلق للإنسان كل شيء ثم استوى إلى السماء

(١) كتاب القرآن والعلم الحديث (الهيئة العامة للكتاب القاهرة صفحة ١٠٤)

الحياة على الأرض قبل الإنسان

قال تعالى

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾

[سورة الإنسان، الآية: ١]

قدمنا في تفسير وبيان كثير من الآيات الكريمة أن لكل شيء بداية، واتفق العلماء أن الكون له بداية بعد أن دحضوا نظرية أزلية الكون، وأن الكون موجود من الأزل وسيبقى إلى ما لا نهاية.. وأكد العلماء أخيراً أن للكون بداية وعمراً وقدروا عمر الكون بـ (١٣,٥) مليار سنة، وأن عمر الأرض ٤,٥ أربع مليارات ونصف المليار أو (٤,٣) أربع مليارات وثلث المليار من السنة وهذا العمر للأرض فيه شبه إجماع بين علماء الفلك، وعلماء الجيولوجيا الأرضية، وعلماء البيئة.. وهذه حقائق اليوم أصبحت مؤكدة ولم تعد مجالاً للنقاش، ولم تظهر نظرية أخرى ثابتة الدلائل تشير أن عمر الأرض غير هذا.. وهذا يؤكد على أن الأرض قبل ٤,٥ مليار سنة ونصف لم تكن موجودة فإن شبه الاتفاق على أن عمر الكون ١٣,٥ مليار سنة، وهذا يؤكد أيضاً على أن ما قبل ١٣,٥ مليار ونصف مليار سنة لم يكن هناك كون، ولا مجرات ولا خلق، ونعود بهذا إلى إشارة اللَّه سبحانه في كتابه الكريم أن عرشه كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض يقول تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾

[سورة هود، الآية: ٧]

كثيرةٌ هي الآيات الكريمة التي تحدثت عن خلق السماوات والأرض قدمنا الكثير منها، وكثيرة هي الآيات التي تشير أن السماء كانت دخاناً، وأن اللَّه سبحانه بناها وخلق فيها المجرات والنجوم، وأن السماوات والأرض كانتا رتقاً أي شيئاً واحداً، ففتقهما اللَّه سبحانه وجعل الأرض كياناً مستقلاً وذلك عبر ملايين السنين قبل أن يخلق الإنسان عليها.

فما معنى هذه الآية الكريمة؟ وما معنى أنه أتى على الأرض حين من الدهر لم يكن الإنسان بعد قد خلق عليها كما تشير الآية؟ وكيف نشأت الحياة على الأرض؟ ومتى وجد الإنسان عليها؟ وماذا كان قبل الإنسان؟ وهل كان هناك خلق عاقل عليها قبل الإنسان؟ عبر هذه المليارات الأربعة والنصف؟ أم بقيت خالية من الإنسان العاقل حتى خلق اللّه الإنسان وأوله آدم عليه السلام؟ . . . **كثيرة هي الأسئلة التي تطرح نفسها حول هذا الأمر العظيم والأجوبة على هذه الأسئلة بغاية التعقيد**، ذلك أن اللّه سبحانه لم يفصّل لنا ما كان قبل الإنسان خلال ٤,٥ مليار ونصف مليار سنة، والعلم اليوم، وعلم الغد وإلى أن يرث اللّه سبحانه الأرض ومن عليها لا يمكن له أن يعرف بدقة وتفصيل كاملين ماذا كان يوجد على الأرض خلال رحلتها الطويلة قبل الإنسان. . وإني لا أقصد مطلق عدم المعرفة. . لا ولكن أقول ما استطاعوا الوصول إليه حتى الآن هو علم عظيم بالنسبة إلينا، ولكنه يبقى نسبياً بالعموميات وليس بمنتهى الدقة مع التأكيد أن علم جيولوجية الأرض وصل إلى علم متقدم بالنسبة للأرض وجيولوجيتها من تربة وبحار وأنهار وبحيرات وغابات وحيوان ونبات.

فهل كان يوجد خلق عاقل قبل الإنسان على هذه الأرض؟

الجواب بالتأكيد لا يوجد لأن اللّه سبحانه يؤكد في أكثر من آية كريمة أن الإنسان هو أول مخلوق عاقل على هذه الأرض، وأن ما كان من قبله من خلق كان غير عاقل، كأنواع كثيرة من الوحوش والحيوانات والطيور.

ومن هذه الآيات الكريمة:

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

وهذا يشير أنه لو كان قبل الإنسان خلق عاقل لما قال ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إشارة إلى الإنسان. . وكذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾

[سورة الحجر، الآيتان: ٢٨، ٢٩]

وهاتان آيتان تشيران أنه لو كان من قبل الإنسان بشر آخر لما قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾

[سورة الحجر، الآية: ٢٨]

وكذلك موضوع الفترة في الآية الكريمة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾

[سورة الإنسان، الآية: ١]

تشير وتبين أنه لم يكن على الأرض قبل خلق الإنسان خلق آخر عاقل وتشير أن الإنسان على الأرض له بداية، وله نشأة، وله تاريخ خلق فيه، فماذا يقول أولاً علماء التفسير عن هذه الآية الكريمة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ .

يقول الثعالبي في تفسيره:

قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ أن هل بمعنى قد، أي إذا تأمل الإنسان نفسه علم بأنه قد مر حين من الدهر عظيم يعني (كثير) لم يكن فيه شيئاً مذكوراً وقوله تعالى ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ أي لم يكن فيه (يعني على الأرض)(١)

ويقول ابن كثير في تفسيره:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لضعفه ثم يبين ذلك ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ (٢)

ويقول السعدي في تفسير كلام المنان:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾

ذكر اللّه سبحانه في هذه الآية الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها، فذكر أنه مرَّ عليه دهر طويل قبل وجوده وهو معدوم بل ليس مذكوراً ثم لما أراد اللّه تعالى خلقه خلق أباه آدم من طين ثم جعل نسله متسلسلاً ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي من ماء مهين مستقذر ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ بذلك لنعلم

---

(١) تفسير الثعالبي مجلد ٥ صفحة ٥٢٧

(٢) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة ٥٨٠

هل يرى حالته الأولى، ويتفطن لها، أم ينساها وتغره نفسه، فأنشأه اللّه، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة كالسمع والبصر والفؤاد وسائر الأعضاء فأتمها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده.[(١)]

... نرى مختصراً في تلك التفسيرات حول نشأة الإنسان، وأنه مدَّ زمن ودهر طويل على الأرض قبل أن يخلقه اللّه سبحانه ويوجده على هذه الأرض.

... فماذا يقول العلم حول نشأة الإنسان؟ وماذا كان قبله على هذه الأرض؟ أي قبل الإنسان العاقل، لكل شجرة ثمرة، وثمرة الكون هي الحياة، فهي فاكهة الكون وغاية هدفه.

فما هي الحياة؟ وممّ تتألف؟ وكيف بدأت في هذا الكون؟

أغلب الظن أن هذا الخلق، هذه الثمرة، قد نمت وترعرعت وبلغت مداها على أرضنا فقط، فكان ذروتها ذلك المخلوق الذي هو في أحسن تقويم بما يتمتع به من فكر وإدراك وتأمل وإبداع بلغ به حد الكمال وتمام العقل والاتزان.

العجيب في هذه الثمرة الحياتية في الكون ارتباطها المباشر بالماء والأوكسجين والكربون، فالأشياء الحية في كوكبنا مؤلفة من جزئيات عضوية أو بنى ميكروسكوبية معقدة لعنصر الكربون الذي يؤدي دوراً رئيساً فيها، **فكيف صنعت تلك الجزئيات العضوية الكربونية في غياب الحياة؟**

الحقيقة المؤكدة في دراسة الحياة أنها بدأت منذ زمن طويل جداً، وللتفكير في أصل الحياة يجب علينا أن نتعامل مع فترات وآماد زمنية من عمر الكون تبدو بالنسبة لها فترة تاريخ الحياة البشرية مجرد طرفة عين ليس إلا، وبالتالي فإدراكنا لتلك الآماد والأزمان هي فوق قدرة تصورنا المباشر.

ما هي الحياة؟:

نقول عن مادة أنها حية فقط عندما نحافظ على تنظيمها ووجودها في عالم بيئته المحيطة بها متغيرة، وذلك باستجابتها إلى ما يثيرها ويحفزها. فتبدي آلية دفاع ونشاط حركي لتحصل من بيئتها المحيطة على أمنها، ومادة نموها الذاتي الخاص لاستمرار بقائها وتكاثرها، وتمتاز بأن لها مخاً منظماً لكل عملية

---

(١) تفسير السعدي (تفسير كلام المنان) صفحة ٩٠٠

حيوية وكيميائية وديناميكية فيها ويدرك ذلك بما تبديه من نشاط حركي لتأمين غذائها وسلامة وجودها وتلاؤمها وتكيفها مع البيئة المحيطة بها.

مميزات الحياة:

تمتلك العضوية الحية بعض الآليات للتكرار والتناسخ لاستمرار بقائها وهي مثل أي شيء في هذا الكون، مصنوعة من ذات العناصر المعروفة لكنها مرتبة ومنظمة في العضوية الحية في مجموعات غايتها التلاؤم والتكيف مع البيئة المحيطة بها لتأمين التغذية والنمو والتكاثر وتكرار الذات في تلك البيئة.

إن المكان الوحيد في هذا الكون الذي نعرف أنه يحتوي الحياة هو كوكبنا **(الأرض)**، لذلك فالشغل الشاغل للأبحاث العلمية هو اكتشاف كيف بدأت العمليات الحيوية الأولى، ولمعرفة عند أية نقطة من تاريخ الأرض بدأت الحياة. . . . من الواضح أن بداية الحياة انتظرت طويلاً حتى نشأت شروط بيئته محددة ومعينة ومرورها بصدف طيبة نادرة حتى أقلعت الحياة. ويحاول العلماء الآن مع بعض النجاح إنتاجها مخبرياً.

. . . هذه نبذة عن تطور نشوء الحياة على الأرض وهي البداية والتي استمرت طويلاً جداً باختلاف أنواعها وأشكالها وانقراض الكثير منها وخلق مكانها أشكالاً حياتية أخرى وكثيرة، **إلى أن جاء هذا الإنسان الذي هو درة هذه الأرض بل درة من درر الكون كله وثمرة عظيمة من ثماره اليانعة المورفة ذات الطيب والرائحة الزكية،** أليست هذه الآية الكريمة إعجازاً عظيماً بأن تثبت وتؤكد أنه لم يكن قبل الإنسان إنسان آخر ولم يتطور الإنسان من مخلوق آخر، وأنه لم يكن قبل الإنسان على الأرض مخلوق آخر عاقل، وأن الإنسان له عمر على هذه الأرض، وله نهاية كما لكل شيء آخر نهاية، وأن العلم لم يؤكد أن قبل الإنسان حياة عاقلة، وأن علماء الجيولوجيا قسموا الحياة منذ وجودها إلى أزمان وأحقاب جيولوجية، آخرها وجود الإنسان على الأرض، ثم إن العلماء أخيراً نفوا كل نظرية تقول بتطور الإنسان من مخلوقات أخرى كانت قبله وقالوا: **إنه لا يمكن أن يستنسخ كائن حي من كائن حي ثم يتطور ليكون كائناً جديداً،** وهذا ما يؤكد تماماً بداية خلق الإنسان وأنه خلق ووجد إنساناً كما هو، بجسده وعقله وفكره ولسانه لم يتطور من كائن آخر أبداً وصدق الله تعالى:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾

وهذا ليس من قول بشر ولن يكون أبداً. إنما هو من الخالق الذي قدر فهدى، وخلق فأبدع وخلق الإنسان في أحسن تقويم، فحاشا لهذا الإنسان الذي أكرمه اللّه وأجله أنه تطور من أنواع أخرى أقل منه شأناً، كما قال الوجودي الملحد داروين أن الإنسان تطور من فصيلة من فصائل القرود، فأراد نفي الخلق عن الإنسان وأراد أن يحطم معنويات الإنسان وقيمته وكرامته وتفضيل اللّه سبحانه له.

يقول تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

[سورة التوبة، الآية: ٣٠]



والنخل باسقات لها طلع نضيد. حيث وجدت هذه الأشجار
وهذه الأنهار لم يكن الإنسان موجوداً. تم تحضير كل شيء ثم خلق الإنسان

ظهور الإنسان على كوكب الأرض واختلاف نظريات العلماء حول وجوده

في هذه الحياة تعددت النظريات، وكثرت التوقعات، واختلف العلماء والمفسرون وأهل الرأي والمحللون حول كثير من قضايا الحياة العلمية والجيولوجية والأرضية والكونية والحيوانية والنباتية.. ولكن كل هذا لا يساوي شيئاً؛ مثلما تم الاختلاف حول نشأة الإنسان ومولده وتاريخه ووجوده وسيادته لهذه الأرض.

فالحيوانات نختلف حولها وهي لا تعقل سبب الخلاف ولا يهمها الأمر، ونختلف عن نظرية نشأة الكون والمجرات والنجوم وكذلك هي لا تعقل سبب الخلاف ولا يهمها الأمر، وكذلك نختلف حول النبات الذي لا يعقل سبب الخلاف ولا يهمه الأمر، وهكذا: إلا أن الاختلاف حول الإنسان ووجوده ومولده وتاريخه، ومن أوجده ومن خلقه ومن أين أتى فهذا جدل جادل فيه الجميع ويهمّ العلماء ويهمّ الناس ويهمّ المتعلمين، ويهم غير المتعلمين بل يهم كل طبقات الناس باختلاف ألسنتهم وألوانهم وعقائدهم وآرائهم وأفكارهم، بل الإنسان يسعى لكل فكر يملكه وبعقله الكبير لأن يتأكد ويعلم حقيقة وجوده وسر وجوده وسبب وجوده قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف، الآية: ٥٤]

وأكثر جدال الإنسان عن وجوده وحقيقته في هذا الوجود العظيم الكبير، الذي لم يشهد بدايته ولا يعرف أين ومتى ينتهي وهو يعيش في كون لا نهاية له من عظمته واتساعه وكمال قدرة الخالق فيه.

... الإنسان الذي هو ختام المخلوقات على الأرض كيف وجد؟

... الإنسان الذي هو ختام المخلوقات على الأرض من أوجده؟

... الإنسان الذي هو ختام المخلوقات على الأرض متى وجد؟

... الإنسان الذي هو ختام المخلوقات على الأرض هل له نهاية؟ وكيف تكون نهايته؟

... الإنسان لماذا هو آخر المخلوقات على الأرض؟

...الإنسان لماذا لم يخلقه اللّه منذ بداية خلق الأرض منذ ٤,٥ مليارات سنة وخلق في آخر الزمان؟

... وهل يوجد بعد ذلك خلق على الأرض كما أفنى اللّه الديناصورات وحل مكانها الثدييات أم الإنسان آخر المخلوقات؟

... لماذا عمر الإنسان قصير قياساً لباقي المخلوقات التي خلقها اللّه على الأرض من قبله؟

... وهل عمر الإنسان بكل أجياله قصير وقليل أم تمتد به الأجيال ملايين السنين القادمة؟

وأسئلة أخرى تطرح نفسها حول واقع الإنسان ووجوده وحياته وتاريخه الذي مضى وتاريخه القادم ...

ولنبدأ ولتكن بدايتنا مما يقوله العلم حول تاريخ وجود الإنسان.

قبل حوالي ٢٥ مليون سنة مضت ظهر في غابات أفريقيا مخلوق يتجول فيها يدعى **بروكونسل** (Proconsul) . ثم ظهر قبل عشرة ملايين سنة مخلوق آخر يشبه القرد لكنه أقل شعراً يدعى **أوريوبثيكس** (Oryobethexs)، لكنه لم يكن إنساناً رغم أنه أقرب شبيه للإنسان. وفي وقت ما من الزمن مضى لم يعرف بعد ولم يستطع أحد تحديده بدقة ظهر الإنسان الحقيقي، وبدأ تطوره جنباً إلى جنب مع القردة العليا (البعام) التي كان يظن أنها الجد الأول المشترك (أو الحلقة المفقودة بين الإنسان والقردة) . وتوالت الاكتشافات؛ فقد كشفت

أعمال حفر عن **جماجم أثرية يعود تاريخها إلى أكثر من مليون سنة وكانت وسطاً بين الإنسان والقرد**، ففيها خصائص الجمجمة البشرية وخصائص الجمجمة القردية أيضاً. وكأنه حدث بعد تلك الفترة انشطار وتباعد بين النسلين وشكلا فرعين أحدهما يضم الأبناء الفاشلين وهم القرود، والآخر يضم الأبناء النابغين وهم البشر. وهكذا يلاحظ حدوث تعدد لأنواع الإنسان البدائي.

واكتشف منها **إنسان الترنسفال** (Transval) الذي عاش في جنوب أفريقيا، **وكذلك إنسان بكين وجاوه، وإنسان نياندرتال** (Neandertal) في ألمانيا وأسبانيا. وقد وجد بعض من جماجم هذه الأقوام في كهوف مع بقايا خشب متفحم في مواقد خاصة مما يدل بوضوح على أن تلك الأقوام عرفت النار، واكتشفوا سرها واستخدموها في حياتهم اليومية. كما وجدت خناجر وسكاكين من الحجر والصوان، وهي منحوتة بشكل يعطي أطرافاً حادة تقارب في مضائها الأدوات الحادة التي تصنع في أيامنا هذه تقريباً.

كما اكتشفت رسوم ذلك الإنسان على جدران الكهوف التي كان يسكنها، فكانت رسومه لوحات ناطقة عن الظروف التي يجابهها والمعاناة في صيده وقنصه للطرائد البرية. **فرسم الثيران والغزلان والأيائل والنمور** وغيرها، وما زالت خطوط تلك الرسوم باقية إلى الآن وشاهدة على تقدم ذلك الإنسان فكرياً وفنيا.

تعتبر نقطة بداية التاريخ البشري للإنسان الحقيقي قبل عشرة ملايين سنة، ويعتبر حالياً إنسان الترنسفال هو أول إنسان حقيقي اكتمل تطوره واكتملت صفاته الإنسانية، وكان ذلك منذ حوالي مليون سنة، وكان أقرب شبيه للإنسان رجل قرد أفريقي يدعى **(اوسترالوبتيكس)** (Ostralopetyx) وقد كان أول مخلوق استعمل الأسلحة في القتال وعاش قبل حوالي نصف **مليون سنة، مثله في ذلك** مثل إنسان جاوه والصين وأوروبا.

وهكذا توالت الأجيال جيلاً بعد جيل قرابة ٤٠ ألف جيل من

أسلافنا السابقين مع توقع تزايد الذكاء البشري مرة كل عشرة آلاف سنة منذئذ.



كثر الجدل حول وجود الإنسان. وهذه الصورة تمثل تطور الإنسان بعد خلقه وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة ومن حال إلى حال حتى أصبح بوضعه الحالي

الجدل حول حقيقة الإنسان وسر وجوده.

الحقيقة أن عمر الإنسان على الأرض أخذ جدالاً طويلاً بين العلماء، ومما تقدم نتبين أن تحدي عمر الإنسان على الأرض بالدقة لا يزال غامضاً، ومن العلماء من قال عشرة ملايين سنة، ومن العلماء من قال مليون سنة، وكل يؤيد نظريته بالآثار الدالة على وجود الإنسان، سواء هيكله العظمي الذي وجدوه في الصخور أو بالمغارات أو الكهوف، وسواء بالأدوات والرسوم الدالة على وجوده منذ مليون سنة أو أكثر.. وأما أسباب الخلاف ... وبشكل رئيس على وجود مخلوقات تتمتع بهياكل عظمية وجماجم تشبه إلى حد كبير الهيكل العظمي للإنسان وجمجمته، وهي فصائل من الغوريلا التي كانت تقف على قدمين أو من بعض فصائل القرود.. وما لا شك فيه أن هذه الأنواع من الغوريلا والقرود والتي أطلقوا عليها أسماء ذكرتها وشبهوها بالإنسان وأطلقوا عليه إنسان (بروكسويل) ـ (أوريوتبيكس) رغم أنهما ليسا إنسانين ولكنهما أقرب شبيه للإنسان ثم اكتشفوا ما يشبه الإنسان أيضاً وأطلقوا عليه اسم (**نياندرتال**) فهو شبيه جداً بالإنسان وجمجمته جمجمة إنسان.. على الرغم من أن بعض العلماء يقولون إن إنسان نياندرتال هو الإنسان الأول على هذه الأرض وعمره مليون سنة مضت.

وقالوا أيضاً إن أقرب شبه للإنسان كان (رجل قرد) يدعى (**أوسترالوبتيكس**) وكان ذلك أيضاً من مليون سنة.

إذاً ما يطلقون عليه إنسان وأنه وجد منذ مليون سنة إنما هو كما يقولون (رجل قرد) وتطور حتى أصبح بشكله الحاضر اليوم.. وهذه النظريات والتقديرات هي التي حدت بأمثال (**فرويد**) أن يعتبر أن أصل الإنسان قرد ثم تطور فيما بعد حتى أصبح على هذا الشكل الذي نراه اليوم.

كثير من العلماء علماء البيئة والجيولوجيا أنكروا مثل هذه الافتراضات

والنظريات وأكدوا أنه لا يمكن لمخلوق أن يتطور من مخلوق آخر فلكل صبغته وصفاته الوراثية وحمضه النووي، ومن المستحيل أن تتطور الأجناس فتتحول الى أجناس أخرى، كتطور الحصان فيصبح فيلاً، أو تطور الحصان فيصبح حماراً، أو تطور الدجاجة فتصبح بطة، وهكذا. وعليه فلا يمكن أن يتطور القرد وإن كان أقرب شبهاً للإنسان فيصبح إنساناً أو يتطور الإنسان فيصبح قرداً، فالإنسان اليوم هو إنسان الماضي وإنسان الغد بصفاته الحالية العقلية والفكرية وبتركيبه الفيزيولوجي. . . المخلوقة. فأول إنسان وجد على هذه الأرض يحمل صفاته الوراثية الإنسانية التي ورثها لأبنائه من بعده وكذلك أبناؤه قد ورثوها لأبنائهم، حتى وصلت الأجيال في تعدادها عن طريق توارث الصفات الوراثية بالتزاوج والتناسل والتقاء البويضة الأنثوية بالحيوان المنوي. . فالإنسان أرقى المخلوقات على هذه الأرض، خلق بصفات وراثية ولم يأخذها من أحد أبداً.

. . . وعلى هذا فإن الإنسان بصفاته الحالية وجد في يوم ما هكذا دون تطور ولكن متى وجد؟ هل من مليون سنة كما يقولون؟ أم ما قالوه هو عن مخلوق آخر يشبه فقط في هيكله العظمي وجمجمته الإنسانية. . فاللحم يبلى والدماغ يبلى والجلد يبلى في المخلوق الذي مات ولكن يبقى هيكله العظمي بما فيه جمجمته ولتشابه الهيكل العظمي والجماجم أشكل على العلماء أو على بضعهم الأمر. . . فبتقديرهم الخاطىء ضاع العمر الحقيقي للإنسان على هذه الأرض.

ودليل أن الإنسان لم يتطور من كائن آخر أن أقدم إنسان محنط على هذه الأرض الإنسان الفرعوني منذ خمسة آلاف سنة أو أكثر. . وهذا ما نشاهده في متاحف القاهرة للإنسان الفرعوني المحنط. . فهو يشبه إنسان اليوم إلى حد كبير ونكاد لا نرى تطوراً ملحوظاً لإنسان اليوم عن الإنسان الفرعوني لا في هيكله ولا رأسه ولا طوله ولا وزنه ولا فكره وعقله، فالإنسان الذي بنى الأهرامات منذ أكثر من خمسة آلاف عام هو الإنسان من سلالته الذي يبني أكبر ناطحات سحاب في العالم والتي يبلغ طولها أكثر من ثلاثمائة متر ويزيد عن مئة طابق أو دور، والإنسان الذي بنى الحدائق المعلقة هو الذي يبني اليوم أضخم الحدائق وأجملها. . . فتطور العقل والفكر نسبي

والتطور الجسدي شبه معدوم ودليله الإنسان الفرعوني منذ خمسة آلاف سنة والذي قبله . . . الفينيقي والآشوري و . . . وكل شعوب الأرض.

ويبقى السؤال . . هل عجز اللَّه سبحانه أن يخلق إنساناً له هذه الصفات العظيمة حتى يطوره من حيوان كالغوريلا أو القرد؟ وكيف يكون ذلك واللَّه أعز الإنسان وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً، فكيف يسجد اللَّه ملائكته لهذا الإنسان احتراماً وتحية وهو من قرد أو من حيوان آخر؟ فأين يذهب هؤلاء؟ ولماذا يحطون من كرامة الإنسان واللَّه قد أعزه؟

وكذلك فإن دليل عدم التطور وأن الإنسان واحد منذ أن خلقه اللَّه سبحانه وإلى آخر إنسان يخلقه قبل يوم القيامة بقليل قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ٥٩]

فالخلق واحد والنوعية واحدة وإن طال الزمان بين آدم وعيسى عليهما السلام، وهذا دليل على عدم تطور الإنسان. إذاً فما هو العمر الحقيقي للإنسان على كوكب الأرض؟؟

هناك نظريات كثيرة حول عمر الإنسان على الأرض وأكثرها نظريات دينية و أكثر شعوب الأرض تدين بالديانات السماوية وجميع تلك الأديان عندها تسلسل الأنبياء منذ عهد آدم وحتى يومنا هذا . . وهذا لا خلاف عليه بين الأديان آدم ـ إدريس ـ نوح ـ هود ـ صالح ـ إبراهيم ـ إسماعيل ـ إسحاق ـ لوط ـ شعيب ـ أيوب ـ ذي الكفل ـ يونس ـ موسى ـ داوود ـ سليمان ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى ـ محمد عليهم الصلاة والسلام جميعاً . .

طبعاً هناك بعض الأنبياء الآخرين، ولكن بينهم أرسلوا . . . فهذا الزمن بين آدم ومحمد ﷺ. وبين كل نبي ونبي شبه معروف عن طريق تسلسل أولاده، لأن أكثر الأنبياء سلالة من الأنبياء، فسيدنا إبراهيم عليه السلام نبي وابنه إسماعيل نبي وابن إسماعيل إسحاق نبي وهكذا . . فالزمن ليس سحيق بين الأنبياء حتى نقول مثلا بين النبي إدريس ونوح مائة ألف سنة بل سنوات معدودة لا تتجاوز المئات في أكثر حالاتها إن لم نقل سنوات . . . . فمن

أين أتت المليون سنة؟ وهي العمر الافتراضي لعلماء الجيولوجيا والبيئة وما أشبه للإنسان على الأرض.

ومن هذا المنطلق رسالات الأنبياء والعمر الافتراضي بينهم أتت نظريات كثير من علماء الأديان، أن عمر الإنسان لا يتجاوز سبعة آلاف سنة، أو خمسة عشر ألف سنة، أو عشرين أو ثلاثين ألفاً على أكثر تقدير، والفرق بين مليون سنة وثلاثين ألف سنة كثير جداً.

... وعلى هذا نقول: إن أحسن الحالات افتراضاً وهو أن عمر الإنسان على الأرض لا يتجاوز بضع عشرات الآلاف من السنين على أكثر تقدير والله أعلم..

ذلك أن علماء الآثار والبيئة والجيولوجيا والمستحاثات لا دليل منطقي عندهم، ومن علم الأديان يكون الدليل أقوى، وهو تحديد الزمن الفاصل بين آدم عليه السلام وعيسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ.. والأزمان التي تفصل بين الأنبياء شبه معروفة.

... وهذا التخبط في النظريات ووجهات نظر العلماء، يقودنا إلى حقيقة مطلقة وهي حقيقة القرآن الكريم، وما أخبرنا به عن خلق الإنسان وهو آدم أول البشر في الجنة ثم هبوطه إلى الأرض وجعله خليفة في الأرض هو وذريته إلى يوم القيامة.

والفقرة التالية تبين لنا حقيقة خلق الإنسان، وخلافته الأرض بأمر الله سبحانه وتعالى.

قصة الخلق كما وردت في التوراة وماذا قال عنها موريس بوكاي

. . . لقد تحدثنا كيف خلق اللّه سبحانه الحياة على الأرض، وكيف خلق الإنسان، وأوردنا الشواهد من الآيات الكريمة. . ومع ذلك فإن التوراة أورد في إصحاحه عن الخلق كيف تم، زمانه ومكانه. . وإذا لم نرد أن نعلق عليها فلنترك العالم الكبير (موريس بوكاي) هو الذي يعلق عليها. . . ومن ثم نجد الفرق الشاسع بين روايات القرآن الكريم وروايات الإنجيل والتوراة. . .

ذلك ليعلم الجميع أن ما جاء به القرآن ليس كما ورد في التوراة وهذه إشارة عظيمة أن الكلام في القرآن الكريم كلام اللّه تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنما أنزله اللّه سبحانه بعلمه وتكفل بحفظه من أن تطوله يد التغيير والتحريف والزيادة والنقصان.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

[سورة الحجر، الآية: ٩]

فكل ما نزل في القرآن الكريم عن قصة الخلق والسماوات والأرض والجبال والبحار لا علاقة له بكتاب آخر، إنما نزل من حكيم حميد فصل لنا الخلق في كثير من الآيات الكريمة تفصيلاً علمياً دقيقاً وهناك روايتان تتحدثان عن الخلق في التوراة نوردهما مع تعقيب الدكتور (موريس بوكاي) عليهما دون زيادة ولا نقصان، وذلك للبيان العلمي وبيان الفرق بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في التوراة **وكل هذا منقول من كتاب (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) لمؤلفه** موريس يوكاي.

جاء في كتاب «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لبوكاي»:

الرواية الأولى:

تحتل الرواية الإصحاح الأول والآيات الأولى من الإصحاح الثاني إنها بناء يتكون من أخطاء من وجهة النظر العلمية.. ولا بد من القيام بنقدها فقرة فقرة.. والنص الذي نقدم هنا هو نص ترجمة فرنسية **لمدرسة الكتاب المقدس بالقدس**.

الإصحاح الأول ـ الآيتان (١ ـ ٢):

«في البدء خلق اللّه السماء والأرض .وكانت الأرض خربة وخالية والظلمات تغطي اللجة وروح اللّه يرف على المياه».

ونستطيع أن نقبل تماماً أنه في مرحلة ما قبل خلق الأرض كان ما سيصبح الكون، كما نعرفه غارقا في الظلمات، ولكن الإشارة إلى المياه في تلك المرحلة أمر رمزي صرف وربما كان ترجمة لأسطورة.

الآيات (٣ ـ ٥) :

«ليكن نور فكان النور. ورأى اللّه أن النور حسن وفصل بين النور والظلمات ودعا اللّه النور نهاراً والظلمات ليلاً. وكان مساء وكان صباح: اليوم الأول».

إن الضوء الذي يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث في النجوم.. ولكن النجوم حسب قول التوراة، لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة حيث إن أنوار السموات لا تذكر في سفر التكوين إلا في الآية (١٤) باعتبارها ما خلق اللّه في اليوم الرابع ليفصل بين النهار والليل **«ولينير الأرض»** وذلك صحيح تماماً ولكن من غير المنطق أن تذكر النتيجة الفعلية (أي النور) في اليوم الأول على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور، أي أن المنيرة في اليوم الرابع.. يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار في اليوم الأول هو أمر مجازي صرف.. فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها، أي الشمس.

الآيات (٦ ـ ٨):

«ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصل بين مياه ومياه. وكان كذلك.

فعمل اللَّه الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. ودعا اللَّه الجلد سماء وكان صباح: اليوم التالي »

أسطورة المياه هنا تستمر بانفصالها إلى طبقتين بواسطة الجلد الذي سيجعل الطبقة العليا عند الطوفان، تنفذ من خلاله تمر لتنصب على الأرض. إن صورة انقسام المياه هذه كتلتين، غير مقبولة علمياً.

الآيات (٩ ـ ١٣):

«لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد في كتلة واحدة ولتظهر اليابسة وكان كذلك. ودعا اللَّه اليابسة أرضا ومجتمع المياه دعاه بحاراً ورأى اللَّه ذلك أنه حسن »

«لتنبت الأرض خضرة عشباً يحمل بزراً كجنسه، وشجراً يعطي ثمراً من جنسه وبزراً ورأى اللَّه ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح: اليوم الثالث »

ومقبول علمياً أن القارات قد ظهرت في مرحلة من تاريخ الأرض كانت هذه مغطاة بالماء. ولكن أن يكون هناك في تلك الفترة عالم نباتي ينتظم جيداً بالتناسل بالبزرة قبل ظهور الشمس (**التي تظهر كما يقول سفر التكوين في اليوم الرابع**) وأن ينتظم تعاقب النهار والليل فذلك ما لا يمكن مطلقاً القول به.

الآيات (١٤ ـ ١٩):

«لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون علامات للأعياد كما للأيام والسنين ولتكن أنوار في جلد السماء لتضيء الأرض. وكان كذلك وعمل اللَّه المنيرين العظيمين ـ المنير الأكبر لحكم النهار والمنير الأصغر لحكم الليل ـ والنجوم وجعلها اللَّه في جلد السماء لتنير على الأرض، ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة ورأى اللَّه ذلك أنه حسن وكان مساء وكان نهار: اليوم الرابع».

إن وصف كاتب التوراة هنا مقبول!!

والنقد الوحيد الذي يمكن إقامته على هذه العبارة هو المكان الذي تحتله في مجموع الرواية. إن الأرض والقمر، كما نعرف قد نبعا من نجمهما

الأصلي أي الشمس، ووضع الشمس والقمر بعد خلق الأرض يناقض المعلومات الأساسية على تشكل عناصر النظام الشمسي.

الآيات (٢٠ ـ ٢٣):

«ولتعج المياه بعجيج الكائنات الحية ولتطر طيور فوق الأرض وعلى وجه جلد السماء وكان كذلك، وخلق اللّه كبار ثعابين البحر، وكل الكائنات الحية التي تنزلق وتعج في البحار، كل بحسب جنسه وكل ذي جناح بحسب جنسه ورأى اللّه ذلك حسن وباركها اللّه قائلاً: أثمري وأكثري واملإي البحار وليتكاثر الطير على الأرض. وكان ليل وكان نهار: اليوم الخامس».

وتحتوي هذه الفقرة على مزاعم لا يمكن قبولها.

يقول سفر التكوين بظهور عالم الحيوان أولاً وابتداء من حيوانات البحر والطيور.. الواقع أن رواية التوراة تقول إن في اليوم التالي أسكنت الأرض بالحيوانات.. ونظام ظهور الحيوانات الأرضية والطيور كما وردت في التوراة ـ غير مقبول.

الآيات (٢٤ ـ ٣١):

«لتخرج الأرض الكائنات الحية كجنسها بهائم ودبابات ووحوش كجنسها» وكان ذلك عمل اللّه الوحوش كجنسها والدبابات كجنسها وكل دبابات الأرض كجنسها ورأى اللّه ذلك أنه حسن .

«لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. ويسطو (كذا) على سمك البحر وعلى طيور السماء وعلى البهائم وعلى كل الوحوش والدبابات التي تزحف على الأرض.. فخلق اللّه الإنسان على صورته وعلى اللّه خلقه، ذكر وأنثى خلقهما».

«وبارك اللّه وقال لهما: أثمرا وأكثرا واملآ الأرض وأخضعاها، وتسلطا على سمك البحار وطيور السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض. وقال اللّه: إني قد أعطيتكما كل بقل يحمل بزراً على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر ويحمل بزراً لكما يكون طعاماً. ولكل الوحوش ولكل طيور السماء ولكل دبابة على الأرض وكائن حي أعطيت كل خضرة النباتات طعاماً» وكان

كذلك ورأى اللّه كل ما عمله: فإذا هو حسن جداً. وكان مساء وكان صباح: اليوم السادس .

في وصف تمام الخلق يعدد الكاتب كل المخلوقات الحية غير المذكورة سابقاً ويشير إلى الأقوات المختلفة الموضوعة تحت تصرف الناس والحيوانات .

وكما نرى فإن الخطأ يكمن في وضع ظهور الحيوانات الأرضية بعد ظهور الطيور . . ولكن ظهور الإنسان على الأرض محدد بشكل صحيح بعد ظهور الفئات الأخرى من الكائنات الحية .

وتنتهي رواية الخلق بالآيات الثلاثة الأولى من الإصحاح الثاني :

«فأكملت السموات والأرض بكل جندها (كذا ـ وفرغ اللّه في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك اللّه اليوم السابع وقدسه ، ولأنه فيه استراح من جميع عمله للخلق . هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت »

وواضح أن هذه الراحة التي يفترض أن اللّه قد أخذها بعد أن عمل ستة أيام هي أسطورة ولكن لها تعليل . إذ لا يجب نسيان أن رواية الخلق المدروسة هنا تأتي من النص الذي يسمى بالكهنوتي كتبة الكهنة أو الكتبة **وهم الوريثون الروحيون لحزقيال نبي النفي ببابل** في القرن السادس قبل الميلاد ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتي الخلق اليهودية والألوهيمية وأعادوا صياغتها على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة التي كتب **الأب ديفو** عنها قائلاً : إن طابعها «التشريعي» كان جوهرياً . . على حين لا يشير النص اليهودي ، الذي يسبق النص الكهنوتي بعدة قرون إلى راحة اللّه الذي من عمله طيلة الأسبوع ، يدخلها الكاتب الكهنوتي في روايته . . إنه يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع وهو يضع محور الرواية على راحة السبت التي يعللها أمام المؤمنين مؤكداً على هذا بقوله إن اللّه هو أول من احترمها . . وابتدأ من هذه الضرورة العملية انتقاد رواية الخلق بمنطق ديني ظاهر ، وإن كان هذا بشكل تسمح معطيات العلم بوصفه بالوهم .

الرواية الثانية:

هذه الرواية ترجع إلى تاريخ أكثر قدماً من الأولى بحوالي ثلاثة قرون.. وهي رواية قصيرة جداً، ولكنها أكثر إفاضة فيما يخص خلق الإنسان وجنة الأرض مما يخص خلق الأرض والسماء الذي تذكره بإيجاز شديد.

تقول الرواية:

«كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن يهوه الرب لم يكن قد أمطر على الأرض ولا كان إنسان ليفلح الأرض لكن سيل يطلع منها ويسقي كل وجهها وعندئذ جبل يهوه الإنسان من طين الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار الإنسان نفساً حية» (الإصحاح ٢: الآيات ٤ ـ إلى ٧).

تلك هي الرواية اليهودية الموجودة في نصوص كتب العهد القديم التي نملكها حالياً.. هذه الرواية التي أضيفت إليها فيما بعد الرواية الكهنوتية هل كانت على هذا القدر من القصر..؟؟

لا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كان النص اليهودي قد قطع عبر الأزمنة!!

ولا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كانت السطور القليلة التي في حوزتنا تمثل فعلاً كل ما كان يمكن أن يحتوي عليه أقدم نص للتوراة عن الخلق!!

إن هذه الرواية اليهودية لا تشير إلى تشكل الأرض بشكل واضح وخاص ولا إلى تشكل السماء. إنه يدع للفهم الضمني أنه عند خلق الله للإنسان لم تكن هناك نباتات أرضية **(فلم يكن المطر قد نزل بعد)** هذا برغم أن المياه الآتية من العمق كانت تغطي سطح الأرض..

وتؤكد هذا البقية التالية للنص:

«زرع الله بستاناً في نفس الوقت الذي خلق فيه الإنسان»

وهكذا يظهر عالم النبات في نفس وقت ظهور الإنسان على الأرض وهذا علمياً خطأ: فقد ظهر الإنسان على الأرض حين كانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة للنباتات، وإن كنا لا نستطيع أن نقول كم من مئات ملايين

السنوات قد مرت بين الحديثين ذلك هو الإنتقاض الوحيد الذي يمكن توجيهه إلى النص اليهودي للخلق. . فبما أنه لا يحدد في الزمن لحظة خلق الإنسان بالنسبة إلى تشكل العالم وتشكل الأرض، هذا الذي يضعه النص الكهنوتي في نفس أسبوع الخلق، فإنه يفلت من انتقاد خطير كان يوجه لهذا الأخير.

وإلى هذا الحد تنتهي قصة الخلق كما وردت في التوراة. .

وتعقيب الدكتور / موريس بوكاى عليها. .

وعليك أن تقارن عزيزي القارئ بين ما جاء في القرآن الكريم عن الخلق وبين روايتي التوراة عن الخلق لتدرك البون الشاسع بين ما قاله بارئ الخلق عن الخلق، وبين ما سطره كهنة التوراة عن الخلق!! (١)

(١) موريس بوكاي كتاب (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) صفحة ٢٤٧ ـ ٢٥٢

نظرية الخلق ونشأة الحياة في الفكر الإسلامي

١ ـ الاجتهادات والمناهج (للعدميين)

من هذا العرض الموجز لنظرية (الخلق من العدم) في الفكر الإسلامي تتضح لنا غاية الأساس منها والتي حرص أتباعها من المفكرين والمناطقة والفلاسفة والمتصوفين ـ كما استعرضناها ـ وهي: نفي طبيعة الموجودات.. كعلة للخلق وذلك بقصد الإثبات بأن اللّه هو الخالق، ولا فاعلية لغير اللّه سبحانه وتعالى وهذا ما أراده الغزالي بقوله: (هو اللّه الفاعل الوحيد، ولا خالق سواه ولا تأثير غير قدرته، اللّه تعالى فاعل بالإرادة التي مقتضياتها التخصيص والاختيار. أما المخلوقات، فلا فعل لها..).

نستدل من هذه الرؤية (العدمية) كيف توصل أصحاب هذه النظرية إلى نفي فكرة (السببية) التي ترى تأثير القوى الطبيعية في تحريك متغيرات العالم فهم (العدميون) رفضوا رفضاً قاطعاً أي قول بطبيعة موضوعية للموجودات. وما دمنا استوفينا العرض الشامل لهذه النظرية (العدمية) في الخلق... في مفهومها ومنطلقاتها، نجد من المناسب استعراض منهج بعض هؤلاء الفلاسفة، كل على حدة. استكمالاً للفائدة:

٢ ـ منهج الفيلسوف الكندي:

يمكن ترتيب استقراء الفيلسوف الكندي لمسألة الخلق في العناصر الآتية:

ـ للكون علة، مادام معلولاً (مخلوقاً)

ـ لابد لهذا الكون من (الانتهاء إلى زمن محدد ـ موجود).

ـ وليس هو الزمان متصلاً مما لا نهاية له. وعليه، يترتب أن لكل جرم انتهاء في الزمان (فليس يمكن أن يكون جرم لا نهاية له).

ـ وهذا يترتب: سبحانية الخلاق (اللَّه) غير جسم وهو ما تعنيه (السبحانية) في التنزيه.. يقول الكندي:

(بحدوث العالم من العدم من قبل (فاعل = اللَّه) غير جسم ولا متصل بجسم، ولا منفصل عنه، ولا داخل فيه ولا خارج عنه..)

ذلك لأن (الاتصال والانفصال والدخول والخروج.. هي ـ كلها ـ من صفات الأجسام، وهو (اللَّه = سبحانه) منزه عنها.

وهو خالق كل شيء في الوجود، والمبدع العظيم لكل ما في الوجود..

ـ فترتبت، بهذا السيادة الإلهية المطلقة له، وهو يحيط علماً بكل جزئية إحاطة العالم المقتدر بما يصنع.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١١٧]

٣ ـ منهج (المعتزلة)

ويمكن ترتيب منهج المعتزلة، على العناصر الآتية:

ـ خلق اللَّه العالم من العدم بعلمه وقدرته.

ـ وجاء الخلق عن طريق (الأحداث) الذي يعني تنقل الأشياء الشيئية الثبوتية.. إلى حالة (العينية = الجرمية = الأجسام).

ـ ما بين (العدم ـ الوجود) حالة يسميها المعتزلة (المعدومية) ـ كما جاء في الشرح وهذه الحالة (المعدومية) اعتمدها المعتزلة (علة الخلق) من أجل توحيد (الذات) والصفات، ونفي التعدد والتغير عن الذات الإلهية.. وللتفريق بين (ماهية اللَّه)، و(ماهية)العالم.

ـ (المعدوم) هو الممكن ـ كما مر.

ـ يقول الشهرستاني: (إن اللَّه تعالى، لم يخلق شيئاً فأما الأعراض فإنها من اختراعات الأجسام ـ إما طبعاً، كالنار التي تحدث الاحتراق.. والشمس والحرارة.. والقمر والتلوين... وإما اختياراً، كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق..).

وقد سبق، في سياق هذا البحث، عرض مرتكزات نظرية المعتزلة بمسألة الخلق من العدم.. وتحصيلهم (المعدومية).

٤ ـ نظرية (قدم العالم)

يذهب معظم الفلاسفة العرب، إلى (قدم خلق اللّه) فيعللون ذلك بالمرتكزات الآتية:

ـ هو (اللّه) عز وجل، واجب الوجود (بذاته).. وهو خالق هذا العالم، ومبدعه، وإنه لا يتقدم عليه بالزمان.. وإنما يتقدم عليه (بالذات) الإلهية.

ـ والعالم، على رأي هؤلاء، (قديم) في وجوده، قدم خالقه.. وهو (أي: العالم) لم يخلق من العدم المحض ـ كما قال أتباع النظرية العدمية.. ولم يخلق من (المعدومية) كما يقول المعتزلة:

ـ وإنما خلق عن طريق (الفيض) ـ كما مر في البحث ـ لدى اجتهاد الفارابي وابن سينا وإخوان الصفاء...

ـ **ويمثل ابن رشد، (في كتابه: تهافت التهافت)** منهجاً توفيقياً بين هذه المناهج، فيرى:

ـ أن العالم خلق من العدم ويعلل ذلك:

ـ إن تقدم اللّه على العالم، إما أن يكون بالسببية، أو بالزمان. والتقدم بالسببية، مثل تقدم الشخص ظله.

ـ والباري قديم.. فالعالم قديم.. وإن كان متقدماً بالزمان وجب أن يكون متقدماً على العالم بزمان لا أول له.. فيكون (الزمان) قديماً.. لأن الباري سبحانه وتعالى، ليس شأنه مما يكون في زمان.

ـ ويسترسل ابن رشد في التحليل، فيتحصل:

ـ إن جوهر العالم هو (الحركة).. واللّه هو معطي الحركة، وهو الذي يحفظ للعالم وحدانية تركيبه.

وهذا هو في ـ **رأي ابن رشد** ـ الدليل على وجود حالتي وجود:

ـ **الأولى**: (حركة وجود): وهذه لا تنفك عن الزمان.

ـ **الثانية**: حالة ليست من طبيعة الحركة، وهي (الأزلية): التي لا تتصف بزمان. . .

ولما كان هناك دليل على وجود عقل مدبر حكيم، وراء هذا العالم، وما يحدث فيه، فهذا ـ بحد ذاته ـ دليل على العناية الإلهية كدليل على وجود الله. . وهو دليل قائم على الملاءمة بين أجزاء العالم ومخلوقاته، بما يحقق المنفعة والاتساق الكلي للعالم.

ويتابع ابن رشد، في تقصي الحكمة لدى الخالق، وما يترتب على الإنسان من إعمال الفكر في الاستدلال إلى العبادة الحقيقية عن طريق المعرفة:

(إن الشريعة خاصة بالحكماء هي الفحص على جميع الموجودات، إذ كان الخالق لا يعبد لعبادة أشرف من معرفة مصنوعاته، التي تؤدي إلى معرفة (ذاته) سبحانه وتعالى على الحقيقة. .).

ـ وبهذا فإن معرفة (مخلوقات) الله الدالة على وجوده، ووحدانية ربوبيته، وانفراده بإحداث هذا العالم، هي التي تقود إلى الإقرار بوجود الله[١].

ـ ومن هنا جاءت مخافة العلماء لله تعالى محدث العالم. . كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٨]

٥ ـ الفيض الإلهي

ترتكز نظرية (الخلق) بالفيض الإلهي، التي قال بها **الفارابي وابن سينا**، على فكرتين:

ـ **الأولى**: هي التفريق بين: (**واجب الوجود**) و(**ممكن الوجود**).

ـ **الثانية**: إن السبب بينهما، هي: (**العقل الفعال**) الذي فاض عن الله تعالى. . خالق العقل. وبهذا أمكن أصحاب هذه النظرية، تقرير السبحانية في (**الذات الإلهية**). . عن طريق أن (**العقل الفعال**)، الذي هو مخلوق بالفيض الإلهي، تفيض عنه المحسوسات التي هي: العالم.

(١) كتاب (تهافت التهافت) لابن رشد صفحة ٧٨٧.

ـ يقول الفارابي في تعريف **(واجب الوجود)**: إنه (خير محض، وعقل محض، ومعقول محض وهذه الأشياء الثلاثة ـ كلها ـ في واحد. وهو حكيم، وحي، وعالم قادر ومريد.. وله غاية الجمال والكمال والبهاء... وله أعظم السرور ذاته وهو العشق الأول، والمعشوق الأول)

فالفارابي يرى في العقل الفعال، (واجب الوجود).. (لا ماهية له مثل ماهية الجسم.. فهو عاقل لذاته، معقول لذاته).[١]

أما ابن سينا فلا يختلف عن رؤية الفارابي، فيقول: (إن أول الموجودات عن العلة الأولى، واحد بالعدد، وذاته وماهيته موجودة لا في المادة..)[٢] وحسب نظرية الفيض الإلهي، تحصلت لدى الفارابي عملية ترتيب الموجودات ـ وأخذها عنه ابن سينا ـ في المبدعات العشرة.. أو (العقول) العشرة.. يعرضها في كتاب (عيون المسائل) فنثبت.. هنا الفقرة كاملة من الكتاب، تمكيناً لفهمها بمصطلحات أهل النظرية.

يقول الفارابي:

(وأول المبدعات عنه، شيء واحد بالعدد، وهو: (العقل الأول).. ويحصل في المبدع الأول الكثرة بالعرض لأنه ممكن الوجود بذاته، واجب الوجود (بالأول = الخالق) ويحصل من العقل الأول (العقل الثاني).. بأنه ممكن الوجود وصورته (النفس الناطقة).

ويحصل من العقل الثاني (عقل آخر) وفلك آخر تحت الفلك الأعلى.

وإن ما يحصل من ذلك، لأنه الكثرة حاصلة منه بالعرض ـ كما ذكرنا ـ بدءاً في العقل الأول. وعلى هذا، يحصل عقل وفلك من عقل، ونحن لا نعلم كمية هذه العقول والأفلاك وليس حصول هذه العقول ـ بعضها من بعض ـ متسلسلاً بلا نهاية. وهذه العقول مختلفة وأنواع.. وكل واحد منها (نوع) على حدة. والعقل الأخير منها، سبب وجود الأنفس الأرضية، من وجه.. وسبب وجود الأركان الأربعة من وجه آخر. ويجب أن يحصل من

---

(١) كتاب فصوص الحكم للفارابي صفحة ٥٨.

(٢) كتاب النجاة والإشارات والتنبيهات، ابن سينا ٢٤٦ ومثل هذا القول في كتابه عيون المسائل.

الأركان الأمزجة المختلفة على النسب التي بينها، المستعدة لقبول النفس النباتية والحيوانية والإنسانية (الناطقة). (عيون المسائل ـ ص٥٨).

ولا يخرج (**إخوان الصفاء**) عن هذا الترتيب في نظريتهم للخلق، ويمكن تلخيص رؤيتهم في الآتي:

ـ عن الواحد الأحد (اللَّه).. انبثق العقل الفعال.

ـ وعن العقل الفعال، انبثق العقل المنفعل (النفس الناطقة).

ـ وعن النفس الكلية الناطقة.. انبثقت (الهيولى) الأولى ثم الطبيعة الفاعلة الثانية في الأجسام.

ـ وعن الهيولى الأولى، انبثقت (الهيولى الثانية)... التي هي (الجسم المطلق) الذي له الطول والعرض والعمق.

ـ وعن الجسم المطلق (الهيولى الثانية).. انبثق عالم الأفلاك.

ـ ثم العناصر السفلى (كالنار والهواء والماء والأرض)..

ـ ثم المعادن والنبات والحيوان...

ـ ثم أخيراً (الإنسان).. صاحب الفكر.

ـ **ويفسر إخوان الصفاء** نظريتهم في (الخلق) فيميزون بين مدلولي: الخلق والصنع. فالأول (الخلق) إنما يكون في المجسمات، ذات الأجرام، أي: الأشياء المادية. وهو (أي: الخلق) متأخر، عن الثاني الذي هو (الصنع) وهو (ليس بشيء سوى كون الصورة في الهيولى).. وهم يريدون (المعقولات).

ـ ونقتطف هذا الشرح من الرسائل فيقولون:

ثم اعلم أن كثيراً من أهل العلم، ومن تكلم في حقائق الأشياء لا يعرفون الفرق بين (المخلوق والمصنوع، وبين المخترع والمبتدع) وهذا أحد أسباب الخلاف بين العلماء في آرائهم ومذاهبهم (قدم العالم، وحدوثه).

ـ ثم اعلم أن (الخلق) هو: تقدير كل شيء من شيء آخر.

ـ (والمصنوع) ليس شيئاً غير كون الصورة في الهيولي.

ـ وأما (الإبداع والاختراع) فهو: (شيء من لا شيء) (١)

ـ واعتمد إخوان الصفاء التحليل المنطقي لعملية الخلق، على مراحل ترتيبية ووفق نظام تدرجي، في ثلاث حالات:

ـ الأولى: (الصنع) ما قبل عالم الأشياء. (من العدم).

ـ الثانية: (الإبداع والاختراع) شيء من العدم (أي: لا شيء).

ـ ومن (المبدع): الشيء من اللاشيء (العقل الأول) جاء (الخلق) الذي هو شيء من شيء آخر.

ـ ويشرحون نظريتهم فيقولون:

ـ (إن الأمور الطبيعية أحدثت وأبدعت على تدرج ممر الدهور والأزمان) وذلك أن (الهيولى الكلية) أعني: الجسد المطلق، قد أتى عليه دهر طويل إلى أن تمخض وتميز اللطيف منه، من الكثيف، وإلى أن قبل الأشكال الفلكية الكروية الشفافة، وتركب بعضها في جوف بعض، والآن استدارت أجزاء الكواكب النيرة، وركزت مراكزها، وإلى أن تميزت الأركان الأربعة وترتبت مراتبها وانتظمت نظامها. والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

[سورة يونس، الآية: ٣]

وقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

[سورة الحج، الآية: ٤٧]

ـ وأما الأمور الإلهية الروحانية، فحدوثها (دفعة واحدة) مرتبة منتظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان.. بل قوله (كن فيكون) والأمور الروحانية الإلهية هي:

ـ العقل الفعال.

ـ النفس الكلية.

---

(١) كتاب الرسائل مجلد ٤ أ الصفحة ١١ إخوان الصفاء.

ـ **الهيولى الأولى، والصورة المجردة.**

ـ **والعقل ونور الباري تعالى**، وفيضه الذي فاض أولاً.. والنفس الكلية هي نور العقل، وفيضه الذي أفاضه الباري منه.

ـ والهيولى، هي ظل النفس وفيئها.

ـ والصور المجردة هي النقوش والأصباغ والأشكال التي عمتها النفس في الهيولى ـ بإذن اللّه سبحانه وتعالى، وتأييده له بالعقل. وهذه الأمور كلها، بلا زمان ولا مكان.. بل بقوله: ﴿كن فيكون﴾ كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

والمثال حدوث البرق وإشراق الشمس في الهواء، وإضاءة الإبصار ورؤية الأشياء دفعة واحدة بلا زمان.

وبيّن إخوان الصفاء فكرتهم في ترتيب (الموجودات = أي عالم الخلق) وهو الكون حسب زمن خلق كل منها كالآتي:

(ثم اعلم أن الأركان أربعة متقدمة في الوجود، على مولداتها بالأيام والشهور والسنين، كما أن الأفلاك متقدمة الوجود على الأركان بالأزمان والأدوار والقرانات.. وعالم الأرواح متقدم الوجود على عالم الأفلاك بالدهور الطوال التي لا نهاية لها. والباري تعالى متقدم الوجود على الكل، كتقدم الواحد على جميع الأعداد) [١]

نستخلص من جملة هذه التصورات لدى هؤلاء المفكرين العرب المسلمين فيما يخص مسألة الخلق وحقيقة ماهيته، أنهم جميعاً، يلتقون بالإقرار بوجود الخالق هو العلة لهذا الخلق... وإنه سبحانه وتعالى ـ المنزه عن الزمان والمكان، ومع أن المناهج لدى هؤلاء المفكرين تختلف من واحد إلى آخر من حيث التحليل والتعليل.

فإن الإضافات الإبداعية الجديدة التي اغتنى بها التراث الإنساني في

---

(١) كتاب الرسائل مجلد ٣ صفحة ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

هذا المضمار ورفد بها الإرث الإسلامي مجمل الثقافات الفلسفية العالمية التي كانت سائدة في تلك العصور. . فهي ـ تعتبر بحق ـ من منظور كونها تقوم على نظرية (حدوث العالم عن طريق التوالد). . المؤسس الحقيقي للنظرية المستحدثة في العصور المتأخرة التي ترى أن انبثاق الكائنات كلها ـ بعضها من بعض ـ في عالم الموجودات، هو النظام لتجدد الكون عن طريق التطور والارتقاء. . الذي تأسس عليه العالم المادي.

٦ ـ أصحاب نظرية (الكمون):

ولهؤلاء رؤيتهم الجريئة في التحليل والتعليل لمسألة خلق الكون تقول: إن اللّٰه سبحانه وتعالى قد خلق الموجودات كافة التي يتكون منها (العالم = الكون المادي) من العدم المحض. . دفعة واحدة!. .

خلافاً ـ كما قد يتبادر إلى الذهن ـ لما نجده لدى إخوان الصفاء وسواهم، على ما قرروه من أن الخلق إنما تحقق بالحدوث والتدريج. وهذه النظرية تسمى (الخلق بالكمون) وتتلخص في الآتي:

ـ إن الخالق تعالى خلق الكون دفعة واحدة. . وذلك بأن خلق صفات المادة (وأكمنتها) فيها دفعة واحدة. . وأن تقدم الموجودات بعضها عن بعض في الظهور، ليس إلا ظهور كل منها من مكمنها، ودون أن يكون ذلك (إحداث أو خلق جديد). ولكنه كمثل كمون الزيت في الزيتون والطحين في القمح. . إلخ.

ـ وفي شيء من التأمل والتروي في إعمال الفكرتين نتبين أنها المحصلة نفسها التي توصل إليها غيرهم من أصحاب المناهج الأخرى، في أن تولد الكائنات التي في الكون إنما يتحصل بانبثاق الكائنات بعضها من بعض ـ كما مر فيما سبق ـ.

ونحن إذا قرأنا في كتاب الحيوان للعالم الموسوعي الجاحظ الذي هو في عرف المفكرين واحد من مدرسة المعتزلة نقف على شروح مبسطة لهذه النظرية في (كمون) خصائص الأشياء المادية. . كما في هذا المثال:

(إن المادة الواحدة مكونة من عناصر كثيرة تكمن فيها فإذا ظهر عنصر

واحد من هذه العناصر أمام أنظارنا، فهذا يعني سيطرته على العناصر الأخرى وتغلبه عليها). (١)

ويعرض ابن النظام وهو أستاذ الجاحظ هذا المثال التطبيقي، فيقول: (الحطب مثلاً مكون من أربعة عناصر نار ودخان وماء ورماد عند احتراقه لا يعني أن النار أفق من الخارج بل تفوق النار على بقية العناصر).

وهو يريد أن ما نسميه في مصطلح أيامنا (قابلية الاحتراق) في مادة الحطب هي التي تكمن فيها، فلا تتولد إلا بالانبثاق الذي هو غلبته على سواه من العناصر بفعل عوامل الاحتكاك أو الإشعال أو ما إلى ذلك...

ونجد الجاحظ يتوسع في شرح رؤية أستاذه ابن النظام، فيعتمد المثال نفسه، فيقول: (إن احتراق الثوب والحطب والقطن، إنما هو خروج نيرانه منه). (٢)

وهذا هو تأويل الاحتراق، ليس ناراً جاءت من مكان فعملت في الحطب.. ولكن النار التي تكمن في الحطب، لم تكن تقوى على نفي ضدها عنها، فلما اتصلت بنار أخرى واشتدت منها، وقوّتها جميعاً على نفي ذلك المانع... ظهرت فعند ظهورها تجزأ الحطب وتجفف وتهافت لمكان عملها فيه.

(فإحراقك للشيء إنما هو إخراجك نيرانه منه)

وأصحاب هذه النظرية يعتمدون على الآيات القرآنية في تقرير نظرية الكمون وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾

[سورة يس، الآية: ٨٠]

ونقرأ في كتاب الملل والنحل ـ للشهرستاني، تعقيبه على آراء ابن النظام فيقول:

إن اللّه تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن

(١) كتاب الحيوان للجاحظ.

(٢) ابن النظام: أستاذ الجاحظ: وهو إبراهيم بن سيار.

معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده، غير أن اللّه سبحانه وتعالى أكمل بعضها في بعض.. فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها.[١]

ـ ويمكن لنا شرح هذا المثال لرؤية ابن النظام في مقاييس أيامنا بأن ننظر إلى الإنسان نفسه ذكراً أو أنثى، فكل منهما حتى إذا بقي طول حياته أعزب دون زوج فهو أب وأم بالقوة الإيجابية التي تكمن فيهما وما لم تفعل (أي الزواج) فهي تبقى على كمونها، وهكذا يكون ابن النظام استند في رؤية الكمون هذه إلى الآية التي تقول:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾

[سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢، ١٧٣]

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ١١][٢]

وليس بعيداً عن هذا التصور ما ذهب إليه بعض كبار الفلاسفة في أمثال **ابن حزم الأندلسي وابن القيم الجوزية**، في خلق الموجودات دفعة واحدة فقاسوا عليها (أن اللّه خلق الأرواح دفعة واحدة بكمون بعضها في بعض) على النحو الذي استعرضناه لدى إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه الجاحظ وغيرهما

رأي المؤلف:

فيما عرضناه من نظريات هي لأصحابها ولا يعني عرضها أنني مؤيد لواحدة منها أو ضدها.. فكما عرضت الكثير من النظريات الغربية عن الخلق

(١) كتاب الملل والنحل الشهرستاني.
(٢) د/ معن صلاح الدين علي، (نهج الإسلام).

وبدايته وبينت أن لكل نظرية معارضين ومؤيدين، كذلك نظرية الخلق في العالم الإسلامي لها معارضوها ولها مؤيدوها. . ولكن لسنا مع أي نظرية عربية إسلامية أو غربية تخالف الشريعة والعقيدة الإسلامية. . وللتنبيه فإن قدم العالم كما تقدم مرفوض في الشريعة والعقيدة الإسلامية رفضاً قاطعاً وهذا ما يوازي عند الغرب والوجوديين (أزلية الكون) التي دحضت من علماء آخرين وكذلك نظرية قدم العالم عرضت للعرض ولكنها مرفوضة رفضاً قاطعاً.

الفصل الثاني

١ ـ علماء الفلك في مؤتمر (بروكسل) بلجيكا عام ١٩٩٠م يؤكدون أن الإنسان في هذا الكون آخر المخلوقات خلقاً.

٢ ـ الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد أن الساعة قريب وأن الإنسان خلق في المرحلة الأخيرة من عمر الكون.

٣ ـ خلق الإنسان كما جاء في القرآن الكريم.

٤ ـ خلائف الأرض.

٥ ـ تسخير الأرض والسماوات للإنسان.

٦ ـ حقيقة الحياة المادية الجدلية.

٧ ـ ما الذي أحوج الإنسان إلى العقيدة الصحيحة؟.

٨ ـ الإنسان آخر المخلوقات على الأرض هل خلقه اللّه عبثاً؟ وما سبب ابتلائه وامتحانه؟.



.. علماء الفلك في مؤتمر (بروكسل) بلجيكا عام ١٩٩٠م يؤكدون أن الإنسان في هذا الكون آخر المخلوقات خلقاً[١]

.. في مؤتمر علمي عقد في بروكسل ببلجيكا عام ١٩٩٠م لدراسة الكون ضم المئات من علماء الفلك في شتى أنحاء العالم.... قدم كل واحد منهم دراسته العلمية عن نشأة الكون وخلق النجوم والكواكب والأقمار وأعمارها.... وخلصوا إلى نتيجة علمية فلكية، مفادها العلمي صعب الفهم على عموم الناس لكثرة الأرقام والأعداد وجداول الحساب والتي يبلغ طول الكثير منها أمتاراً لكثرة الأعداد والأصفار.. فعمدوا على تشفير هذه الأرقام كالتعبير عن رقم مليار......... ١، مثلاً ب(O) والمائة مليار (OX) ومع ذلك وجدوا أن هذا يطول بهم لكثرة الأرقام المذهلة والرموز فاتفقوا أخيراً على تشبيه عمر هذا الكون ب(يوم واحد) ٢٤ساعة.

وقالوا: في الساعة الأولى من عمر هذا الكون خلق اللّٰه سبحانه المجرات والنجوم والتي تعد بآلاف المليارات وفي الساعة الثانية فصل اللّٰه سبحانه بين هذه المجرات، وفي الساعة الثالثة خلق الكواكب والأقمار والنيازك وفي الساعة الرابعة ثبت اللّٰه هذه النجوم والمجرات في مواقعها وفي الساعة الخامسة خلق اللّٰه سبحانه الكثير من الكواكب والأقمار بعد أن فصلها عن النجوم، وفي الساعة السادسة جعل اللّٰه

---

(١) مجلة البحث العلمي ـ أكاديمية البحث العلمي ـ القاهرة
والمؤتمر معروف وقد تم إبراز نتائجه العلمية في كثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

كل هذا طباقاً وأبراجاً وسماوات... وهكذا حتى قالوا: إن اللّه سبحانه خلق الأرض في الساعة الأخيرة من هذا اليوم من عمر الكون أي في أول الساعة الرابعة والعشرين.

... وقالوا: إنه في الأجزاء الأولى من الساعة الأخيرة خلقت التربة ومن ثَمَّ ثبتت الجبال ومن ثم البحار والأنهار وبعدها خلقت النباتات والأشجار وبعدها خلق اللّه ما في البحار من خلائق ثم خلق اللّه الحيوانات بعشرات الآلاف من الأنواع والحشرات بملايين الأعداد والأشكال وفي الأجزاء المتتابعة من الساعة أوجد اللّه وقدر أقوات العباد والمهم من قولهم ونظرياتهم.... أنهم قدروا أن الإنسان خلق ووجد في الدقائق العشر الأخيرة من هذه الساعة، أو من هذا اليوم كله الذي اختصروا فيه عمر الكون كما قلت من قبل، والأهم من ذلك قولهم: إنه قد مضى على وجود الإنسان في هذه الأرض سبع دقائق من الدقائق العشر الكلية والتي هي عمر الإنسان على الأرض، ولم يبق إلا ثلاث دقائق وقالوا نحن نعيش الآن في آخر هذه الدقائق الأخيرة.

.... في البداية قلت: إن العلماء صغَّروا عمر هذا الكون واختصروا مليارات السنين[١] وجعلوها يوماً واحداً للتقريب على فهم الإنسان ومعنى هذا أن الساعة الواحدة من عمر هذا اليوم تساوي ملايين السنين والدقيقة الواحدة آلاف السنين لأن العلماء يريدون أن يعرفوا متى نشأ هذا الكون ومتى ينتهي، فهم مدركون حقيقة لا جدال فيها مطلقاً أن هذا الكون صائر إلى خراب، وواقع فيه الدمار لا محالة، فكل شيء عند علماء الفلك له عمر ينتهي معه، والكون عندهم له عمر سينتهي إليه.

واختلف كثير من العلماء متى هذه النهاية، كما اختلفوا تحديداً متى نشأ هذا الكون.

---

(١) عمر الكون ١٣ ألف مليار سنة حسب ما أوردته مجلة لايف الأمريكية.

. . . . إذاً نحن كما يقول علماء الفلك في الدقائق الأخيرة من عمر هذا الكون. . . . وما قالوه وأقروه واتفقوا عليه لا يتنافى مع ما جاء به القرآن العظيم وأحاديث رسول اللّه ﷺ ولا يتنافى ذلك مع العقل والمنطق والفهم والتقدير وليس هو بالشاذ من منطق الإنسانية ومفهومها وتقديرها وأديانها وعقائدها.

الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد أن الساعة قريب وأن الإنسان خلق في المرحلة الأخيرة من عمر الكون.

الآيات الكريمة في القرآن العظيم تؤيد ما قاله علماء الفلك وتؤكد أن الساعة قريب، ولو لم تكن الساعة وقيامها قريباً ما ذكر اللّه سبحانه في كتابه الكريم شيئاًعن ذلك، فلو أن الساعة بعلم اللّه تبعد عنا عشرات الآلاف من السنين لما ذكر اللّه سبحانه كلمة قريب في آياته الكريمة عند ذكره للساعة في أسلوب بلاغي رائع يعلمك بأن الساعة قريب دون التصريح وإليك البيان بقربها، يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾

[سورة الشورى، الآية: ١٧]

ويقول تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾

[سورة المعارج، الآيات: ٥ ـ ٧]

ويقول تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

[الأحزاب، الآية: ٦٣]

ويقول تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾

[سورة القمر، الآية: ١]

وبما أن الساعة قريب كما يقول اللّه تعالى فهذا يعني أننا لم نخلق في المراحل الأولى لعمر الكون الذي يتجاوز عمره كما يؤكد كل علماء الفلك مليارات السنين.

وكذلك فإن رسول اللّه ﷺ يؤكد في حديثه الشريف الذي رواه الترمذي: أن الإنسان خلق في الأيام الأخيرة من عمر الكون، و يقول رسول اللّه ﷺ مؤكداً أن آدم عليه السلام قد خلقه اللّه في آخر يوم من الأيام الستة

التي خلق اللَّه سبحانه فيها السموات والأرض، ومن بعد العصر أيضاً تأكيداً على ما قاله علماء الفلك بما ملكوا من أدوات تكنولوجية عظيمة أن الإنسان خلق في اللحظات الأخيرة من عمر الكون.

...... كما جاء في حديث أبي هريرة (قال: قال رسول اللَّه ﷺ **[خلق اللَّه التربة يوم السبت ، و خلق فيها الجبال يوم الأحد، و خلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، و خلق النور يوم الأربعاء و بث فيها الدواب يوم الخميس و خلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيها بين العصر إلى الليل]** (١)

ومما يؤكد هذا أن رسول اللَّه ﷺ أيضاً شبه عمر الإنسان على الأرض بيوم واحد تماماً كما فعل علماء الفلك في مؤتمرهم في بروكسل بلجيكا، ولكن علماء الفلك شبهوا و مثلوا عمر الكون كله بيوم... بينما رسول اللَّه ﷺ مثل لعمر الإنسان على الأرض منذ آدم إلى آخر رجل يخلق على هذه الأرض بيوم واحد (٢٤ الساعة) ، و يقول الرسول ﷺ أنه قد مضى على وجود الإنسان على الأرض إلى تاريخ بعثته و نزول القرآن الكريم (٢١) ساعة و لم يبق إلا (٣) ثلاث ساعات وهي الفترة ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس كما في الحديث الشريف.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال:

[إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس](٢)

و في تتمة الحديث الشريف أن اللَّه سبحانه جعل لهذه الأمة رغم قصر عمرها على هذه الأرض (ثلاث ساعات) فقط من يوم كامل أجراً عظيماً ومضاعفاً عن أجر باقي الخلق من اليهود والنصارى وغيرهم.

يقول رسول اللَّه ﷺ في تتمة الحديث الشريف وأورده كاملاً عن ابن عمر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي وذكره البخاري في تاريخه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح برقم ٢٨٨٣

[إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى على قيراط قيراط ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً قال هل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا لا قال فإنه فضلي أوتيه من أشاء]

رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح 2883

ومن الحديث الشريف نفهم أنه فيما إذا انقضت الساعات الثلاث الأخيرة من عمر الإنسان على الأرض قامت الساعة، والسؤال يبقى إذا كان عمر أمة محمد ﷺ (٣) ساعات من عمر اليوم من عمر الإنسان كله، وقد مضى على بعثة رسول اللَّه ﷺ ما يزيد على ١٤٠٠ سنة، فكم بقي من هذه الساعات الثلاث التي مضى معظمها أو قل أكثرها؟؟ وكذلك فإن رسول اللَّه ﷺ أوضح لنا في حديث آخر عن الزمن القليل الباقي من عمر البشرية على الأرض.

. . . عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ

[ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها]

رواه الحارث ابن أبي أسامة

وقال رسول اللَّه ﷺ عن أبي الكنود عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قالا قال رسول اللَّه ﷺ

[مثل الدنيا كمثل ثغب قلنا: وما الثغب، قال الغدير ذهب صفوه وبقي كدره فالموت تحفة كل مسلم] (١)

ومعنى الحديثين الشريفين أن الدنيا ذهب أكثرها وبقي القليل منها، وهذا كله يدلنا بوضوح أن قيام الساعة قريب، كما قال تعالى في بعض

---

(١) رواه البخاري.

الآيات الكريمة والتي قدّمت بعضها والتي تشير إلى هذا القرب كقوله تعالى:
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٣]

فاللّه سبحانه بين أنها قريب مع إخفائه تاريخ قرنها وسنتها وشهرها ويومها وساعتها، وذلك لتعلم البشرية أن الساعة ليست بعيدة ولنفي أي قول أيضاً أو تقدير أن قيام الساعة بعد آلاف كثيرة من السنين.

وأما الحديث الشريف الثاني الذي تقدم والذي يقول فيه رسول اللّه ﷺ:

[**خلق اللّه التربة يوم السبت**] إلى قوله [**وخلق آدم في آخر يوم بعد العصر إلى الليل**] أي إلى المغرب.

تؤكد هذه الأحاديث الشريفة الأربعة بعضها مع بعض في معناها وكل واحد منها يؤكد الثاني لأنها جميعاً تصب في معنى واحد، وهو أن الساعة قريب، وأنه لم يبق من الدنيا إلا القليل وأننا نحن أبناءَ هذا الجيل من البشر وبعد مضي أكثر من ١٤٠٠ سنة على بعثة الرسول ﷺ لم يبق إلا أقل القليل وكل هذا يؤكد حقيقة ما قاله علماء الفلك المجتمعون في بلجيكا عام ١٩٩٠م أن الإنسان خلق في الدقائق العشر الأخيرة من عمر الكون وأننا الآن في الدقائق الثلاث الأخيرة من الدقائق العشر الأخيرة.

وهذا كله أيضاً يؤكد أن قيام الساعة أصبح وشيكاً وربما أقرب مما نتصور أو نتوقع أو حتى نتخيل، دليلُ القرب الذي ما عليه أدنى شك أو غبار حديثُ رسول اللّه ﷺ

عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

[**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها**] [1]

ومعنى الحديث أن بين بعثة رسول اللّه ﷺ وقيام الساعة زمناً قليلاً جداً وقريباً كقرب أصبعيه من بعضهما السبابة والوسطى زيادة في تأكيد قربها قياساً لعمر الكون وقياساً لعمر الإنسان على الأرض.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وإذا نفينا بُعد الساعة بعشرات الآلاف من السنين من خلال الآيات الكريمة والأحاديث، لكن هذا لا يعني أن الساعة في المائة سنة القادمة أو المئتين أو الثلاثمائة أو الخمسمائة فهذا يبقى بعلم اللّه، ولا يمكن لبشر مهما أوتي من علم أن يحدد هذا بتاريخ أبداً.

خَلْقُ الإنسان كما جاء في القرآن الكريم

يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾

[سورة الحجر، الآيات: ٢٨ ـ ٣١]

إن الإنسان درة هذا الكون متفرد في خلقه، مصطفى ومفضل على كثير ممن خلق اللّه سبحانه وتعالى، سخر له السماوات والأرض وأمر الملائكة عند خلقه أن يسجدوا له سجود تحية وتسليم وإكرام. ولقد رهن اللّه سبحانه وتعالى هذا الكون على عظيم ما فيه من مليارات المجرَّات والتي تحوي كل مجرة على ما يزيد عن مائتي مليار نجم، وكذلك ما خلق اللّه سبحانه وتعالى من ملائكة وجن وما لا نعلم.. كل هذا مرهون نهايته بنهاية حياة الإنسان على الأرض وبداية يوم القيامة... وفوق هذا كله أننا لا نجد في القرآن الكريم من آية كريمة يحدثنا اللّه سبحانه وتعالى فيها أنه جعل نوعاً من خلقه خليفة في مكان خلقه إلا الإنسان حيث جعله اللّه خليفة في الأرض يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

فهذه ميزات خلقية لم يعطها أحد من خلق اللّه سبحانه وتعالى إلا للإنسان.. ومع ذلك يأبى الإنسان إلا أن يحط من شأنه ويقلل من أهميته ويذهب ما فضله اللّه به، برعونة آرائه ونظرياته التي ليس له بها علم وليس فيها سلطان من اللّه.. فتراه مرَّة يقول إن أصل الإنسان قرد كما قال داروين ووافقه بعضهم على نظريته، ومرة أنه وجد من سلالات أخرى من الماموس أو الإنسان القرد، ومرة أنه هو أي الإنسان طور نفسه بنفسه وقاوم متغيرات

الطبيعة التي أفنت غيره من المخلوقات كالديناصورات مثلاً. . فتصور أن الديناصورات على عظيم خلقها وقوتها وبدنها المتين لم تستطع أن تقاوم متغيرات الطبيعة فماتت، والإنسان على ضعفه وجسده الصغير استطاع أن يقاوم متغيرات الطبيعة واللَّه سبحانه وتعالى وصفه بالضعف.

قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾

[سورة النساء، الآية: ٢٨]

ولكن هذا لا يعني أن كثيراً من العلماء رفضوا فكرة تطور الإنسان من سلالات أخرى، فقد أثبتوا أن كل نوع من الخلق متفرد بمميزات ومواصفات وشفيرات وراثية لا يمكن أن تنتقل من سلالة إلى سلالة ولا من جنس لجنس آخر، فكل مخلوق له شيفرة وراثية وخليه خاصة به دون سواه. . فإذا قلنا: إن الإنسان أصله قرد ثم تطور فأصبح إنساناً فهذا يعني أن أي نوع من الخلق يتطور كما تطور الإنسان، فنقول إن أصل الفيل كان كلباً فتطور مع آلاف السنين فأصبح فيلاً، وأن الفيل ذاته بعد آلاف السنين تطور فأصبح غزالاً، وأن البقرة كانت حصاناً وأن الحصان كان حماراً. . وهكذا إلى ما لا نهاية من الفرضيات فندخل العلم في متاهات وأنفاق لا نهاية لها.

. . . فالعلم ورغم هذا التطور التكنولوجي الهائل لا يزال يتخبط في نظريات متعددة عن نشأة الحياة على الأرض، من الخلايا الحية الأولى إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان، وقد قدَّمت لهذه النظريات في فقرات سابقة عن نشأة الحياة، وذكرت الآراء المختلفة لنستوعب جميع النظريات والآراء، فتراها جميعاً تتشابه وتختلف تقترب وتبتعد، وفجأة ترى هناك نظرية حديثة تخالف ما قبلها فَعِلْمُ الإنسان متجدد بتجدد مكتشفاته، وعلم اللَّه سبحانه وتعالى ثابت لأنه هو الخالق وهو أعلم بما خلق.

ونأخذ مثالاً على بعض هذا الاختلاف، فمرة يقول عالم أو مجموعة من العلماء أن الديناصورات انقرضت وبادت جميعاً منذ أكثر من ٢٠٠ مليون سنة ومرة ترى مجموعة أخرى تقول من ١٠٠ مليون سنة وتارة أخرى ٧٠ مليوناً ومرة خمسين مليوناً. . وهكذا وكل يثبت نظريته بما توصل إليه من دلائل.

فالعلماء أقروا واتفقوا جميعاً على أن عمر الأرض ٤,٥ مليار سنة إلى

خمس مليارات كحد أعلى و٤,٥ مليار كحد أدنى. . ومع ذلك جميعاً لم يستطيعوا أن يثبتوا شيئاً عن الحياة ما قبل ٦٠٠مليون سنة. . وهذا يعني أن الإنسان لا يعلم شيئاً عن الأرض ونشأتها والحياة فيها طوال ٤ مليارات سنة من عمرها، وما قدَّموه هو مختصر في حقيقة هذا العمر المديد من عمر الأرض ونشأة الحياة فيها والبداية الأولى، عندما يتكلمون عن التفاعلات الكيماوية والبيولوجية والخلية الحية الأولى والبيضة الأولى والفيروس الحي الميت والبكتريا والحيوانات المائية والبرية إلى بداية العصر الكامبري وما بعده حيث بدأت التفصيلات والتحليلات بما لديهم من آثار وجودها في الصخور (المستحاثات).

. . وأما حول الإنسان فإن الاختلاف حوله كثير جداً ـ أصله وبدايته وعمره على الأرض وتاريخه في زمن المليارات الأربعة ونصف من عمر الأرض وفي بدء دوره الفاعل على الأرض.

. . . وهذا الاختلاف يؤكد أن علم الإنسان قاصر ويبقى في محور الآية الكريمة:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وأرى أن العلماء جميعاً يجب أن ينهوا هذا الجدل القائم أو التفسيرات بخصوص الإنسان بالذات، ويلتجئوا إلى خالق الإنسان ويأخذوا من كتاب اللّه تعالى نشأة الإنسان خلقه وبدايته وتاريخه وسر وجوده والهدف من ذلك كله، من كتاب اللّه سبحانه وتعالى خالق البشر فيقضي على هذا الجدل القائم. . . فكيف نختلف وكتاب اللّه بين أيدينا.

فكيف تحدث اللّه سبحانه وتعالى عن خلق الإنسان في كتابه ممَّ خلقه؟ وما الهدف من خلقه؟ وإلى أين نحن ذاهبون بعد الموت؟

فالإنسان صاحب عقل وفكر ولا يقبل عقله وفكره هذه الحياة دون أن يعرف سرَّ وجوده وسبب وجوده. . أم هو هكذا يخلق ويعيش ويموت ثم يتحول إلى تراب وكأنه لم يكن شيئاً وتنتهي أحلامه وآماله ويضيع عمله سواء أكان محسناً أم مجرماً مؤمناً أم كافراً. فيذهب سدىً ويضيع فيصبح تراباً وعظاماً وهباءً.

. . . لقد خلق اللَّه سبحانه وتعالى الإنسان برحمته وتركه يعيش على هذه الأرض برحمته، وسيُميته برحمته وسيبعثه برحمته وسيحاسبه برحمته وسيدخله الجنة أو النار برحمته. . فلولا رحمة اللَّه سبحانه وتعالى وحلمه وصبره لعشنا ومتنا دون أن نعلم شيئاً، فنكون كالأنعام تأكل وتنام وتموت ولا ندري شيئاً. . ولو شاء اللَّه سبحانه وتعالى لفعل ذلك ومن يمنعه من ذلك وهو الخالق القادر ونحن الضعفاء الذين لا حول لنا ولا قوة، ولكن حاشا للَّه سبحانه وتعالى وهو الذي سمَّى نفسه أرحم الراحمين أن يفعل ذلك بالخلق وبالإنسان لنسمع ما قاله تعالى في كل هذا.

يقول تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾

[سورة الأنبياء، الآيات: ١٦ ـ ١٧]

ويقول تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾

[سورة القيامة، الآية: ٣٦]

ويقول تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

ويقول تعالى جواباً على كلام الكفار لسيدنا محمد ﷺ ليبدل هذا القرآن بما يتناسب مع أهوائهم:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[سورة يونس، الآيات: ١٥ ـ ١٦]

فعندما سأل المشركون محمداً ﷺ أن يبدل هذا القرآن جاء الجواب من اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[سورة يونس، الآية: ١٥]

أي لو شاء اللَّه ما أرسل رسلاً وما أنزل كتباً، وترك الناس يولدون ويعيشون ويموتون دون أن يعلموا شيئاً أو يكون لهم اتصالٌ مع اللَّه سبحانه وتعالى، فهذه الرسل وهذه الكتب هي صلة الوصل بين العباد وخالقهم، وهذه هي غاية الرحمة في خلق الإنسان وحياة الإنسان وبيان شأن الإنسان.

وكذلك قال تعالى في آيات أخرى أنه حرام على قرية فعلت كذا أن لا يعيدها اللَّه ليحاسبها على عملها، وإلا كان الخلق لهواً وعبثاً وقد نفى اللَّه سبحانه وتعالى عن نفسه العبث واللَّهو كما تقدم. يقول تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ۞ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٤ ـ ٩٥]

. . . وليقل العلماء ـ علماء الطبيعة والبيئة والجيولوجيا وعلماء الفلك والفيزياء ـ ما يقولون عن خلق الإنسان، وكيف أنه تطور من أنواع كثيرة حتى وصل إلى حالته هذه التي هو عليها. . فالإنسان أكرم من في الأرض ومفضل على كثير ممن خلق اللَّه سبحانه وتعالى تفضيلاً ودرجات. يقول تعالى:

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

فالإنسان خلقه اللَّه سبحانه وتعالى خلقاً متميزاً متفرداً أسجد له الملائكة جميعاً، وسخر له السماوات والأرض، وكرَّمه وأعزه وأرسل له الرسل وأنزل له الكتب لهدايته، فهو مخلوق بعلم اللَّه وقدرة اللَّه وما ورد في القرآن الكريم فهو الحق فهو (أي الإنسان) في يوم لم يكن موجوداً. يقول تعالى:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾

[سورة الإنسان، الآية: ١]

ويقول تعالى:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾

[سورة مريم، الآية: ٦٧]

وفي يوم كان موجوداً.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾

[سورة الإنسان، الآية: ٢]

وقد وردت قصة خلق الإنسان في القرآن الكريم في أكثر من سورة وفي أكثر من آية وبين تعالى أنه خلقه من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ومن ماء.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

ويقول تعالى:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾

[سورة السجدة، الآية: ٧]

ويقول أيضاً:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾

[سورة الرحمن، الآية: ١٤]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾

[سورة الطارق، الآيات: ٥ ـ ٧]

وهكذا بين اللّه سبحانه وتعالى لنا كيف خلق الإنسان وأنه خلقه في أحسن تقويم...

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين، الآية: ٤]

وكذلك عندما تحدث اللّه سبحانه وتعالى عن خلق الإنسان في سورة (المؤمنون) ختم الآيات بقوله:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون، الآية: ١٤]

فكيف يتحدث أولئك عن خلق الإنسان وأنه تطور من سلالات، وأن إحدى هذه السلالات القرود، واللّه سبحانه وتعالى يعتبر خلق الإنسان أمراً عظيماً، فقد سوَّاه وأحسن خلقه وجعله في أحسن تقويم.. فكيف جعله في أحسن تقويم.. وهو متطور من مخلوقات دنيا ومتدنية مثل القرود وحاشا للّه سبحانه وتعالى وتبارك اللّه عما يفتري بعض الناس ظلماً وزوراً وبهتاناً.

والحديث عن خلق الإنسان يطول والآيات كثيرة ولكني أردت أن أنهي هذه الفقرة بتفسير الفخر الرازي عن الآية الكريمة التي هي عنوان هذه الفقرة والتي يقول تعالى فيها:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾

[سورة الحجر، الآيات: ٢٨ ـ ٣٠]

اعلم أنه تعالى لما ذكر حدوث الإنسان الأول، واستدل بذكره على وجود الإله القادر المختار ذكر بعده واقعته، وهو أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود له فأطاعوه إلا إبليس فإنه أبى وتمرد، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: ما تفسير كونه بشراً، فالمراد منه كونه جسماً كثيفاً يباشر ويلاقي، والملائكة والجن لا يباشرون للطف أجسامهم عن أجسام البشر، والبشرة ظاهر الجلد من كل.

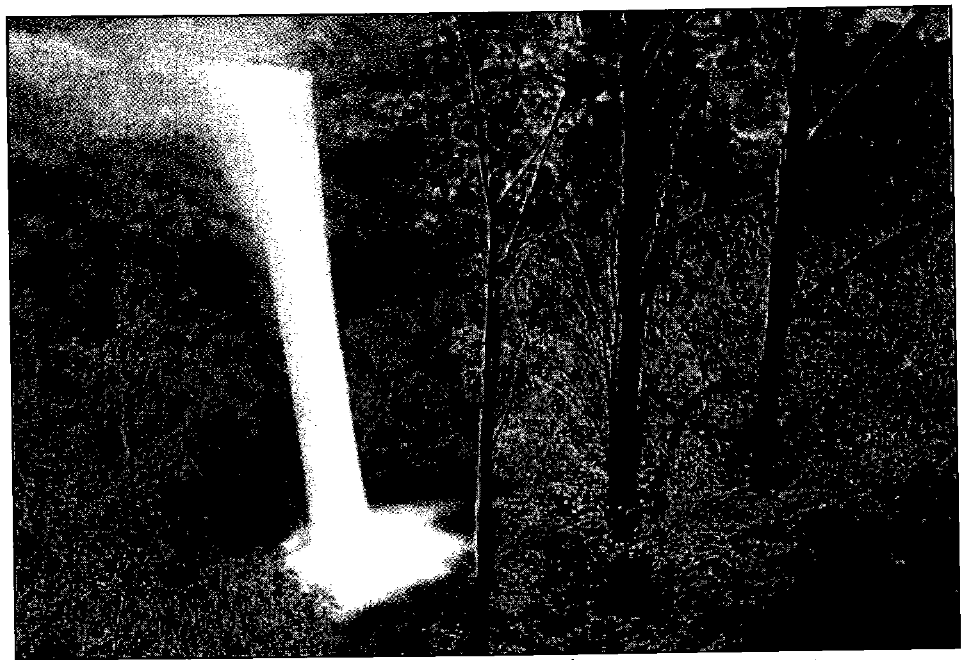
سورة الحجر قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية: ٣٢].

وأما كونه من صلصال من حمإٍ مسنون فقد تقدم ذكره. وأما قوله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ ففيه قولان: الأول: فإذا سويت شكله بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية.

والثاني: فإذا سويت أجزاء بدنه باعتدال الطبائع وتناسب الأمشاج كما قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ .

وأما قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ ففيه مباحث: **الأول**: أن النفخ إجراء الريح في تجاويف جسم آخر، وظاهر هذا اللفظ يشعر بأن الروح هي الريح، وإلا لما صح وصفها بالنفخ إلا أن البحث الكامل في حقيقة الروح سيجيء في قوله تعالى ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وإنما أضاف الله سبحانه وتعالى روح آدم إلى نفسه تشريفاً له وتكريماً. وقوله ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ فيه مباحث: أحدها: أن ذلك السجود كان لآدم في الحقيقة أو كان آدم كالقبلة لذلك السجود، وهذا البحث قد تقدم ذكره في سورة البقرة. وثانيهما: أن المأمورين بالسجود لآدم عليه السلام هم كل ملائكة السماوات أو بعضهم أو ملائكة الأرض، من الناس من لا يجوِّز أن يقال: إن أكابر الملائكة كانوا مأمورين بالسجود لآدم عليه السلام، والدليل عليه قوله تعالى في آخر سورة (الأعراف) في صفة الملائكة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ۩﴾ فقوله ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ يفيد الحصر، وذلك يدل على أنهم لا يسجدون إلا لله تعالى وذلك ينافي كونهم ساجدين لآدم عليه السلام أو لأحد غير الله سبحانه وتعالى، أقصى ما في الباب أن يقال: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ يفيد العموم، إلا أن الخاص مقدم على العام، وثالثهما: أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى كما نفخ الروح في آدم عليه السلام وجب على الملائكة أن يسجدوا له، لأن قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ مذكور بفاء التعقيب وذلك يمنع من التراخي وقوله ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قال الخليل وسيبويه قوله ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ توكيد بعد توكيد، وسئل المبرد عن هذه الآية فقال: لو قال فسجد الملائكة، احتمل أن يكون سجد بعضهم، فلما قال ﴿كُلُّهُمْ﴾ زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم بعد هذا بقي احتمال آخر. وهم أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد منهم في وقت آخر، فلما قال ﴿أَجْمَعُونَ﴾ ظهر أن الجميع سجدوا دفعة واحدة، ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال: وقول الخليل وسيبويه أجود، لأن ﴿أَجْمَعُونَ﴾ معرفة فلا يكون حالاً، وقوله ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أجمعوا على أن إبليس كان مأموراً بالسجود لآدم، واختلفوا في أنه

هل كان من الملائكة أم لا؟ وقد سبقت هذه المسألة بالاستقصاء في سورة البقرة وقوله ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ استئناف وتقديره أن قائلاً قال: هلّا سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه [1]



مليارات السنين مرت على الأرض وهي تتشكل وتتجمل في خضرتها وأنهارها وجبالها وكل ذلك ولم يخلق الإنسان بعد وما خلق إلا في الفترة القريبة بعد مليارات السنين

(١) تفسير الفخر الرازي التفسير الكبير ومفاتيح الغيب الجزء ١٠ صفحة ١٩٠ ـ ١٩١.

خلائف الأرض

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

ويقول تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ١٦٥]

ويقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾

[سورة فاطر، الآية: ٢٩]

هذه آيات كريمة تشير إلى أن اللَّه سبحانه لعلمه وقدرته جعلنا خلائف في الأرض.. فما معنى خلائف؟ وهل المقصود أننا نخلف اللَّه سبحانه بما أنه هو خالق هذه الأرض؟ أم خلائف في حكم اللَّه سبحانه؟ أم خلائف يخلف بعضنا بعضا؟ ولماذا جعلنا اللَّه سبحانه خلائف؟ وهل غيرنا من الخلق في السماء خلائف على كواكبهم التي يعيشون عليها مثلنا؟ وهل الملائكة خلائف في السماوات؟ وهل الجن خلائف في الأرض أيضاً؟

... الحقيقة أن هناك كثيراً من التساؤلات حول خلافة الأرض.. وأيضاً هناك كثير من التفسيرات، وثَمَّ اختلاف في وجهات النظر فمنهم من يتحرج أن يقول نحن خلفاء اللَّه في الأرض، لأن اللَّه سبحانه لا يخلفه أحد.. ومنهم من قال نحن خلفاء نخلف بعضنا بعضاً، ومنهم من قال نحن خلفاء اللَّه في حكمه لقوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

.... فلنستطلع رأي بعض المفسرين قبل الدخول في هذه المسألة المهمة وكيف نكون نحن خلفاء الأرض؟.

يقول الفخر الرازي في التفسير الكبير:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ : يقول الفخر الرازي: جاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فكانا مفعولين ومعناه مصير في الأرض خليفة ويقول: إن الظاهر أن الأرض الواردة في الآية الكريمة جميع الأرض من المشرق إلى المغرب وروى عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: **دحيت الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت وهم أول من طاف به وهو في الأرض** التي قال اللّه تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والأول أقرب إلى الظاهر ويقول الفخر الرازي: الخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ فأما المراد بالخليفة من؟ ففيه قولان **أحدهما**: أنه آدم عليه السلام وقوله ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ المراد ذريته لا هو **والثاني**: أنه ولد آدم، أما الذين قالوا المراد آدم عليه السلام فقد اختلفوا في أنه تعالى كما سماه خليفة وذكروا فيه وجهين **الأول** بأنه تعالى كما نفى الجن من الأرض وأسكن آدم الأرض وكان آدم عليه السلام خليفة لأولئك الجن الذين تقدموه. يروى ذلك عن ابن عباس. **الثاني**: إنما سماه اللّه خليفة لأنه يخلف اللّه في الحكم بين المكلفين من خلقه وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي متأكد بقوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أما الذين قالوا المراد ولد آدم فقالوا إنما سماهم خليفة لأنهم يخلف بعضهم بعضاً وهو قول الحسن ويؤكده قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى، وقرئ خليفة بالقاف. فإن قيل ما الفائدة في أن قال اللّه تعالى للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ مع أنه منزه عن الحاجة إلى المشورة والجواب من وجهين. **الأول**: أنه تعالى علم أنهم إذا اطلعوا على ذلك السر أوردوا عليه ذلك السؤال فكانت المصلحة تقتضي إحاطتهم بذلك الجواب فعرفهم هذه الواقعة لكي يوردوا ذلك السؤال ويسمعوا ذلك الجواب. **الوجه الثاني**: أنه تعالى علّم عباده المشاورة [١].

---

(١) تفسير الفخر الرازي جزء ١ صفحة ١٨٢

وفي صفوة التفاسير للصابوني:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي اذكر يا محمد حين قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي خالق في الأرض ومتخذ فيها خليفة يخلفني في تنفيذ أحكامي وهو آدم أو قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل [١]

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

واذكر أيها النبي لقومك حين قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة هو آدم استخلفته في عمارة الأرض وفي تنفيذ أحكامي فقال الملائكة في نفوسهم أتجعل فيها من يفسد فيها بالشرك وفعل المعاصي؟ وقد علموا ذلك بتعليم اللّه بوجه ما، والمعنى أتجعل فيها من يريق الدماء المحرمة بالقتل والأذى والعدوان، ونحن شاكرون حامدون لك، وننزهك عما لا يليق بك؟ قال: أعلم ما لا تعلمون أنه سيكون من الخليفة أنبياء وصالحون [٢].

وفي تفسير السعدي:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر وهو أن اللّه حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك وأن اللّه مستخلفه في الأرض. [٣]

في هذه التفاسير وغيرها اختلاف وتقارب وأن المتفق عليه هو أن جميع التفاسير **لم تقل أن الإنسان خليفة اللّه في الأرض** دون تحديد نوعية الخلافة فلم يطلق تفسير واحد خلافة الإنسان للّه على الأرض.. وهذا هو الصحيح فاللّه سبحانه لا يخلفه أحد من خلقه وكيف يخلف عبد مخلوق خالقه؟ إنما نحن نخلف اللّه في حكمه وبما أراد في الأرض.. أو نخلف بعضنا بعضاً جيلاً بعد جيل فالبشر تموت فالأبناء تخلف الآباء والآباء تخلف الأجداد وهكذا إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني صفحة ٣٧

(٢) الموسوعة القرآنية الميسرة

(٣) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن صفحة ٤٨

وسواء كنا خلفاء اللّه سبحانه في أحكامه، أو خلفاء يخلف بعضنا بعضاً نكون خلفاء في إعمار الأرض، وبناء دورها ومزارعها واستخدام زرعها ومياهها ونعم اللّه فيها. . وفي كل الوجوه الخلافة تكريم للإنسان وتعظيم لشأنه وبيان قيمته عند اللّه سبحانه.

فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أُكرم بهذه الطريقة التي لم يكرم اللّه سبحانه بها أحداً من خلقه، إذ أمر الملائكة دون استثناء لأحد منهم أن يسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام، وربما لم يكن هذا لأحد من خلق اللّه من قبل، ودليل اكتمال الإكرام أن اللّه سبحانه لما أمرهم بالسجود لم يستثن أحداً من الملائكة ولا حتى الملائكة المقربين جبريل وميكال ومالك ورضوان وملك الموت وكذلك حملة العرش ذلك من قوله ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾

[سورة الحجر الآيات ٢٨ ـ ٣٠]

فهذا التكريم الإلَهي شيء عظيم وفي علم اللّه سبحانه أمره فلماذا يأمر اللّه ملائكته جميعاً بالسجود لآدم سجود تحية وتكريم؟ ولماذا يجعله خليفة في الأرض؟ ولماذا جعل له جنات عرضها السماوات والأرض؟ ولماذا سخر له ما في السموات والأرض؟ ولماذا؟ ولماذا أسئلة لا تنتهي حول خلافة الإنسان الأرض وتكريم اللّه له بسجود الملائكة.

ومن صور هذا الإكرام أن اللّه سبحانه قال:

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

فالإنسان مخلوق قُيِّم من خلال عقله الذي خلقه اللّه سبحانه وميزه عن كثير من الخلائق، إذ استطاع الإنسان بهذا العقل أن يحتوي

الكون كله ومن خلاله توصل إلى حقائق الوجود والكون والفضاء والأرض، بل صنع آلة أوصلته إلى القمر، وصنع آلة وصلت إلى كوكب المريخ والمشتري وغيره، وصنع آلة أرسلها إلى الفضاء الخارجي خارج حدود المجموعة الشمسية، وهو يحاول، ويحاول، وأرسل رسالة إلى الفضاء يكلّم فيها المخلوقات العاقلة ليتعرف عليها. . الإنسان مخلوق محبوب إلى اللّٰه سبحانه.

فالإنسان يمثله العقل والعقل يمثل الإنسان. . فعندما علم اللّٰه سبحانه آدم أسماء الأشياء سرعان ما تعلم وأتقن، وعندما سأله اللّٰه سبحانه أن يذكر للملائكة أسماء هذه الأشياء التي عجزوا هم عن ذكرها، ذكرها جميعاً واعتذرت الملائكة عن قولها السابق، وقالوا سبحانك من أين لنا العلم فإذا لم تعلمنا ما علمنا شيئاً.

يقول تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

[سورة البقرة الآيات ٣١ ـ ٣٣]

هذه الآيات الكريمة هي محاورة بين الخالق وبين الملائكة ليدل الملائكة على عظيم أمر الإنسان وعظيم خلقه وعقله وفي الحديث القدسي: (لما خلق اللّٰه العقل قال له: أَقْبِلْ فأقبلَ ثم قال له أدبر فأدبر قال: ما خلقت خلقاً أحب إلي منك بك آخذ وبك أعطي) [١]

وكما أن اللّٰه سبحانه جعل الإنسان خليفة في الأرض كذلك جعله الوارث لجنات اللّٰه يوم القيامة فإذا كنا في الدنيا مستخلفين على مال اللّٰه سبحانه لقوله تعالى ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة الحديد، الآية: ٧]

---

(١) رواه عبد اللّٰه بن أحمد مرسلاً ورواه الطبراني عن أبي أمامة وأبي هريرة رضي اللّٰه عنهما.

فكما أننا خلفاء في الأرض كذلك نحن مستخلفين على مال اللّٰه سبحانه في الدنيا فإذا ما جاءت الآخرة دخلنا بإذن اللّٰه بعد رحمته جناته الخالدات التي وعد فيها وكنا الوارثين وقال تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

وقال أيضاً:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

ولذلك وبفضل اللّٰه سبحانه يورثنا الأرض في الجنة كل حسب عمله وهذه منة عظيمة من أرحم الراحمين.

يقول اللّٰه تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

[سورة الزخرف، الآية: ٧٢]

ويقول تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾

[سورة مريم، الآية: ٦٣]

ويقول تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

ولقد جاء هذا التكريم الإلٰهي للإنسان في الدنيا أن اللّٰه سبحانه عرض الأمانة، أمانة التكليف، على السماوات والأرض والجبال فأبت جميعاً أن تحمل هذه الأمانة، وهل أعظم من السماء والأرض والجبال أن تحمل الأمانة وتكون لها القدرة عليها، ومع ذلك أبت حملها خشية من اللّٰه سبحانه وأشفقت من هذا الحمل الثقيل.. فعرضها اللّٰه على الإنسان فقبلها، من خلال هذا العقل الذي وهبه إياه والذي هو أحب ما خلق اللّٰه على اللّٰه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

[سورة الأحزاب، الآية: ٧٢]

فهذا أمر عظيم يبين اللّه سبحانه فيه فضل الإنسان الذي قبل خلافة الأرض وتكليف الأمانة والعبادة والطاعة.. فالإنسان متفرد بأمرين والمخلوقات من جماد وحيوان ونبات متفردة بأمر.

فالمخلوقات التي ذكرت تسبح اللّه سبحانه،

يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وأما الإنسان فله ميزة العبادة والطاعة والتسبيح فهو مميز على المخلوقات.. فحمله أمانة التكليف فحملها، وكان عابداً طائعاً بعقله وقلبه وجسده، مسبحاً ذاكراً للّه، فسخَّر اللّه سبحانه له في الدنيا كل ما في السماوات وما في الأرض. يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

وقال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٣]

... إذاً فخلافة الأرض وأن يكون الإنسان خليفة اللّه في حكمه، وأن يسخر له ما في السماوات والأرض، وأن يعد له جنات عرضها السماوات والأرض أمر عظيم أكرمنا اللّه سبحانه به، أفلا يستحق هذا الإله العظيم منا الطاعة والعبادة، وأن نكون له من الشاكرين الحامدين الذاكرين المسبحين، فيا خسارة من خسر ويا فوز من فاز بالجنة وبرضا اللّه سبحانه.



المجرّات والنجوم وكل
ما في الأرض من بحار وجبال ونبات
وحيوان سخرها اللَّه سبحانه للإنسان

يقول تعالى:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٥]

. . . أفبعد كل هذا التكريم الإلَهي للإنسان نعبد غيره من حجر ونجم وقمر وحيوان؟

أفبعد كل هذا التكريم الإلَهي للإنسان يُصرُّ بعضهم على إهانة الإنسان، ويعتبر أن أصل الإنسان قرد، أو أن الطبيعة عبر ملايين السنين أوجدته. . . . فتعالى اللَّه عما يشركون ويصفون ويقولون وهو العلي الكبير.

تسخير السماوات والأرض للإنسان

قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة الحج، الآية: ٦٥]

ويقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

صدق اللَّه سبحانه وتعالى إذ قال: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾.. فأنت تقف أمام آيات اللَّه سبحانه وتعالى، وما تقرأ من آية إلا وجدت فيها عظمة وإعجازاً يفوق الإدراك والتخيل، وربما فيها من المعاني ما لا يستطيع قلمك أن يكتب فيها، لأنك لا تستطيع أن تكتب ما ليس لك به علم أو معرفة أو جزء من معرفة.

وهذه الآية الكريمة العظيمة.. عظيمة في كلماتها عظيمة في معانيها. عظيمة في إعجازها، عظيمة في مدلولها.

ولقد جاءت آية أخرى في هذا السياق وهذا المعنى تؤكد للناس أن اللَّه سبحانه وتعالى سخر لهم ما في السماوات والأرض.

يقول تعالى أيضاً في هذا المعنى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٣]

وكل آية تؤكد معنى الآية الأخرى وتؤكد أن اللَّه سبحانه وتعالى سخَّر

للناس ما في الأرض وما في السماوات وزاد في آية سورة الجاثية ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ لنعلم أن كل شيء في السماوات والأرض دون استثناء مسخر للناس في الأرض.

وهذا التأكيد يشبه تأكيد اللّه سبحانه وتعالى عندما أمر الملائكة أن تسجد لآدم فسجدوا إلا إبليس لأنه كان من الجن.. وحتى لا يلتبس القول هل سجد الملائكة جميعاً أم بعضهم أواستثنى اللّه سبحانه وتعالى أحداً منهم، من ملائكته المقربين، جاء التأكيد الإلٓهي بل جميعاً **يقول تعالى:**

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾

[سورة الحجر، الآيات: ٢٨ ـ ٣٠]

...وإذا ضربنا مثلاً في هذا المعنى من الآيات من سورة الحجر، فإنما قصدت أيضاً أن أبين عظيم خلق الإنسان وأهميته عند اللّه سبحانه وتعالى، الذي سخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، وأجلَّه وأكرمه منذ بداية خلقه إذ أمر الملائكة جميعاً أن يسجدوا لآدم أي للإنسان سجود تحية وتقدير، وليس سجود عبادة فسجود العبادة لا يكون إلا للّه وحده.

... فماذا في هذه الآية من دلائل قدرة اللّه وإعجاز اللّه في خلقه.. نعم إن وراء هذه الآية الكريمة معان عظيمة وآيات معجزات وعلم لما في السماوات والأرض لا يكون إلا من اللّه سبحانه وتعالى.

... ولعظيم أمر هذه الآية الكريمة أردت قبل التفسير العلمي أن نستطلع ما كتبه بعض المفسرين وذلك يزيدنا إيماناً ويزيدنا علماً وفهماً لمعاني الآية الكريمة.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ألم تعلموا أيها الناس أن اللّه العظيم الجليل سخر لكم ما في السماوات، من شمس وقمر ونجوم لتنتفعوا بها، وسخَّر لكم ما في الأرض من جبال وأشجار وثمار وأنهار مما لا يحصى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أي وأتم عليكم أيها الناس نعمه

العديدة، الظاهرة المرئية كنعمة السمع والبصر والصحة والإسلام، والباطنة الخفية كالقلب والعقل والفهم والمعرفة(١)

ويقول ابن كثير في تفسيره:

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾

يقول تعالى منبهاً خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار، وما خلق لهم من أنهار وأشجار وزروع وثمار وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة (٢)

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾

ألم تروا أيها الناس أن اللَّه ذلَّل لكم جميع ما في السماوات من الشمس والقمر والنجوم والسحب وغير ذلك، مما فيه المنفعة، وما في الأرض من الثمار والزروع والأنهار والدواب والمعادن وغير ذلك. بأن مكنكم من الانتفاع به وأتم وأوسع عليكم نعمه الظاهرة: وهي ما يعلم بالمشاهدة كالصحة والمال والولد والجمَال والخلق والطاعة، ونعمه الباطنة: وهي ما لا يعلم إلا بدليل كالمعرفة والعقل وحسن التدبير والرضا وتحصيل العلوم وحسن الاعتقاد (٣)

وفي التفسير الوسيط للزحيلي:

هذه آية تنبه على الصفة الدالة على الصانع وهو اللَّه سبحانه وتعالى وذلك أن تسخير هذه الأمور العظام كالشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والحيوان والنبات إنما هو من اللَّه المسخر والمالك، لذا نبه القرآن المشركين لهذا قائلاً لهم أيها المشركون ألم تعلموا دلائل التوحيد الناطقة بوحدانية اللَّه وقدرته على كل شيء وإنعامه عليكم فهو سبحانه ذلل لكم

---

(١) تفسير الصابوني (صفوة التفاسير) صفحة ١٠٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة ٦٧.

(٣) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٤١٤.

جميع ما في السماوات والأرض ويسَّر لكم خزائن الأرض من معادن وأنهار وبحار وأكمل عليكم نعمه ظاهرة وباطنة.

. . . لقد تم نقل هذه التفسيرات ببعض الإيجاز وذلك لنضع أنفسنا أمام رأي المفسرين ونجد تشابهاً في التفسير بين جميع المفسرين، وهو أن اللَّه سبحانه وتعالى سخر لنا ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم، وسخر لنا ما في الأرض من جبال ووديان وبحار وأنهار ونبات وشجر.

. . . وما يهمنا من التفسير: أن جميع المفسرين قالوا إن اللَّه سبحانه وتعالى سخَّر لنا ما في السماوات أي القمر والشمس والنجوم. . أي جميع النجوم وما يلفت النظر هو كلمة (النجوم) وهذا صحيح لأن قوله تعالى يشير إلى هذا ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي النجوم والكواكب وكل ما في السماء من مجرَّات عظيمة.

. . . والسؤال ما معنى هذا؟ ولماذا سخر اللَّه لنا السماوات وما فيها؟

فإذا عقلنا القول أن اللَّه سبحانه وتعالى سخَّر لنا ما في الأرض وهذا حسب ما نراه صحيحاً، وإلا كيف نعيش على ظهرها إذا لم تسخر لنا الأرض جميعاً وبما فيها. . ولكن لماذا سخر لنا السماوات؟ وماذا نفعل بها؟ أي شيء نستفيد منها. . . فالشمس والقمر نستفيد منهما لضرورة الحياة على الأرض ولكن ما تكون الشمس وما يكون القمر أمام مليارات النجوم والكواكب التي تسبح في السماء. . وكذلك فإن اللَّه سبحانه وتعالى لم يقل ألم تروا أن اللَّه سخر لكم ما في السماء وما في الأرض. . ولكن قال ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي كل ما في السماوات السبع.

. . . علماء الفلك وصلوا إلى بعض علم عن السماء الأولى وما خفي منها حتى الآن ورغم كل هذا العلم وهذه المراصد الفلكية العملاقة، وهذه السفن الفضائية هي أكبر بكثير مما علم عنها، ومع ذلك فإنهم قدَّروا أن ما في السماء من المجرَّات ما يزيد عن مليار مليار مجرَّة، وأن أي مجرة وسطياً تحوي ما يزيد عن ٢٠٠ مليار نجم غير الكواكب، فهي أرقام كبيرة وملك عظيم وسعة لا يعلم مداها إلا اللَّه سبحانه وتعالى، وقد قدَّمت في آيات أخرى عن سعة السماء وسعة ملك اللَّه سبحانه وتعالى.

ولكن يبقى السؤال لماذا سخَّر اللَّه سبحانه وتعالى هذه السماوات وهذه

المليارات من المجرات والنجوم والكواكب وماذا نفعل بها وما تدره علينا من فائدة.

. . . فإذا قلت لفلان هذه أرض سخرتها لك فمعنى ذلك أن تأخذ الأرض وتزرعها وتستفيد منها ومن خيراتها. . . ولكن الإنسان وبعد هذا التقدم الهائل في علم التكنولوجيا وعلم الفلك والاتصالات لم يصل بجسده إلى أبعد من القمر وهو الذي لا يبعد عنا سوى ٢٨٤ ألف كم أي ثانية واحدة ضوئية فإذا قلنا إن أقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية يبعد عنا ٤,٥ سنوات ونصف سنة ضوئية وأبعد مجرة عنا تزيد عن مليارات السنوات الضوئية ومع ذلك لم نصل إلا إلى مسافة ثانية ضوئية واحدة وهي المسافة بيننا وبين القمر. . . وأتصور والعلم عند اللّه أن الإنسان لا يمكن له أن يصل إلى أقرب نجم إلى الأرض وهو (قنطاريوس) الذي يبعد ٤,٥ سنوات ضوئية حتى ولو بعد حين لأن الأمر فوق طاقة الإنسان مطلقاً. . فسرعة السفن الفضائية اليوم وبعد كل هذا التطور لا تزيد عن ٤٠ ألف كم في الساعة ويعني هذا أننا بحاجة إلى مليون سنة لنصل إلى أقرب نجم إلينا. . فكيف يكون هذا وتطور سرعة السفن الفضائية من عام ١٩٦٨ وحتى هذه الساعة لم يزداد كثيراً فمثلاً كانت سرعة سفينة الفضاء ٢٠ ألف كم في الساعة فأصبح اليوم ٤٠ ألفاً في الساعة.

. . . إذاً الوصول إلى هذه الكواكب والنجوم والاستفادة منها أمر صعب المنال ومستحيل وهذا تماماً يؤكد قوله تعالى:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

. . . إذاً لماذا سخَّرها اللّه سبحانه وتعالى لنا؟ طالما أننا لا نستطيع الوصول إليها واستثمارها فلابدَّ أن يكون هناك سبب آخر للتسخير أو طريقة أخرى نستفيد منها أو هي تفيدنا من حيث لا ندري ويكون ذلك من تمام الآية ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ وأن تكون هذه من النعم الباطنة التي لا ندري عنها شيئاً سوى الإدراك بالعقل دون الإفادة من الجسد، ولو لم يكن هناك فائدة من التسخير لما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾ وهذا إعجاز أي انظروا في السماوات وكيف سخرتها لكم بما فيها جميعاً وقال ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

. . . فلو كان الأمر من عند محمد ﷺ وحاشا للّه ذلك لقال (وسخر لكم ما

في الأرض) فهذا أدعى للتصديق لأن الإنسان فعلاً يرى أن الأرض مسخرة له وهي بين يديه تعطيه من طعامها وثراها وتخرج له ما في باطنها وما في بحارها . . . ولكن طالما أن القرآن منزل من عند اللّه قولاً واحداً لا جدال فيه وهذا هو الإعجاز الإلّهي قال ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وجميع ما فيهما.

نعم هذا هو الإعجاز الإلّهي أن يقرر تسخير السماوات للإنسان وهو أعلم لماذا سخَّرها وما يستفيد منها الإنسان أو ما هو موقع السماوات بالنسبة للإنسان.

. . . **وأول الأمر** يفيدنا أن الإنسان أعظم من السماوات والأرض عند اللّه سبحانه وتعالى ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى سيطوي السماوات والأرض يوم القيامة ولا يطوي الإنسان.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

ويقول تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

ويقول تعالى:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

وثاني الأمر: أن الإنسان استطاع أن يحتوي الكون بعقله وعرف من خلال عقله ماذا في الكون، ونجح في التفكير في السماوات والأرض وعلم قدرة اللّه سبحانه وتعالى فيها، واكتشف علمياً ماذا في السماوات من كواكب ونجوم ومجرَّات وحدد أعدادها ومواقعها وسمَّاها بأسمائها وعرف كيف خُلق الكون وكم عمره ودرس الأرض وغلافها الجوي وباطنها وما تحويه من ثروات واستغلها، وكل ذلك من خلال عقله الذي ميزه اللّه سبحانه وتعالى به عن باقي المخلوقات، حتى عن الملائكة والملائكة المقربين وذلك واضح وجلي من بيان اللّه سبحانه وتعالى في آياته عندما تحدَّث عن خلق آدم أول البشر وهو رمز لخلقه من البشر أجمعين.

يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآيات: ٣٠ ـ ٣٣]

... ومن الآيات الكريمة يتبين لنا أن اللّه سبحانه وتعالى ميز آدم عليه السلام من الملائكة بأن علمه علم الأشياء وأسمائها ذلك من خلال عقله القادر على الفهم والاستيعاب وهذا العلم حجبه عن الملائكة ودليله قوله تعالى:

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٢]

وثالث الأمر: أن اللّه سبحانه وتعالى اعتبر العقل من أحب المخلوقات إليه ذلك لقدرته على فهم معنى العبادة والطاعة وشهادة أن لا إله إلا اللّه وقدرته على استيعاب التعامل مع الموجودات واستثمارها واستغلالها وأن يكون خليفة في الأرض التي باركها اللّه سبحانه وتعالى دون سائر الكواكب.

يقول تعالى:

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾

[سورة فصلت، الآيات: ٩ ـ ١٠]

... ومن الآيات ندرك أن اللّه سبحانه وتعالى بارك في هذه الأرض من أجل الإنسان الذي خلقه وخلق عقله وكان من أحب المخلوقات إليه.

يقول تعالى في الحديث القدسي:

(لما خلق اللّه العقل، قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر. قال ما خلقت خلقاً أحب إليَّ منك، بك آخذ وبك أعطي) (١)

---

(١) رواه عبد اللّه بن أحمد عن الحسن مرسلاً والطبراني عن أبي أمامة وأبي هريرة رضي اللّه عنهما.

ورابع الأمر: أن اللّه سبحانه وتعالى خلق السماوات على عظيم ما فيها والأرض وما فيها والجبال الرَاسيات وضخامتها والمجرَّات ومليارات نجومها وكواكبها، لكن كل هذا على عظيم خلقه أبت أن تحمل الأمانة التي عرضها اللّه سبحانه وتعالى عليها أي على السماوات والأرض فَعرض الأمانة على الإنسان فحملها ورضي بهذا التكليف الإلَهي العظيم.

يقول تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية: ٧٢]

وخامس الأمر: أن اللّه سبحانه وتعالى أكرمنا وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً

يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

وسادس الأمر: أن اللّه سبحانه وتعالى لما خلق الكون (السماوات والأرض) وجعل فيها مليارات الكواكب والنجوم والمجرَّات قال عنها:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾

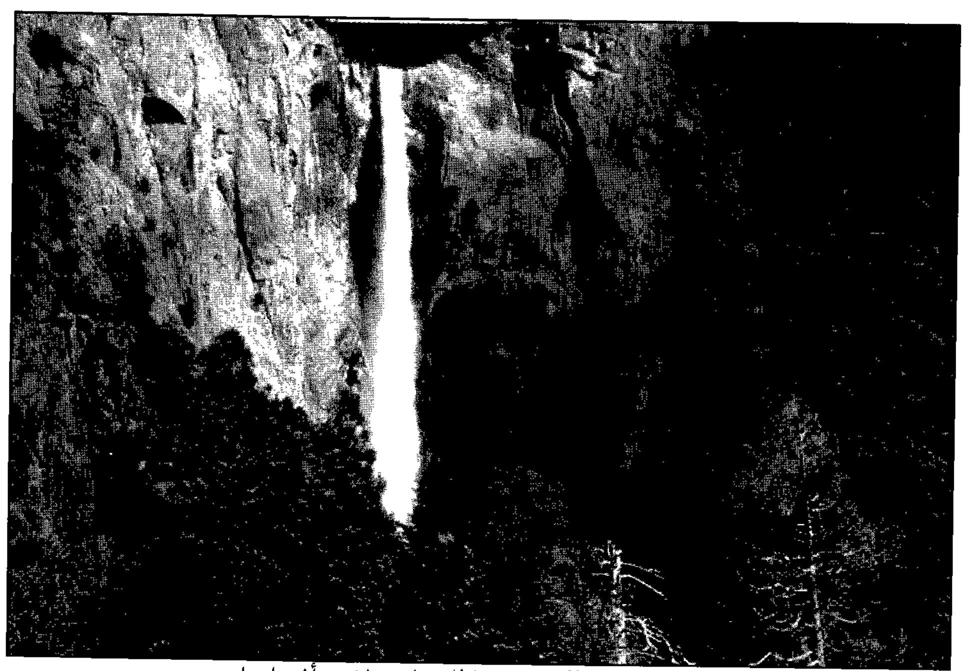
﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

ولا نريد أن ندخل المدخل العلمي الآن في تفسير هذه الآيات فإن لهذه الآيات وتفسيرها العلمي موقع آخر في هذه الموسوعة... ولكن ما وددت قوله على الأقل في الأمر أن كواكب المجموعة الشمسية جميعاً ثبت وما من شك أنها خالية من أي نوع من الحياة، فسخر سبحانه وتعالى الجامد للعاقل ولم يسخر العاقل للجامد وهذا هو إكرام الإنسان، فما وصل إليه علم الإنسان اليوم وما استطاع علماء الفلك أن يصلوا إليه اليوم هو كواكب المجموعة الشمسية والتي أكدوا على خلوها من الحياة، وأما إذا خرجنا خارج حدود المجموعة الشمسية إلى أقرب نجم إلينا وهو ما سماه العلماء (قنطاريوس) فإننا

بحاجة إلى سفينة فضائية حديثة جداً للذهاب إليه، وقدر العلماء الوصول إليه بنحو من مليون سنة وعمر الإنسان على الأرض ما بين الستين والسبعين سنة.. إذاً ماذا في الكون الخارجي وهل يوجد حياة في المجرات التي تبعد عنا مليارات السنين الضوئية فهذا من المستحيل علمه ومعرفته وعلماء الفلك يبحثون بكل الوسائل المتاحة لمعرفة هل هناك حياة أخرى في الكون الفسيح؟

على كلٍّ لهذه الساعة، الإنسان سيد الكون المنظور، حمل الأمانة وكرَّمه اللَّه سبحانه وتعالى وهو الكائن العاقل الذي عرَّف اللَّه سبحانه وتعالى قدره فسخَّر له السماوات والأرض من مميزاته التي ذكرت ولم يسخر له هذا بالعشوائية إنما من علم اللَّه سبحانه وتعالى.. فكيف يستطيع محمد ﷺ أن يقرر ويسخر السماوات والأرض للإنسان وهو لا يعلم ولا كل الخلق في ذلك الزمان عن السماء والسماوات أي شيء سوى أنها نجوم تلمح في كبد السماء.. فهذا التسخير من خالق الكون والعالم بما فيه.

واللَّه أعلم.



غابات سبحان الذي سخرها للإنسان بملايين أشجارها
وجبالها ونباتاتها وثمارها ومائها وفاكهتها وما يعيش فيها من حيوان

حقيقة الحياة ـ المادية الجدلية (كتاب كبرى اليقينات الكونية)

د / محمد سعيد رمضان البوطي

إن من المسلَّمات التي يؤمن بها العقل، أيا كان الرأس الذي هو فيه أنّ النقيضين لا يجتمعان في وقت واحد ومكان واحد، ولا يتولد أحدهما من الآخر فالسواد واللاسواد نقيضان، ومن ثم فإنهما لا يمكن أن يلتقيا في زمن معين واحد بحيث يصدق في لحظة من اللحظات أن يتصف ذلك المكان المعين بكل من السواد المظلم والبياض المشرق، إذاً هو يستلزم في الحقيقة تولد الشيء من نقيضه والتقاءهما معاً ولو للحظة واحدة، وهو ظاهر الاستحالة. (١)

ومن المعلوم أن المادة التي هي موجودة، جامدة لا تحس، نقيض الروح التي هي موجودة وتحس. فإذا زعمنا أن أصل الحياة التي في الكون. بل أصل الموجودات كلها إنما هي المادة فمعنى ذلك أن الحياة التي تسري في أبداننا هي ناشئة من المادة الجامدة التي تناقض الحياة. . .

ولا مفر لدى البحث عن أي معنى لهذا الكلام، من فهم أحد معنيين فقط لا ثالث لهما:

فأما أن يكون المعنى التزام أن بين المادة الجامدة والحياة تناقضاً وأنهما مع ذلك تلاقيا بل كان الأول منهما منشأ للثاني، وواضح أن هذا المعنى مكابرة عجيبة للعقل!

وأما أن يكون المعنى أن المادة ليست كما نظن نقيضاً للحياة، بل هما

---

(١) اِقرأ بسط هذا الكلام في كتاب نقض أوهام المادية الجدلية ص ٥٧ ـ ٦٦ د/ محمد سعيد رمضان البوطي

يلتقيان في حقيقة جوهرية واحدة، وإذاً فَلِمَ يصرون على أن أصل الحياة هو المادة ولا يقولون أن أصل المادة هو الحياة؟ وما الفرق بين التعبيرين ما دامت المادة ليست (على هذا المعنى) نقيضاً للحياة بل تلتقي معها في جوهر وفي صعيد مشترك؟

ويبقى هذا السؤال بلا جواب، ما دام أنه لا يوجد بين الماديين أو في فكرهم أي دستور يوضح العلة في أن الحياة هي التي نشأت عن المادة وليس العكس هو الذي تم.

ويصبح القول بأن المادة هي أصل الحياة. كلاماً اعتباطياً مجرداً. لا يقوم على أي برهان أو مرجح.

وهكذا يبدو لك تهافت قولهم: المادة مصدر الوجود كله، سواء فسرته على المعنى الأول أم على المعنى الثاني، ولن تجد له أي معنى ثالث إطلاقا.

ثم إن هذه(الفلسفة) محجوجة بعد ذلك بواقع التجربة الملموسة. فإذا كانت الحياة ليست إلا ثمرة من ثمار المادة الجامدة. فلماذا لا يفهمون سر الحياة. ولماذا لا يقفون على العناصر المادية التي تكونت بتآلفها الحياة؟

لقد امتدت آفاق العلم حتى حوت دقائق المادة، وأسرارها، وذراتها. وحتى استجلى العلم دقائق الذرة نفسها، ومكمن الطاقات التي فيها، فكيف نعقل أن ينبسط سلطان العلم إلى هذا الحد فيما يتعلق بالمادة التي هي المنشأ والأصل ثم يتقلص سلطانه كل التقلص ويفقد فقداناً مطلقاً فيما يتعلق بالحياة التي هي ثمرة وفرع؟

وهل صدق إنسان أن عالماً وقف على التحليل الدقيق لشجرة من أدنى جذعها إلى أعلى ورقة فيها. فلما أراد أن يعلم علماً عن ثمارها استغلقت عليه ولم يفهم منها أي شيء.

ولعلك تقول: فما أدراك أنهم لم يبحثوا عن الحياة ولم يفهموا شيئاً عنها.

والجواب أن كلمة علماء العالم كلهم قد اجتمعت على أن العلم لم

يتوصل إلى فهم شيء عن حقيقة الحياة. وأن موضوع الروح يدخل ضمن القضايا الغيبية التي لا سلطان للعلم عليها.

فأول الذين اعترفوا بهذا الجهل. **انجلز، زميل ماركس** في وضع الفلسفة المادية وترويجها فهو يقول في كتابه «**أنتي دوهرنغ**»ما نصه:

(إنه يقصد العلم الطبيعي ألم ينجح بعد في إنتاج الهيولى البسيطة والأجسام الآحينية الأخرى من العناصر الكيميائية وبالتالي فإنه ليس في إمكانية العلم الطبيعي حتى الوقت الراهن، أن يؤكد شيئاً بخصوص أصل الحياة)

ثم مر الزمن وتقدمت العلوم وجاء عام ١٩٥٩م حيث التقى ستة من أئمة علماء الشرق والغرب المختصين في مدينة نيويورك على مائدة مستديرة، للتعاون في سبيل فهم شيء عن أصل الحياة ونشأتها على ظهر هذه الأرض. وكان فيهم العالم الروسي (**الكسندر ايفانوفيتش أوبا رين**) أستاذ الكيمياء الحيوية بأكاديمية العلوم السوفييتية. وأخطر المهتمين بأمر نشاة الحياة.

وانتهى المؤتمر كما بدأ دون أن ينتهي المؤتمرون إلا إلى مزيد من التأكد بأن أمر الحياة لا يزال مجهولاً، ولا مطمع في أن يصل إليه العلم يوماً ما. وكان أول من صدق على ذلك العالم الروسي نفسه.

ومجمل القول كما يقول **الدكتور أنور عبد العليم** ـ أن العلم لم يتوصل بعد إلى كشف هذا السر الأعظم المعروف بالحياة، كما يتضح أن هذه المشكلة هي أبعد مدى من أن تكون مجرد بناء مواد عضوية معينة وظواهر طبيعية وكيميائية خاصة [(١)]

وتقتضي الحكمة الإلٓهية العظيمة أن تزداد هذه الحقيقة تأكداً ووضوحاً على لسان العالم الروسي بالذات: ففي العام المذكور: ١٩٥٩م تناقلت وكالات الأنباء وفى مقدمتها وكالة الأنباء السوفييتية (تاس) ما يلي:

أعلن الكسندر أوبا رين، رئيس معهد الكيمياء الحيوية في روسيا بعد

---

(١) انظر خبر هذا المؤتمر في كتاب قصة التطور للدكتور أنور عبد العليم ص ١١ ـ ٢٣وانظر كتاب أنتي دوهلانغ لانجلز ترجمة الدكتور فؤاد أيوب ص ٩٠

أن ظل يبحث ٣٧ عاماً في أصل الحياة وفى البحث عما إذا كان من الممكن إيجاد الخلية الأولى عن طريق تفاعل كيميائي، أن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم أو أن تتوالد من التفاعل الكيميائي والتوالد الذاتي، وأن العلم لا يمكن أن يخوض فيما وراء حدود المادة.

فأي معنى يبقى بعد هذا الكلام والذي قبله، للفلسفة المادية التي تخيلها ماركس ذات يوم من الأيام بدافع انفعالي معين؟ وها أنت ترى أننا لسنا نحن الذين نزيح عنها لثامها الفلسفي الوهمي الذي يخبئ خلفه قدراً كبيراً من الجهل والوهم. وكفى اللّه المؤمنين القتال.

أما تفصيلات هذه الفلسفة، والنظر في مقولاتها وقوانينها، فلسنا الآن في معرض مناقشتها أو نقضها. وهى على كل حال مقولات لا تستند إلى شيء من البراهين العلمية، وإنما تستمد سندها الوحيد من العامل الذرائعي.

وبوسعك أن تقرأ تفاصيل ذلك كله في كتابنا «نقض أوهام المادية الجدلية» [(١)]

(١) كتاب كبرى اليقينات الكونية ـ د محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر أدمشق ص ٩٦ ـ ٩٩

ما الذي أحوج الإنسان إلى العقيدة الصحيحة عن الكون والحياة والتزام مقتضياتها (١)

يظل بعض الناس، ممن لم تتهيأ لديهم ثقافة إسلامية كافية، يتساءل: ما وجه الحاجة أو الضرورة إلى أن يتعبدنا اللَّه (على فرض وجوده) بهذا الدين ويلزمنا بكل هذا الذي يتضمنه من اعتقاد وعبادة وأحكام؟ وهلّا يترك هذا الإلّه عباده أحراراً يقيمون حياتهم على الوجه الذي يريدون، وينظموها حسب الشكل أو الطريقة التي يحبون؟.. وقد تمتد ببعضهم سلسلة هذا التساؤل فيسأل في ضيق وتعجب: وما حاجة اللَّه في أن أحبس نفسي على عبادته العمر كله، وما الذي ينقصه أو يضره لو لم أفعل ذلك.

ولابد من إجابة كافية شافية على هذا السؤال أولاً، وقبل الخوض في أي بحث من بحوث العقيدة الإسلامية. فلن تتهيأ الأذهان والعقول لاستقبال حقائق التوحيد ومقومات هذا الدين العقيدية ما لم تَصْفُ الرؤية أمامها، وتخلص الطريق إليها من كل الشوائب والعقبات والمعوقات.

فنقول في الجواب على ذلك:

إن اللَّه عز وجل حينما تعلقت إرادته بإيجاد هذا الكون بما فيه من الموجودات أنواعاً وأجناساً، اقتضت حكمته الباهرة أن يختار نوعاً من هذه الموجودات (وهو الإنسان) فيجعله سيد هذا الكون ويجعل سائر مظاهره وموجوداته مسخَّرة له قائمة بخدمته، وأن يكل إليه عمارته وأمر تنظيمه، فذلك هو المعنى بالخلافة في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

وهو المقصود بالاستعمار في قوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾

[سورة هود، الآية: ٦١]

---

(١) من كتاب كبرى اليقينيات الكونية، د/ محمد سعيد رمضان البوطي.

الإنسان مجهز بأخطر الصفات والملكات:

فكان أن جهز هذا المخلوق بمجموعة من الملكات والصفات، لا بد منها، لتتكامل لديه القدرة على إدارة شأن هذا الكون وتعميره واستخدامه فبث فيه صفة العقل وما يتفرع عنها من العلم والإدراك والقدرة على تحليل الأشياء وسبر أغوارها والوصول إلى ما وراءها، وبث فيه معنى الأنانية، وما يتفرع عنها من النزوع إلى الأثرة والتملك، وبث فيه من أسباب القوة ومقومات التدبير، وما يتفرع عنها من النزوع إلى السيطرة والعظمة والجاه، ثم بث فيه مجموعة من العواطف والأشواق والانفعالات تعدّ متممة لقيمة تلك الصفات وفوائدها.، كالحب والكراهية والغضب وما إلى ذلك.

وأنت خبير أن الإنسان لم يستطع تسخير شيء مما في هذا الكون أو السيطرة على شيء من شؤون الحياة ومظاهرها إلا يوم أن جهزه اللّه سبحانه وتعالى بهذه الملكات والصفات.

إلا أن لهذه الصفات شِرةً كبيرة ولها آفات عظام، وهي أسلحة ذات حدين إن استعمل أحدهما جاء بالتنظيم العظيم للكون وبالخير الوفير للإنسان، وإن استعمل الآخر أو استعملا معاً جاء ذلك بالشر الوبيل والفوضى الهائلة وأورث الإنسانية شقاء لا آخر له.

فمن أجل ذلك سمى اللّه هذه الأسلحة التي ائتمن عليها هذا المخلوق بالأمانة، وبيّن مدى أهميتها وعظيم شأنها في قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[١]

[سورة الأحزاب، الآية: ٧٢]

ومصدر خطورة هذه الصفات، أنها في حقيقتها ليست إلا صفات الربوبية، فالعلم والقوة والسلطان والتملك والجبروت ـ كلها مقومات

---

(١) ممن فسر الأمانة في هذه الآية هذا التفسير العلامة الخنجواني في تفسيره الفواتح الإلهية.

للألوهية وصفات للرب جل جلاله. فمن شأن هذه الصفات إذا وجدت في الإنسان أن تسكره وتأخذ بلبّه وتنسيه حقيقته وتجعله يتمطى إلى مستوى الربوبية والألوهية، وإن كان الإنسان لا يملك منها في الحقيقة إلا ظلالاً وآثاراً ليس لها من حقيقة الصفات الإلّهية إلا الاسم وحده.

ومن نتائج الخطورة التي في هذه الصفات، أنَّ من شأنها أن تحمل صاحبها على أن يستعمل صفة القوة في ظلم الآخرين. وأن يشبع نزوعه إلى السيطرة والسلطان في بسط نفوذه وسلطانه على المستضعفين من الجماعات وأن يتجه بما لديه من نزوع للتملك إلى أموال غيره يستلبها ويعثو بها، ثم من نتائجها أن تتسابق جماعات من الناس بدافع هذه الصفات في ميدان الصراع الدموي على السلطان والجاه والممتلكات والحكم والقيادة، ووقائع التاريخ المطردة تدلك على هذا دلالة واضحة.

وهكذا تنقلب هذه الصفات إلى عامل اضطراب وشقاء في حياة الإنسان: وهي إنما ركبت فيه لتكون عامل سعادة ورقي ونظام.

فمن أجل ذلك كان لابد من قوى أخرى توجه هذه الصفات إلى الوجهة الصالحة، وتمنع الإنسان من أن يستعمل أسلحتها إلا من حدّها المفيد، فما عسى أن تكون هذه القوة التي تسيطر على شرِّ تلك الملكات والصفات جميعها وتدفعها في طريق الصلاح وحده؟

الدين الحق هو اللجام الذي يقي الإنسان خطورة هذه الصفات:

تلك هي حاجة الإنسانية كلها إلى الدين، أي إلى العقيدة الصحيحة عن الإنسان والكون والحياة وما وراء ذلك كله.

والعقيدة الصحيحة التي يهدي إليها العقل والعلم، الإيمان بوجود اللّه ووحدانيته، وأن لا سلطاناً حقيقياً في الكون غير سلطانه، ولا قوة قاهرة غير قوته، ولا ملكاً غير ملكه، وكل ما وراء ذلك فهو مخلوق للّه عز وجل يمنحه حيث يشاء ويسلبه عندما يشاء، وأنه الرقيب على عباده كلهم وسيبعثهم من بعد الموت فيحاسب كلاً على ما كسب أو اكتسب، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾

فإذا تأمل الإنسان في هذا كله وآمن به إيماناً جازماً قائماً على أساس من البحث العقلي المتأمل الحر، شعر في أعماق كيانه كله بأنه عبد لهذا الإلّه الواحد العظيم. وأصبحت هذه الصفات الخطيرة الهامة التي يتمتع بها أقل من أن تتجاوز به حد عبوديته، وما هي إلا أن تنقلب فتصبح وسيلة عظمى لسعادته من حيث إنه فرد ولسعادة بني جنسه من حيث الجماعة، وتقوم بين الناس وشيجة الأخوة والمساواة أمام عبوديتهم للّه، بعد أن كانت تقوم بينهم مسابقات ومنافسات غير شريفة في ميدان تتصادم فيه القوى وتتقارع فيه الأسنة ويقع المستضعف فيه ضحية لنزوات القوى وسكرة جنونه.

حينئذ تغدو نزعة التملك في الإنسان وسيلة طبيعية لإقامة حياة عادلة رخية يقوم فيها العمران وتخضر في أنحائها الحدائق والجنان، وتتكاثر في جنباتها الخيرات. وتصبح نزعة القوة والبطش سبيلاً إلى حراسة الحقوق وحفظ العدالة والدفاع عن المثل الفاضلة. وتصبح نزعة العلم والإدراك نوراً وهاجاً ينكشف به المزيد من خدمات الكون لهذا الإنسان وقبساً هادياً يؤكد للإنسان دائماً وجود الذات الإلّهية، ويحذره دائماً من أن ينسى حدود عبوديته فيتجاوزها إلى أي كفر أو طغيان.

وبكلمة جامعة نقول إن من شأن العقيدة الإسلامية أن تنزل بالمتألّهين والمتكبرين من عليائهم وجبروتهم، وتحجرهم عن التطاول على الآخرين؛ وأن ترتفع بالدهماء والمستضعفين عن مناخ الذل والصغار الذي فرض عليهم، وتطلعهم إلى صعيد الحرية والكرامة، وتعيد إلى كيانهم مشاعر العز والإباء. وبذلك يلتقي هؤلاء وأولئك عند حدود عادلة متساوية لا تدع لهذا الجانب أو ذاك فرصة لاستغلال أو وسيلة لاستعباد.

ووقائع التاريخ ونماذج الحياة الإسلامية التي قامت على هذه الأرض خير دليل على هذه الحقيقة البديهية الواضحة.

ويتمثل هذا المعنى بوضوح تام في قوله سبحانه وتعالى، وهو يوضح الحكمة من إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون منذراً وهادياً: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾

[سورة القصص، الآيات: ٤ ـ ٦]

فمن هنا كانت حاجة الإنسانية كلها إلى أن تدين لبارئها عز وجل بالاعتقاد الجازم بوجوده ووحدانيته، وأن تدين له بالعبودية المطلقة في كل شؤونه وأطوار حياته، أي أن اللّٰه عز وجل ليس هو المحتاج إلى شيء من هذه الدينونة له أو التمسك بأمره ولكن سعادتنا الدنيوية ـ فضلاً عن الأخروية ـ هي التي تحوجنا وتضطرنا إلى هذه الدينونة.

وصدق اللّٰه رب العالمين إذ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

[سورة الذاريات، الآيات: ٥٦ ـ ٥٨]

الإنسان آخر المخلوقات على الأرض هل خلقه اللَّه عبثاً؟ وما سبب ابتلائه وامتحانه؟

لما أراد اللَّه سبحانه خلق آدم عليه السلام، كانت هناك بداية لخلق الإنسان لم يكن قبل هذه البداية (إنسان) بين خلق اللَّه سبحانه، وقد أشار سبحانه إلى هذه الحقيقة المطلقة في خطابه لملائكته.

قال اللَّه تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

[سورة ص، الآيتان: ٧١، ٧٢]

من الآية الكريمة نفهم أن هناك بإرادة اللَّه وعلمه بداية لخلق البشر، لم يخلقه اللَّه من خلق آخر، ولم يحول خلقاً من قبل إلى إنسان، بل خلق اللَّه الإنسان من (طين) وهي المادة الأصل في الخلق وبقدرة اللَّه سبحانه سواه ونفخ فيه من روحه.

وقضت إرادة اللَّه أن يكون هذا المخلوق (الإنسان) خليفة في الأرض التي أعدها اللَّه سبحانه من قبل أن يخلقه، والآية الكريمة الآتية الذكر تدل دلالة قطعية على أن الأرض لم تكن مسكونة من أحد عاقل قبل الإنسان، لأن الآية الكريمة موجهة إلى جنس البشر على الأرض.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

وبعد أن خلق اللَّه الأرض وسوى السماوات سبعاً قال اللَّه تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

وبهذه الخلافة حمل الإنسان الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها. **قال تعالى**:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

[سورة الأحزاب، الآية: ٧٢]

وبعد أن حمل الإنسان الأمانة التي شهد اللّه سبحانه له بالقدرة على حملها أناطه بالتكليف ووضعه في دائرة الامتحان والابتلاء بقضاء وأمر وجعل الحياة كلها مرهونة بهذا الامتحان والابتلاء اللذين جعلهما اللّه حقيقة الحياة وسبب الوجود. **قال اللّه تعالى**:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٢]

وهذا قضاء إلّهي ليس لنا حرية الاختيار في ما قضى اللّه لعلم يعلمه ولأمر يريده ولو أن الإنسان حاور في هذا الأمر وتساءل عن سر فرض الامتحان والابتلاء عليه، وهل يمكن إلغاؤه لوضع نفسه في ثلاثة احتمالات لحقيقة حياته وسبب وجوده.

١ ـ **الاحتمال الأول**: أن اللّه سبحانه أراد أن يخلق هذا (الإنسان) ويجعله يعيش على هذه الأرض بصورة أجيال متلاحقة دون هدف محدد سوى (العبث)، وحاشا للّه سبحانه ذلك وعلى هذا يولد الإنسان ويعيش ويموت ولا يعرف لماذا خلق؟ ولماذا يموت؟ ولماذا يعيش؟ وقد نفى اللّه سبحانه هذا الاحتمال.

قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

٢ ـ **الاحتمال الثاني**: أن اللّه سبحانه أراد أن يخلق الإنسان ليعذبه في الدنيا ويذله ويقهره ـ وحاشا للّه ذلك ـ دون أن يعيده مرة أخرى، يعيش حياته من ستين عاماً إلى ثمانين عاماً ثم يموت ويكون تراباً ولا يعود أبداً، وهذا أيضاً قد نفاه اللّه سبحانه من تصور عقول البشر لأنه يتنافى ويتعارض

مع رحمة اللّه وحكمته وذلك بكثير من الآيات القرآنية الكريمة وفي جميع كتبه السماوية وعلى لسان رسله جميعاً بأنه ليس بظلّام لخلقه وعباده.

قال تعالى:

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٨]

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾

[سورة غافر، الآية: ٣١]

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

[سورة ق، الآية: ٢٩]

٣ ـ الاحتمال الثالث: أن اللّه أراد أن يخلق هذا الخلق (البشر) وأراد لهم الخير وكل الخير في الدنيا وفي الآخرة (وهذا هو الصحيح) وهو الحقيقة المطلقة للوجود البشري. خلقه في الدنيا ليكون ممتحناً في العمل والإيمان واختيار الطريق وشمله برحمته وعطفه وكرمه ودلّه وأرشده ونصحه أن ينجح في امتحان الدنيا ليكون له البقاء في الآخرة.

... فلو أن الاحتمال الأول صحيح لما أرسل اللّه الرسل للبشر مبشرين ومنذرين ولما أنزل الكتب السماوية التي تبشر بالجنة، وتنذر بالنار، ولترك الإنسان دون اتصال مع السماء دون أن يعلم عن خلقه وموته وآخرته شيئاً فيموت أكثرنا هماً وحزناً.

ولو أن الاحتمال الثاني صحيح فإن وسائل اللّه بالعذاب كثيرة كالزلازل المستمرة، والصواعق، والعواصف، والفيضانات، والشهب والنيازك، والوحوش، والجراثيم، والأمراض، والآلام، والأحزان، والجوع، والعطش.. الخ ولكننا لا نرى من هذا إلا ما يضمن استمرار الحياة وتوازنها وليس هو للعذاب المقصود ولا يكون من هذا الشيء إلا إذا كان عقاباً لانحراف بعض البشر وطغيانهم وكفرهم كي يعودوا إلى الطريق المستقيم رحمة وليس ظلماً من اللّه لعباده.

قال تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾

[سورة القصص، الآية: ٥٩]

فاللَّه سبحانه أرحم علينا من أنفسنا وأول الرحمة أنه سيعيدنا مرة أخرى بعد الموت، وبما أن العودة حكم وأمر إلّهي فإنها تستوجب الحساب، والحساب يستوجب الجزاء، والجزاء لا يمكن أن يكون عادلاً إلا إذا كان الإنسان في امتحان وابتلاء نجح فيه أو هوى.

عنصر الامتحان ـ الخير والشر ـ في عالم الإنسان؟

الخير والشر قاسم مشترك في عالم الإنسان بأساس الخلق. فهما عنصران متساويان في تركيب النفس الإنسانية وقد فصلهما اللَّه سبحانه عن عنصر الإيمان أو (فطرة الإيمان) فاللَّه سبحانه لم يجعل الإيمان والكفر عنصرين متساويين، فالإيمان فطرة، والكفر مكتسب، فاللَّه سبحانه لا يرضى لخلقه الكفر كما أن اللَّه سبحانه لا يرضى الشر لهم ولكن جعله من عناصر الحياة لوقوعه ووجوبه على الإنسان.

فالامتحان لا يكون على عنصر واحد فكيف يمتحنني اللَّه سبحانه ولَمْ يخلق إلا عنصر الخير فقط؟ وكيف يمتحنني ولم يخلق إلا عنصر الشر فقط؟ فإذا كان في الدنيا عنصر الخير فأنا غير ممتحن بل وأكون مسيراً في هذا العنصر الوحيد ولا فضل لي في اختيار أحد الطريقين:

فإذا دخلت مطعماً وسألك النادل ماذا تريد أن تأكل؟ فتقول له: وماذا عندكم؟ فيقول لك: عندنا كذا وكذا، ففي هذه الحال أنت تكون في واقع الاختيار فتختار ما يناسبك، ولكن إذا قال لك ليس عندنا اليوم إلا نوع واحد فقط، وفي هذا الجواب انتفت عنك صفة الاختيار لعدم تعدد الأصناف (العناصر) فأنت مجبر عليها (مسير) ولست مخيراً.

إذاً وبما أنني في هذه الحياة في موقع الامتحان فلابد من وجود عنصري الامتحان والابتلاء (الخير والشر) لأختار واحداً منهما وأتبعه وأرضاه.

وهذا ما كان في خلق اللَّه سبحانه للإنسان، فقد أوجد في الإنسان المخلوق عنصري الخير والشر على السواء، ولم يخفه اللَّه سبحانه وتعالى عن خلقه بل أوضحه وبينه لهم في محكم كتابه الكريم ـ كما أوضحه في كل كتبه السماوية ـ بكل جلاء ووضوح ودون أي لبس حتى لا يقع الإنسان في

بحر الشك والتساؤل، وجعلها اللّه سبحانه قضية سهلة بسيطة، أقل الإدراك يفهم المراد. قال اللّه تعالى متحدثاً عن النفس البشرية:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾

[سورة الشمس، الآية: ٧ ـ ١٠]

فالآيات الكريمة تقول: إن اللّه سبحانه خلق النفس وألهمها الفجور والتقوى على حد سواء، ولكن من ترك الفجور (الشر) يسيطر على نفسه وعلى فعله فقد خاب وخسر، ومن ترك النفس التقية على سجيتها وألجم النفس الفاجرة الأمارة بالسوء أن تغلب على نفسه وفعله فاز ونجح.

إنها قضية سهلة وليست من الأحاجي والألغاز ولا تحتاج إلى فك رموز، وليس لها شيفرات معقدة، ولا تحتاج من القاضي إلا لجلسة واحدة للفصل فيها، هذه قضية الامتحان الإلّهي للبشر، قضية واضحة وجلية ولا تحتاج إلى جهد وعناء واجتهاد نفس وإهلاك جسد في فهمها والوقوف على حقيقتها.

فالخير مرغوب ومطلوب من الفرد، والأسرة، والحي، والمدينة، والأمة والعالم كله، وهو أمر متفق عليه بين شعوب الأرض قاطبة. وكذلك الشر مرفوض ومكروه من الفرد، والأسرة، والحي، والمدينة، والأمة والعالم كله، وهو أمر متفق عليه بين شعوب الأرض جميعاً.

وهذا ما أراده اللّه سبحانه بالبشر، أراد الخير كله لكل أهل الأرض على اختلاف طوائفهم ومللهم وألوانهم وألسنتهم.

قال تعالى:

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٢٠]

فلم يمنع اللّه أحداً من خلقه أن ينال من عطائه وخيره وكرمه، فالدنيا للجميع والآخرة يعطيها اللّه لمن يشاء من عباده المؤمنين.

فالخير الذي يطلبه اللّه من عباده جعله فيهم أولاً ثم حمَّلهم واقع

المسؤولية والسؤال من هذا الخير الذي أوجده فيهم، فاللّه لا يرضى بالشر ولا يأمر به ولا يرضاه لعباده أبداً.

اختيار طريق الخير والشر:

لما خلق اللّه سبحانه بعلمه خلقه من البشر لم يرد لواحد منهم الشر على الإطلاق، فالجميع خلقه ولا فرق بين أسود أبيض، ولا بين قوم وقوم، لا في أقصى شمال الأرض ولا في أقصى غربها أو في وسطها، فلا يولد مولود في هذه الدنيا إلا بعلمه وأمره ورحمته فقد أحصاهم اللّه وعدهم عداً.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾

[سورة مريم، الآية: ٩٤]

وأي مخلوق على وجه الأرض منذ أن خلق آدم وحتى يوم القيامة، مولود وحياته وموته في علم اللّه سبحانه أقرب إليه من نفسه ومن حبل وريده.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾

[سورة ق، الآية: ١٦]

فهذا الطفل البريء الذي يخرج من بطن أمه كحمامة وادعة أنيسة تعلو قسماته البراءة واللطف هل يختار اللّه سبحانه له طريق الشر؟ وأي عداء وجهه هذا الطفل الوليد للّه سبحانه ليختار له طريق الشر ويفسد عليه معاشه وحياته.

فالجميع يولد بأمر اللّه ورضا اللّه ومحبة اللّه، سواء ولد من أبوين كافرين أو مسلمين، فالطفل يولد على الفطرة الإلّهية وهي الإيمان والخير.

قال تعالى:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾

[سورة الروم، الآية: ٣٠]

وفي الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة (رضي اللّه عنه) قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه إما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[١].

فهل يختار اللّه سبحانه ويميز بين خلقه فيختار لخلق الخير ولخلق الشر؟ إن حصل هذا (وحاشا للّه ذلك) فهذا يكون نقصاً في رحمة اللّه وكرمه وقدرته، وكل من على الأرض من خلق اللّه ومهما كان انتماؤه يعلم حق العلم أن اللّه سبحانه يتصف بصفات الكمال، وصفات الكمال الإلّهي الرحمة المطلقة والعدل والكرم المطلقان، وإذا ميز اللّه سبحانه بين عباده واختار منهم بالعشوائية خلقاً للشر فهل يعني هذا نقصاً في رحمة اللّه وسعة ملكه؟ وهل يعني هذا أن جناته يوم القيامة لا تسع إلا نصف خلقه أو ثلثهم ويختار للباقي النار واللّه سبحانه يقول في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيء إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»[٢]

ويقول سبحانه:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

وكم عدد خلقه من البشر يوم القيامة ـ مائة مليار ـ مائتي مليار ـ ألف مليار ـ عشرة آلاف مليار.. الخ. ومهما كان عددهم فالجميع يسعهم نجم واحد بحجم الشمس التي تبلغ مليون وثلاثمائة ألف مرة حجم الأرض فكيف بالجنة التي عرضها السماوات والأرض؟ هذه السماوات التي فيها آلاف البليارات من النجوم والكواكب، ولكن من عظيم رحمة اللّه أن جعل لكل من خلقه مكانه في الجنة ولكن أكثر الناس رفضت هذا المكان بمحض إرادتها واستبدلته بمكان في النار.

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر رضي اللّه عنه

ولو أن اللّه يريد الشر ببعض خلقه، أو نصفهم، لما أرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين، ولما أنزل الكتب السماوية التي تنبههم بل وتنذرهم بالابتعاد عن طريق الشر، وكذلك لما ترك باب التوبة والاستغفار مفتوحاً على مصراعيه في كل لحظة من لحظات حياة الإنسان حتى لو وصل أرذل العمر، أفلا يدل هذا على عظيم رحمة اللّه وكرمه وأنه يريد لخلقه جميعاً ودون استثناء أحد منهم أن يكون حظهم جناته وحياتها الأبدية.

قال تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

فليس الخطاب في هذه الآية يخص جنساً ولا عرقاً ولا أمة بل هو خطاب لكافة العباد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم، فقد جعل اللّه سبحانه طريق العودة إلى طريق الإيمان والخير مفتوحاً لا يغلق بوجه أحد من خلقه.

وكما أن من رحمة اللّه ما قلت، فإن من رحمة اللّه وعدله أن لا يساوي في المقام والمكان من سقط في الامتحان واختار طريق الشر والضلال بمن نجح في الامتحان واختار طريق الإيمان والخير.

قال تعالى:

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

[سورة القلم، الآيتان: ٣٥، ٣٦]

فجعل اللّه سبحانه الامتحان بإطاره العام (فتنة الخير والشر)، مع ترك أبوابهما مفتوحة والدخول فيها بالاختيار، مع مساعدة اللّه سبحانه لمن يدخل الخير، ومع تنبيه اللّه سبحانه لمن يدخل أبواب الشر، وتخويفه بالعقاب يوم القيامة. **يقول تعالى:**

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٥]

ويبقى السؤال لماذا يختار بعض الناس طريق الخير والإيمان، وبعضهم الآخر طريق الشر والضلال؟

قلت سابقاً: إن الامتحان أمر مفروض على الإنسان فرضاً لأنه قضاء وأمر إلّهي، وليس للإنسان أن يسأل أو يعترض لأنه عبد ومخلوق بإرادة خالقه، فلا أنا أوجدت نفسي في هذه الحياة وليس لي يد في ما حولي، ولا أملك حياة، ولا موتاً، ولا نشوراً، ولا أستطيع بذات الوقت أن أدير ما حولي وأملك زمام أمري كله، فاللّه سبحانه لا يريد لعباده الشر ولا يرضى لهم الكفر بل اللّه سبحانه أفرح من توبة العبد من نفسه، فأنا إذا اخترت أحد الطريقين (الشر أو الخير) فهو بمحض اختياري المطلق، ولو لم يكن اختيار مطلق فلن يدخل في فلك ودائرة الامتحان والابتلاء، فكلنا مسؤول عن اختياره ولا تزر وازرة وزر أخرى، وكل عبد في هذه الأرض يدرك أنه مخير في مواقع الاختيار في جميع مجالات حياته، دون مسؤولية عن إرادة الكون والخلق وتأمين سبل الحياة ومعايش البشر، فلا أحد يجبرك على إقامة الصلاة وصيام رمضان ولا على دفع الزكاة ولا على فعل الصدقات ولا على الإيمان ولا على الكفر. حتى لو نافقت وأبديت غير ما أخفيت

قال تعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٦]

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

فليس من قوة شيطانية لك إذا أردت أن تصلي فتضربك لتمنعك عن الفعل، وليس من قوة إلّهية (ملائكة) تقف لك على الطريق وأنت ذاهب لتتناول كأساً من الخمر لا سمح اللّه في مكان ما فتمنعك من الذهاب بالقوة والإكراه. ولو شاء اللّه لفعل، ولكن حرية الاختيار تسقط عنك الجبر على الفعل، أو الجبر على عدم الفعل، فليس من أحد يدخل بيتك ليوقظك بالإجبار والقوة والتهديد لتقوم وتصلي الفجر في المسجد، وكذلك لن يجبرك أحد على الغش، ولن يجبرك أحد على السرقة، أو الاعتداء، أو

الظلم، فجميعها بمحض إرادتك واختيارك إن شئت فعلت، وإن شئت لم تفعل. فلا أحد يحدد طريق أحد ولستُ مسؤولاً عما تفعل، كما أنك لستَ مسؤولاً عما أفعل، فإذا اخترتُ طريقي المحدد في إطار الامتحان فأختاره بملء إرادتي وحريتي ولست محاسباً عن فعل شر قسري وجبري أقوم به، كما أنني لست مجزياً عن فعل خير قمت به قسراً، أو مراءاة، أو نفاقاً فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، وأما لماذا اخترت أنا طريق الخير واختار هو طريق الشر، ذلك لأن ما استوعبه فكري من خلال مادتي الرصد (السمع والبصر) وما قامت به مراكز التحليل النفسي هي التي أوجبت عليَّ اتباع أحد الطريقين. فأي نفس في الوجود توصلها مراكز الرصد والتحليل لديها إلى صواب طريق الخير وسوء طريق الشر، ومهما كان نوع المعتقد لدى النفس.

ونجاحي وسقوطي يتبع إرادتي. وتحكمها في الرغبات والميول والشهوات طبقاً لما يقبله عقلي ويرفضه، فأنا مخلوق بفطرة الإيمان ورغبتي في كرم اللّه ومقدار قوة إيماني به بمدلولات عقلي هي التي تصادق الشيطان العدو اللدود للإنسان أو تعاديه وتحرقه بفعل إيمانها واستقامتها.

ومن سنة الحياة اختلاف مطالع الإنسان، بداية من اللسان ونهاية في المعتقد، أفراداً وأمماً، ولا يمكن لهم أن يتفقوا على منهج واحد ومبدأ واحد أو رأي واحد.

قال اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

[سورة هود، الآية: ١١٨]

ولو شاء ربك لكان عليه يسيراً أن يجعل الناس أمة واحدة في اللسان واللون، والدين، كأن تدين الناس في الديانة المسيحية جميعاً أو في الديانة الإسلامية جميعاً، وجميعنا يعلم أنه أمر سهل على اللّه سبحانه، وما أكثر الطرق في أن يجبر اللّه الناس على اتباعهم دين الإسلام، كأن يمنع اللّه الرزق عن كل بلد لا تدين بدين الإسلام، أو أن يرزق المسلم ولا يرزق جاره اليهودي، فيضطر اليهودي من أجل

رزقه وماله وحياته إلى اتباع الإسلام، وفي هذا إن حدث يكون الفعل واتباعه بالجبر والقسر الذي يسقط الابتلاء بموجب الاختيار الحر، وفي الجبر يسقط سر وجود الحياة وسببها، ويسقط مبرر الجزاء، وإذا سقط الجزاء لن تكون هناك جنة، ولن تكون هناك نار. ولاكتمال الرحمة والحكمة الإلّهية جعل ما في الدنيا بين أيدي الجميع حتى لا تكون حجة الإجبار والقسر على الفعل حجة لأحد عند اللَّه يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٢٠]

ـ اللَّه سبحانه خلق الإنسان على الأرض فكيف يتولاه ويهديه؟

هناك في عالم الإنسان عدل ظاهر نحسه، وهناك عدل باطن لا تدركه أحاسيسنا تفسره الآية الكريمة: **قال اللَّه تعالى:**

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢١٦]

والآية الكريمة تفسر حكم المجهول لدينا، فالإنسان لا يدرك ماذا سيكون عليه يوم غد لا في الرؤية ولا في التوقع، وقد حجب اللَّه سبحانه عنا هذا العلم رحمة بنا، فلو أنك تعلم ماذا في يوم غد لفرحت قليلاً وحزنت كثيراً. **قال تعالى:**

﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٣٤]

ومن هذا نقول ليس كل العدل ما تراه وما تحس به، فهناك الرحمة وهناك العدل المخفي عنا، قد يوضحه ويبينه اللَّه سبحانه لنا بعد حين أو يبقيه فنراه يوم القيامة، ولذلك جعل اللَّه سبحانه أساس الإيمان باللَّه (الإيمان بالغيب) (والإيمان بالقدر) لأن شمولية الأمر كله لا يملكها إلا اللَّه سبحانه.

ومن خلال الشمولية الضيقة في حدود معارفنا لا نستطيع أن نحكم عن

كيفية العـدل الإلّهي لأن لنـا ظاهـر الفعل وعاجله دون بواطنه ومستقبله، **قال تعالى:**

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ١١]

فاللَّه سبحانه يتوفى الأنفس إذا جاء أجلها، وتقدير مسار حياتها ومدة أعمارها مقدرة من اللَّه سبحانه، وقبل أن يخلق حكم الأمر بعمله لأنه خبير بالنفوس جميعاً، بل خبير بما سيكون من جدال ومعاذير بين الناس يوم القيامة لعلمه بالنفوس. **قال تعالى:**

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾

[سورة ق، الآية: ١٦]

فاللَّه سبحانه لا يتوفى نفساً إذا كانت توسوس لذاتها بالتوبة والهداية والاستقامة قبل أن يعيدها إلى الطريق المستقيم. قال تعالى:

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٢٥]

فإذا توفى اللَّه نفساً في الستين من العمر على الضلالة فلعلمه بأنها نفس أمارة بالسوء غير أوابة وصالحة، ولا يمكن لها الهداية لاستنفادها فرص رحمة اللَّه سبحانه في الهداية، فأغلقت آذانها دون السماع لصوت الحق عامدة ومتعمدة مع سبق الإصرار على الضلال والفساد، فإذا كانت الذرة والتي لا ترى في العين وأصغر منها في علم اللَّه وقدرته، أفلا يكون الإنسان القابل للصلاح والتوبة والهداية في علم اللَّه تعالى؟

فلو أن ذرة واحدة من الإيمان موجودة في ابن الستين الذي توفاه اللَّه على الضلالة، لجعل اللَّه له هذه الذرة أضعافاً مضاعفة فتكون هداية وإصلاحاً، وما يتوفاه إلا على الإيمان والعلم عند اللَّه سبحانه، والإنسان ذاته الذي يتوفاه اللَّه سبحانه ابن ستين ولم يكن له حظ من الهداية، حينما يقف يوم القيامة بين يدي اللَّه يعرف عن نفسه تماماً أنها لم تكن تملك في الدنيا الإيمان والخير ولم تكن في نيتها الهداية

والتوبة حتى وإن أنكر الإنسان ظاهراً يوم القيامة أمام اللّه خبث نفسه، فيجعل اللّه بقدرته الأعضاء تتكلم لتشهد عليه، وعلى ظلمه وغيه وفسقه وفجوره واختياره لطريق الشر المتعمد.

قال تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يس، الآية: ٦٥]

والعبد الذي يملك ذرات صغيرة من الإيمان والاستعداد ولكنها كامنة يبتليه اللّه بمصائب كثيرة قبل موته، عله يعود إلى طريق الإيمان والخير الذي أراده اللّه، لعلمه ما في عبده من الخير الكامن في نفسه وقلبه، وإن عاد فرح اللّه بعودته وتوبته كما يفرح هو بل ويزيد..

والحقيقة أن كل إنسان يدرك ما في نفسه ولا يظلم اللّه أحداً من خلقه أبداً.

. لماذا يسقط كثير من الناس في الامتحان؟

الامتحان والابتلاء المفروضان على الإنسان جعلهما اللّه سبحانه ضمن دائرة الحياة الدنيا لهذا أوجد اللّه سبحانه مادة الامتحان والابتلاء، وجعل اللّه سبحانه ما على الأرض زينة لها.

قال تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة الكهف، الآية: ٧]

ثم جعل اللّه سبحانه في النفس الإنسانية وفي تساوي كفتي الميزان الفجور والتقوى وخلق الخير والشر ليقع فيهما الامتحان، ثم كان الشيطان ليثنيك عن فعل الخير ويأمرك بفعل الشر، وجعل اللّه بين يدي البشر كتبه السماوية، بعد أن أرسل لهم الرسل ليرشدوهم ويهذبوهم ويعلموهم فعل الخير الذي أمر به اللّه سبحانه أن يتبع، وأجزل الثواب والأجر والعطاء لفاعليه إن هم ساروا في طريقه، وأنذر بعقابه الشديد إن هم تركوه، وليس هذا فحسب، ولكن اللّه سبحانه تولى الخير وأهله وكفلهم برحمته وقدرته وأيديهم وأمد لهم العون،

وأخذ العهد على نفسه أن ينمي ذرة الإيمان والخير في الإنسان حتى تكبر وتتغلب على تكتلات الشر والكفر.

وحصر اللّه سبحانه (الابتلاء) في دائرة ضيقة صغيرة كي يستطيع الإنسان تحملها والامتحان فيها، وقضت مشيئة اللّه أن تكون إرادته في (الخير) لعباده جميعاً ولا يرضى الشر لأحد ولا يأمر به.

إذاً ما أراده اللّه بنا فهو الخير دائماً، وإن ظن الإنسان بعض الأمر سوءاً أصابه لأن علم الإنسان محدود بالحاضر ولكن المستقبل هو في علم اللّه وحده، وما أراده اللّه بنا ليس مناطاً في الحاضر وحسب فهذه نظرة قاصرة على الإنسان.

قال تعالى:

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢١٦]

واللّه سبحانه لما خلق الإنسان زين له الأرض وخلق له كل شيء فيها وأمن له معيشة بالحق، ووفر له سبل حياته الرغيدة وما منعه من شيء هو خير له.

قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

وجعل الحياة التي أوجب اللّه فيها الابتلاء والامتحان تنحصر معظمها في التملك والمال ـ والبنين ـ والنساء ـ والطعام ـ والشراب ـ هذه النعم التي أخرج لعباده حلالاً كلها في الإطار المرسوم ضمن دائرة الامتحان.

. **فالمال**: لك أن تتملك منه ما تشاء (بالحلال) على أن تدفع حق اللّه (الزكاة).

البنون: لك فيهم ما تشاء دون تحديد لعدد.

النساء: لم يمنعك اللّه منهن مثنى وثلاث ورباع بالحلال.

الطعام: لك أن تأكل ما تشاء وما منعك إلا ما يؤذيك كالدم ولحم الخنزير وذوات الأظفار.

الشراب: لك أن تشرب ما تشاء وما منعك إلا عمَّا يؤذيك ويضر بك كالمسكر والمخدرات وكل واحد في الأرض يعلم مدى أذيتها وضررها.

فلم يحرّم اللَّه شيئاً على الإنسان إلا كان ضاراً به ومؤذياً له ويصيبه منه فاحشة. **قال اللَّه تعالى**:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٣٢]

وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٣٣]

فدائرة الامتحان الإلّهي للإنسان صغيرة وهي محصورة فيما أمره بالابتعاد عنه وحرمه عليه، ومع ذلك فهي ضمن مصلحته وسلامة حياته وضمان معيشته.

وما حرمه اللَّه على الإنسان: كالزنى ـ والربا ـ وشرب الخمر ـ والسرقة ـ والغش ـ والنميمة ـ واللواط ـ والزور ـ والظلم ـ والرشوة ـ والأذى ـ والمال الحرام ـ والقتل ومعظمها في قوانين الدول المسلمة وغير المسلمة ممنوعة يعاقب فاعلها، وما لم ينص عليها القانون فإن مجتمعه يعاقبه عليها ونفسه تؤنبه وضميره يعذبه.

فلا ظلم وليس اللَّه سبحانه بظلام للعبيد، وإنما هو الحق والعدل والرحمة، **ومع ذلك أبىٰ كثير من الناس إلا كفوراً وفساداً وظلماً وطغياناً وسقطت كثير من الأمم في الامتحان**، امتحان الإيمان والكفر ـ امتحان الحلال والحرام ـ امتحان الخير والشر ـ وامتحان العبادة والطاعة.

فكثير من الناس لا يشبعه ما أحل اللَّه له ويسعى جاهداً لينال مما حرمه اللَّه سبحانه.

. مئات الأنواع من الشراب لا تكفيه ويسعى لتناول الشراب الوحيد الذي حرمه اللَّه عليه (الخمر) فأي ظلم يعيشه الإنسان مع نفسه.

ـ مئات الأنواع من الطعام من لحوم وخضار لا تكفيه ويسعى لتناول اللحم الوحيد الذي حرمه الله عليه (الخنزير)، فأي ظلم يعيشه الإنسان مع نفسه.

ـ كل النساء التي أحلت له يستطيع أن يتزوج أي امرأة يختارها وإن أحس في نفسه الشبق فله مثنى وثلاث ورباع، إن ماتت إحداهن أو طلقها فله الحق أن يتزوج غيرها، وكل هذا السماح لا يكفيه فيسعى إلى الزنى ويجد اللذة في ارتكاب الحرام فأي ظلم يعيشه الإنسان مع نفسه.

ـ وكل مال الدنيا في يديه إن اجتهد وعمل في الحلال، فتراه يسعى إلى الطريق المختصر إلى المال الحرام فيركض لاهثاً وراء الغش والسرقة والنهب والسلب بكل صوره.

ـ وفوق كل هذا فإن الله قد زين لنا الخير والإيمان في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وضرب لنا في كتبه من كل الأمثال وما أنقص في كتبه حظ التوجيه والإرشاد والإنذار والوعيد والعذاب.

وقال تعالى:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾

[سورة الحجرات، الآية: ٧]

وقال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٩]

فالله لا يختار السيئة ولا يأمر بها ولا يرضاها لعباده ولكن الناس مصرة عليها رغم التوجيه والإنذار.

قال تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة النحل، الآية: ١١٨]

إذاً ما هي العوامل الأساسية التي تجعل الإنسان يختار طريق الشر؟

إن لاختيار الإنسان طريق الشر عوامل وأسباباً نذكر منها:

١ ـ **نقص الإيمان**: وكلما نقصت درجة الإيمان بالله تعالى زاد اتباع الشر، وإذا أصبحت درجة الإيمان في الإنسان صفراً يصل الإنسان ساعتها إلى أعلى درجات الشر والطغيان لخلو القلب وإغلاقه دون الإيمان.

٢ ـ **حب الإنسان للعاجلة**: وحب العاجلة هي من أكبر العوامل التي تدفع الإنسان لاختيار طريق الشر ويسعى إلى متع (الآن)، ويوصله شيطانه أن اللذة الحقيقية في متع الآن وفيما حرمه الله عليه، وقد صور لنا القرآن الكريم حب الإنسان للعاجلة والمتع الآتية. **قال تعالى**:

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾

[سورة القيامة، الآية: ٢٠]

وقد نبهنا الله سبحانه أنه لو يستعجل للناس العقاب كاستعجالهم لحب الحياة لقضي إليهم أجلهم. **قال تعالى**:

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾

[سورة يونس، الآية: ١١]

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

[سورة الرعد، الآية: ٦]

وقد أشار الله سبحانه لعلمه أن الله يريد لنا الآخرة، ولا يريد لنا هذه الدنيا التي هي دار الابتلاء وليست دار الحياة الأبدية، لأن الحياة ومهما طالت فإنها لا تساوي شيئاً أمام الخلود والأبدية.

قال تعالى:

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾

[سورة الأنفال، الآية: ٦٧]

٣ ـ **الأنا وحب الذات**: إن أكثر الذين يدورون بفلك المعصية والشر هم الذين يحبون ذواتهم كثيراً، ذلك أن من شروط طريق الخير والإيمان هو أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك.

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** [(١)]

(١) رواه أحمد في المسند وقال حديث صحيح

وقال تعالى:

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾

[آل عمران، الآية: ٢٩]

٤ ـ **الغرور وعدم قبول النصيحة**: وهذا ما يقع فيه الكثير من الناس، فإذا مس الإنسان نعمة يسارع إلى الاطمئنان للدنيا ومتعها فتزيد آثامه وشروره ويطغى.

قال تعالى:

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾

[سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧]

ثم يصيبه الغرور ويتخذ دينه لهواً ولعباً. **قال تعالى:**

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٥١]

والرسل جاؤوا لأقوامهم ناصحين بأن يعبدوا اللّه ويتخذوا الخير طريقاً ولكن أكثرهم لم يقبل نصيحة اللّه سبحانه ونصيحة رسله.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٧٩]

٥ ـ **قصر النظر وفقدان الصبر:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾

[سورة الحشر، الآية: ١٨]

ويجب على الإنسان أن ينظر فيما يعده وهو اليوم الآخر ليوم غد في الدنيا وسواء للآخرة وكما قال علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» فقد جمع رضي اللّه عنه بنظر حكيم غد الدنيا وغد الآخرة.

والاستعداد للآخرة يحتاج إلى صبر الدنيا ببلائها وامتحانها، فلا نجاح

لمن يشكو ويملّ ويفقد الصبر على امتحان الحياة، فيعوض الصبر بالطغيان والفساد ولقد حدد اللّه سبحانه النصر المؤزر والنجاح الأكبر لمن حمل لواء الصبر على كتفه حامداً شاكراً. **قال تعالى**:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٣٥]

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة الزمر، الآية: ١٠]

وقد جعل اللّه الصبر مفتاح طريق الخير كله، ولن يناله إلا من صبر واحتسب. **قال تعالى**:

﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠]

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل، الآية: النحل ٩٦]

٦ ـ انقلاب الحال:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾

[سورة الحج، الآية: ١١]

والذين ينقلبون على وجوههم هم ضعاف الإيمان، لأن المؤمن الصادق مهما أصابه من سوء وفتنة لا ينقلب من طريق الخير إلى طريق الشر لفتنة فتن بها.

٧ ـ **فتنة الشيطان**: وقضية الشيطان وعلاقته الوجودية مع الإنسان قضية ثابتة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وحقيقة تلك العلاقة أوضحها القرآن الكريم (وهي علاقة عداوة) بين الإنسان والشيطان، ورغم تلك العداوة الشديدة إلا أن تأثير الشيطان على الإنسان محصور بالترغيب في عمل الشر والابتعاد عن الخير بكل محاوره عن طريق الإيحاء والوسوسة، وتأثير هذه الوسوسة واقع على ضعاف الإيمان أو

فاقديه، أما المؤمنون الصادقون فهم معصومون من ولاية الشيطان لهم لأن اللّه سبحانه هو مولاهم وقد تولاهم بكفايته ووكالته.

قال تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٦٥]

ودور الشيطان باطني لا يعدو إلى الظاهر، فالشيطان لا يتمثل لك فيجبرك على فعل شيء بالقوة أو يثنيك عنه، فدوره محدود جداً عن طريق الدخول إلى عالم النفس والتأثير على فاعليتها، ولهذا وصف اللّه سبحانه كيد الشيطان بالضعف.

قال تعالى:

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

[سورة النساء، الآية: ٧٦]

والشيطان مادة الامتحان الإلّهي وتأثيره وفاعليته، وعود لا أفعال ولا قدرات.

قال تعالى:

﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٦٤]

٨ ـ **إضاعة العبادات**: العبادات هي تطهير الروح والنفس، ولها علاقة وطيدة باختيار طريق الشر والخير، لأن تأنيب الضمير عامل أساس في روحانية العبادة، فلا يعقل أن يقف العبد بين يدي ربه يطلب رحمته ويرجو مغفرته وهو شارب للخمر أو زانٍ أو قاطع طريق، فالعبادة تنهى عن فعل المنكر واتباع طريق الشر.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: ٤٥]

وقد بين اللّه سبحانه أن ترك العبادة يوصل إلى الغي وطريق الشر لا محالة.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾

[سورة مريم، الآية: ٥٩]

فالغي والشر من مسببات إضاعة الصلاة والتي هي النوع الأسمى للعلاقة الصحيحة مع اللَّه.

٩ ـ **تغيير المناهج وتبديل الأوامر** واختلاق مناهج معاكسة ومضادة لمنهج اللَّه سبحانه:

وفي هذا يقع التغيير والتحريف والتبديل تبعاً للمصالح الدنيوية، كما فعلت اليهود في تغيير منهج اللَّه وكتابه وبما يتناسب مع أطماعهم وفسادهم كوصف أنفسهم بأنهم (**شعب اللَّه المختار**)، وفي هذا فساد وشر عظيم يوصل أصحابه ليس إلى اتباع طريق الشر ولكن إلى الجلوس والاستيطان فيه.

١٠ ـ الاختلاف والافتراء والتضليل والتبديل في خلق اللَّه سبحانه:

وفي هذا يلعب الشيطان دوراً مهما مع أولئك الذين توهمهم شياطينهم بنظريات يقلبون فيها نظام الحياة وحقيقتها كـ (داروين) الذي أصر دون سند علمي وتاريخي صحيح أن الإنسان (أصله قرد) فعمد إلى تخريب طريق الخير ليوصل الإنسان إلى طريق مسدود في فهم حقيقته والمراد منه. وكذلك قصة الاستنساخ البشري والحيواني (استنساخ النعجة دولّي) تلك القصة الفاشلة التي يريدون فيها الإيهام على توافر القدرة على الخلق، ليختار الناس الضعاف طريقاً غير طريق اللَّه وطريق الخير.

هذه بعض النقاط المهمة التي هي من الأسباب المباشرة لسلوك كثير من الناس طريق الشر واختيارهم له.

الخاتمة

إن أجمل ما في هذه الأرض هو الإنسان، بل هو أجمل ما في هذا الكون وذلك من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٧]

نعم كرَّم اللّه بني آدم وهو (الإنسان) فاللّه سبحانه بجلال قدره وعظيم سلطانه هيأ له بذاته العلية ما على الأرض ليعيش حياة حرة آمنة كريمة. . . . . كوكب الأرض هو الذي أراد اللّه سبحانه أن يخلق عليه الإنسان فيتوالد ويتكاثر. . . . ولكن الإنسان كما قدَّمناه في هذا الجزء هو آخر المخلوقات خلقاً على هذه الأرض وعمره على هذه الأرض لا يتجاوز بضع عشرات الآلاف من السنين وربما أقل أو أكثر حيث لم يصل العلم بعد إلى تحديد علم وجوده وخلقه على الأرض. . . . فلماذا تأخر وجود الإنسان وعمر الأرض باتفاق علماء الفلك والجيولوجيا ٤,٥ مليار سنة. . . . فالوقت طويل ممتد وخيالي على هذه الأرض حتى وجد الإنسان أخيراً عليها. . فما بين الخلية الحية الأولى والإنسان مليارات السنين وما بين خلق الحيوان الأول والإنسان ملايين السنين فالحياة على الأرض ومنذ أن خلقها اللّه سبحانه متنوعة وتنوعها هائل العدد ذلك للعمر المديد في الأرض. . . . ربما علم العلماء عن بعضها وأكثرها مجهول ولم يعلموا عنه شيئاً. . فمن الحياة في البحار إلى الحياة في البر إلى الحياة التي جمعت بين البر والبحر. . . . فتصوروا كم عمر الإنسان قصير على الأرض قياساً لعمر هذه المخلوقات فالديناصورات انقرضت من ملايين السنين ولكنها عاشت ملايين السنين تمرح وتسرح على هذا الكوكب، وغيرها كثير عاش ملايين السنين ثم انقرض. . ولكن عمر الإنسان بالآلاف وفي أبعد الحالات بضع مئات من الآلاف من السنين ـ فهو عمر قصير بالنسبة لعمر الأرض أولاً ولعمر باقي الحيوانات ثانياً ثم إن عمر الإنسان كفرد في المتوسط ما بين ٦٠ ـ ٧٠ سنة وقليل كما قال

رسول اللّه ﷺ: **(أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين وقليل من يجاوز)** .

فهو عمر قصير إذا ما قورن ببقية الأنواع. فمن أنواع الحيوانات ما يتجاوز عمره في المتوسط ألف سنة كبعض النسبور وقديماً الديناصورات، والماموث، وكثير من الحيوانات المتوحشة. . سنة اللّه في خلقه فمهما عمَّر الحيوان فهو ميت لا محالة. . فإذا كانت النجوم على عظيم حجمها تموت، وتولد نجوم جديدة فكيف بباقي المخلوقات. . فلماذا عمر الإنسان قصير؟ ولماذا خلقه اللّه سبحانه آخر المخلوقات. ـ سؤالان يترددان دائماً وكثيراً ما تسمعهما؟ لماذا خلق الإنسان في آخر عمر الأرض؟ ولماذا عمره قصير؟ فما رأيك بالجواب؟ هل يستطيع بشر على هذه الأرض أن يجيبك إجابة حتمية وواقعية ومنطقية؟ لا لن تجد. . ومن يجيب فإنما يجيب من خلال رأيه الذي يحتمل الخطأ أكثر بكثير من احتماله للصواب. . ذلك أنه يريد أن يدخل في علم اللّه فاللّه سبحانه يقول: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٥١]

ولكن أقول وقولي يحتمل الخطأ أكثر من الصواب. . . . أقول من خلال دراستي للقرآن الكريم ومراجعته ومتابعته. . . . إن كثيراً من الأسئلة تجد عنها الجواب في القرآن الكريم لأن اللّه سبحانه قال: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾

[سورة النحل، الآية: ٨٩]

ولقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٣٨]

وأقول واللّه المستعان: إن اللّه سبحانه يحب الإنسان ولحبه له سخر له السماوات والأرض وأسبغ عليه من النعم ما لم يسبغها على كثير من خلقه. . وأعدَّ له جنات عرضها السماوات والأرض وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب البشر. . ولحبه بعبده الإنسان أراد له الجنات الخالدات، فخلقه في الأرض لبرهة قصيرة أراد فيها أن يمتحنه في إيمانه وكفره، وضلاله وهدايته، وفجوره وتقواه، وطاعته ومعصيته، فربما لم يخلق

الإنسان للدنيا بل خلق للآخرة فأراد اللّه سبحانه بعلمه دار عبور للآخرة لعظيم أمرها وجنانها وما أعده اللّه سبحانه.. فكانت دار الدنيا دار عبور كما قال رسول اللّه ﷺ: [**مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا عابر سبيل**] وهذه إشارة إلى أن الدنيا هي كرجل استظل بظل شجرة ثم راح وتركها وهذا عن عمر الإنسان على الأرض على العموم وأما في خصوص عمر الإنسان القصير على الأرض كفرد.. ذلك أن الإنسان كائن ضعيف كما وضعه اللّه سبحانه رغم قوته الفكرية والعقلية التي بهما أحبه اللّه سبحانه.. وبما أنه كائن ضعيف لم يرد اللّه سبحانه أن يعيش طويلاً في الدنيا ذلك ليعيش في كنف اللّه يوم القيامة في مقعد الصدق عند مليك مقتدر.. ومن دلائل القول عمر رسول اللّه ﷺ الذي لم يتجاوز الثالثة والستين من العمر ولو شاء لأمد اللّه سبحانه بعمره كما مدَّ بعمر نوح عليه السلام ولكن الحبيب اشتاق إلى حبيبه والخليل اشتاق لخليله.. وبما أن الإنسان ضعيف لم يرد اللّه سبحانه أن يزيد في عمره حتى لا يحمله ما لا يطيق واللّه سبحانه يقول ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]

فالدنيا ليست دار سعادة وإلا أطال اللّه له فيها عمره ولكنها دار قصيرة، دار امتحان وابتلاء وليست دار سعادة، وطالما أن اللّه سبحانه يحبه فلم يرد أن يطول فيه هذا الشقاء وهذا الامتحان وذلك من رحمة اللّه.......... في الآيات الكريمة التي استعرضناها في هذا الجزء كثير من هذا التفصيل.. وأخيراً أقول لم يخلق الإنسان على هذه الأرض للفناء. وما الموت إلا مرحلة عبور للآخرة، ويا هناء من آمن وتاب وعمل عملاً صالحاً يلقى به اللّه يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم، وأرجو من اللّه سبحانه أن يكون هذا الجزء من الموسوعة عاملاً مساعداً على قوة الإيمان ورفع درجات التقوى والصبر على بلاء الدنيا وامتحانها، لنلقى اللّه سبحانه وهو راضٍ عنا، اللّهم أرضَ عنا وارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنك أنت الرحمن الرحيم.

ماهر أحمد الصوفي



آيات الله

في البحار والمحيطات والأنهار

الجزء الثامن



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾.

[سورة النور، الآية: ٤٠]

يقول تعالى:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

يقول تعالى:

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾.

[سورة الطور، الآية: ٦]

يقول تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

حديث شريف

يقول رسول اللّه ﷺ:

ـ عن عبد اللّه بن العاص رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل اللّه فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً ».

رواه أبو داود في سننه رقم الحديث ٤٨٩
وكذلك رواه البيهقي وابن أبي شيبة.

يقول رسول اللّه ﷺ:

« لا تقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً ».

رواه الإمام أحمد في مسنده رقم ٨٤٧٧.





المقدّمة

إن الحمد للَّه، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونرجو عفوه وكرمه. . . فقدمنَّ اللَّه سبحانه علي وأكرمني إذ أنهيت هذا الجزء من الموسوعة الذي يتحدث عن آيات اللَّه في البحار والمحيطات والأنهار. . . في هذه الجزء وجدت ما لم أجده في الأجزاء الأولى التي تتحدث عن السماوات والأرض وإعجاز اللَّه سبحانه فيهما وعظيم أمرهما واتساعهما الذي لا نهاية له. . وربما كنت أقول أو يقول القارئ مثل ما أقول وما هذه البحار أمام عظمة اللَّه سبحانه في السماوات وما فيها من مجرَّات تزيد في أعدادها عن ملايين المليارات، وفي كل مجرَّة مليارات النجوم ومليارات الكواكب. . هذا صحيح فلا تشكل الأرض وبحارها وجبالها أمام عظمة السماء شيئاً. . ولكن يا سبحان اللَّه لكل ميزاته وخاصته!! فالإعجاز الإلّهي كائن حتى في حبة الرمل الواحدة على شاطئ بحر طويل. . هكذا تظن أو أظن أنا. . ولكن عندما تبدأ الكتابة عن عالم البحار والمحيطات تجده عالماً خيالياً أعظم وأكبر مما تفكر بكثير. . إن أعماقَ البحارِ ظلام دامس تماماً كالفضاء الخارجي خارج حدود الغلاف الجوي. . لذلك عندما ينزل الغواصون إلى قاع البحار فإنهم لا يرون أكثر من حدود ما يكشفه النور الذي بين أيديهم وكل ما حولهم ظلام دامس كما وصف اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ ﴾ [سورة النور] فإذا كان هناك تاريخ قديم لدراسة علوم الفلك والأرض اليابسة، ذلك أن كثيراً من الدراسات الأولية لعلم الفلك والأرض اعتمدت على النظر. . ولكن هذا الأمر يختلف في عالم البحار. . فإن دراسة عالم البحار حديثة وليست قديمة. . لأن دراسة عالم البحار لا يعتمد على النظر إلى سطح البحر والمحيطات، بل لا بد من

الغوص إلى مسافات وأعماق سحيقة وهذا لا يمكن أن يكون إلا من خلال صناعة أدوات الغوص وصناعة السفن الحديثة والغواصات العملاقة، فلا يستطيع أحد من دون هذه الغواصات العملاقة أن يسبر أغوار البحار ووديانها السحيقة، فالغواص ببدلة الغوص التي يرتديها لا يستطيع أن يغوص إلا إلى أمتار معدودة. . . لذلك نقول: إن كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة لم يتم تفسيرها التفسير العلمي إلا بعد تصميم وصناعة الغواصات. . فمثلاً البحر المسجور أي البحر المتشكل بالنار في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ لم يعرف إلا في أوائل القرن العشرين بعد أن اكتشفه البحارة الاسكندنافيون وهم يبحرون بالغوَّاصة في أعماق البحار. . وكذلك البحر اللجي العميق وظلماته التي بعضها فوق بعض في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾.

لم يُعرف إلا بعد اختراع السفن الحديثة المجهزة تجهيزاً علمياً راقياً، والغواصات التي أصبحت من الرقي اليوم بحيث تجوب أعمق أعماق البحار وتكتشف مجاهله ومتاهاته، لقد قال علماء البيئة والمختصون في شؤون البحار أن مسحاً جديداً للمحيطات ليتعرف على [١٣] ثلاثة عشر ألف نوع من جديد الكائنات البحرية، وقد تم تصوير الكثير منها وعرضها على شاشات التلفاز والإنترنت وفي أفلام خاصة عن عالم البحار، ويقول علماء البيئة: إن مجموع الأنواع التي تم حصرها حتى الآن بلغ [٣٨] ألف نوع من الكائنات البحرية. . ولا يزال الاكتشاف مستمراً. . . حقاً إنه عالم واسع لا يحصى ما فيه، ولا يصلح ما فيه بدقة إلا اللّه سبحانه خالق البحار والمحيطات والكائنات التي تعيش فيها. . وكل فئة من هذه الأنواع تعيش وسط بيئة بحرية محددة، فكائنات البحر الأبيض المتوسط غير كائنات المحيط الأطلسي التي يفصل ما بينهما بقدرة اللّه حاجز مائي من نوع ثالث، يمنع اختلاط مياهه والحياة البيئية لكل بحر ومحيط وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]. . . هذا الجزء من الموسوعة الذي يحمل عنوان (آيات اللّه في البحار والمحيطات والأنهار) الهدف منه بيان إعجاز الآيات القرآنية الكريمة عن عالم البحار التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وأهمها.

يقول تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠].

ويقول تعالى:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾.

ويقول تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾.

ويقول تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾.

إلى آخر الآيات التي سيجدها القارئ في هذا الجزء من الموسوعة، مفسرة التفسير العلمي وفق أحدث المعطيات والنظريات العلمية.

. . . ولكن أردت قبل أن أفسر هذه الآيات التفسير العلمي وبيان إعجازها، أن نقدم بين يدي القارئ في القسم الأول من الجزء معلومات علمية حديثة ومعاصرة عن هذا العالم الكبير الغامض في عالم البحار، وذلك ليكون مقدّمة علمية معاصرة تساعد على فهم هذا العالم الكبير، وتساعد على فهم وتفسير الآيات القرآنية المعجزة التي تحدث اللّه سبحانه فيها عن عالم البحار، وخلقه للبحار وبيان قدرته فيها. . فقد تحدَّثنا علمياً عن خاصية البحار، وتكوُّن البحار، والغلاف المائي وتوزيعه، وعن سطوح البحار وأعماقها، والجزر والشواطئ والجبال والوديان. . . الخ من المعلومات العلمية القيمة مع تقديم جداول علمية، كذلك عن جزر البحار وأطوال الأنهار، والشلالات والأعماق والخلجان، والبحار الداخلية ومساحة كل بحر ومحيط. . الخ من المعلومات المفيدة. . . وبهذا نكون جمعنا بين علوم البحار وتفسير الآيات، ووصلنا إلى الغاية المرجوة. . وقد وثّقنا كل المعلومات الواردة ليكون هذا الجزء مرجعاً بعون اللّه عن عالم البحار والأنهار وتفسير الآيات القرآنية الكريمة. . وكان اللّه سبحانه الذي له الفضل والمنة المعين لي في كتابة هذا الجزء. . وأرجو اللّه سبحانه أن نكون قد

وفقنا في الاختيار والتنظيم والترتيب وقدَّمنا للقارئ ما يفيد فنؤجر عليه وهذا غايتنا ومنانا ـ فأرجو سبحانه أن يجعل ما قدَّمنا في صحائف أعمالنا جميعاً، الكاتب والقارئ وكل من ساهم في كتابة هذه الموسوعة، وطبعها ونشرها وتوزيعها ووصولها للقارئ، فالشكر للّه والحمد أولاً وأخيراً، ولا قوة ولا عزم لنا إلا بقوة اللّه سبحانه.

د. ماهر أحمد الصوفي

الفصل الأول

١ ـ كيف يتوزع الغلاف المائي في البحار والمحيطات والبحيرات؟.

٢ ـ عناصر مياه البحار والمحيطات.

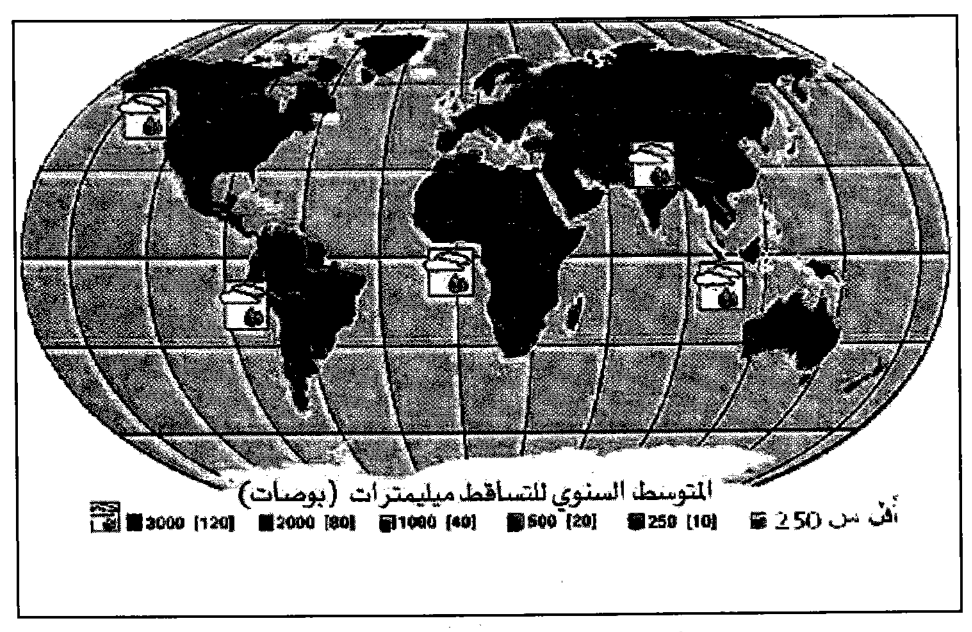
٣ ـ أحياء البحار والمحيطات.

٤ ـ الأمواج والتيارات البحرية.



كيف يتوزع الغلاف المائي في البحار والمحيطات والبحيرات؟

تحتل المياه ٧١٪ من مساحة سطح الكرة الأرضية تقريباً أي ما يعادل ٣٦١ مليون كلم٢ وهي تتألف من: مجموع مساحات المحيطات والبحار والبحيرات بعمق يبلغ متوسطه ٣٨٠٠ م. وقد أطلق الجغرافيون على هذه المسطحات المائية اسم [الغلاف المائي] ويقدر حجم هذا الغلاف باثني عشر ضعفاً لحجم اليابسة. معظم هذه المسطحات، بعكس القارات يتصل بعضها ببعضها الآخر، كما يختلف مساحة وعمقاً.



صورة للكرة الأرضية حيث تبين مساحة المياه بالنسبة لليابسة حيث تشكل البحار والمحيطات ٧١٪ من مساحة الكرة الأرضية وتشكل اليابسة ٢٩٪ فقط

وقد قسمها الجغرافيون إلى:

أ ـ المحيطات: وهي:

١ ـ **المحيط الهادي** ـ أكبر المحيطات، إذ تبلغ مساحته نصف مساحة

الغلاف المائي وأكثر من ثلث مساحة سطح الكرة الأرضية، وهي **تبلغ حوالي ١٦٥٢٤٦ مليون كلم٢** وفي حال أضفنا إليه البحار الفرعية التابعة له كبحر اليابان وبحر الصين. . . .

فتصبح مساحته حوالي ١٧٩٦٧٩ مليون كلم٢.

يقع المحيط الهادي بين القارة الأميركية من جهة، وقارتي آسيا وأوقيانيا من جهة أخرى. **يحتوي هذا المحيط على أعمق وحدة بحرية في العالم وهي وهدة ماريان (١١٥٢١ م) بالقرب من جزر الفلبين.**

لكن معدل عمقه يبلغ حوالي ٤٢٨٢ يتصل بالمحيط المتجمد الشمالي عبر مضيق ما جلان في أقصى جنوب أميركا الجنوبية، وبقناة باناما في أميركا الوسطى.

٢ ـ **المحيط الأطلسي** ـ يقع بين قارتي أوروبا وإفريقيا من جهة، والقارة الأميركية من جهة أخرى، كما أنه يمتد من القطب الشمالي حتى الأنتراكتيك **تبلغ مساحته ٨٢٤٤١ مليون كلم٢**، وترتفع إلى نحو ١٠٦٤٦٣ كلم٢ في حال أضيفت إليه البحار المتفرعة عنه كبحر المانش وبحر الشمال وبحر البلطيق.

ينفتح على المحيط المتجمد الشمالي. . . أعمق وهدة فيه هي وهدة بوتوريكو (٩٢١٩) أما معدل عمقه فهو ٣٨٦٨ م.

٣ ـ **المحيط الهندي** ـ يقع بين قارة أوقيانيا من الشرق وقارة آسيا من الشمال وقارة إفريقيا من الغرب فهو لا يتصل بالمحيط المتجمد الشمالي، **تبلغ مساحته حوالي ٧٣٤٤٣ مليون كلم٢** وقد تصل إلى **٧٤٩١٧ مليون كلم٢** إذا أضفنا إليه بحر عمان والخليج العربي وخليج البنغال وبعض البحار الفرعية الأخرى. أعمق وهدة فيه هي وهدة جاوا البالغ **عمقها ٧٤٥٥ م**، أما معدل عمقه فهو ٣٩٦٣ م يتصل بالمحيط الهادي عبر مضائق عديدة موجودة في شرقه أهمها مضيق «باس Bass» في أوستراليا. . . .

٤ ـ **المحيط المتجمد الشمالي** ـ يشكل القطب الشمالي للكرة الأرضية ويحيط به على مساحة **تبلغ حوالي ١٤ مليون كلم٢** تقريباً. يغطيه الجليد بصورة دائمة، وهو جليد دائم لا يرتكز على أية أرض يابسة. فيه بعض

الجزر التابعة لقارة أوروبا وأميركا الشمالية وآسيا. وفيه درجة الحرارة الأكثر إنخفاضاً في العالم قد تصل الحرارة إلى ٧٠ درجة تحت الصفر. **أعمق وهدة فيه بحدود ٥٤٤٠م** ومعدل عمقه ١٥٢٦ م.

٥ ـ **المحيط المتجمد الجنوبي ـ** ويتكون من الأجزاء الجنوبية للمحيط الأطلسي والمحيط الهادي والمحيط الهندي التي تحيط بقارة القطب الجنوبي، تقع مناطقه بعد خط عرض ٤٥ جنوباً من كل محيط، حيث تخف أو تنعدم كل التأثيرات المدارية، تتجمد مياهه معظم أيام السنة. **أعمق وهدة فيه تصل إلى ٦٩٧٢ متراً.**

ب ـ البحار

وقد تكون أحياناً بعمق المحيطات رغم أنها أصغر منها. من أهم هذه البحار نذكر:

١ ـ **البحار الواسعة ـ وأهمها البحر الأبيض المتوسط** فهو يتوسط القارات الثلاث التي كانت تشكل العالم القديم. أوروبا وإفريقيا وآسيا. **تبلغ مساحته مع البحر الأسود حوالي ٢٩٦٨ مليون كلم٢** يحتل منها البحر الأسود ٤٣٥٠٠٠ كلم٢ أعمق وهدة فيه قرب اليونان يبلغ **عمقها ٥١٢١م**.

أما معدل عمقه فيبلغ ١٤٥٨ م. يتصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، ويتصل بالبحر الأحمر عبر قناة السويس، كما يتصل بالبحر الأسود عبر مضيق البوسفور والدردنيل.

ثم يأتي البحر الأحمر في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، يقع بين شواطئ إفريقيا الشرقية وشواطئ شبه الجزيرة العربية، ويتصل بالمحيط الهندي عن طريق باب المندب. تبلغ مساحته حوالي نصف مليون كلم٢. وأعمق وهدة فيه هي بحدود ٢٨٣٥ متراً.

٢ ـ **البحار الفرعية ـ** تتفرع عن المحيطات أو البحار الواسعة فإما أن تتبعها أو تسمى بأسماء المناطق القريبة منها **مثل بحر الشمال، وبحر المانش، والبحر الكاريبي وبحر اليابان**.. هذه بالإضافة إلى بحار مغلقة كلياً في القارات فهي لا تتصل مطلقاً بأي من المحيطات أو البحار، أهمها **بحر**

قزوين الذي تبلغ مساحته ٤٢٣٣٠٠ كلم٢ تقريباً. ويعتبر أكبر البحيرات مساحة في العالم ينخفض مستوى مياهه كل عام بضعة سنتيمترات نظراً لتبخر كميات كبيرة من مياهه تفوق بكثير الكمية التي تصب فيه، **يبلغ أقصى عمقه ٧٦٨ م**. ومن البحار المغلقة **أيضاً بحر آرال الذي يمتد على مساحة ٦٨٧٠٠ كلم٢ في روسيا**.

٣ ـ **البحيرات** ـ عبارة عن منخفضات امتلأت بالمياه، تكوّن بعضها في الشقوق والأخاديد كبحيرات إفريقيا (**مثل فكتوريا، تياسا تانجانيكا** وتكوّن بعضها الآخر بتأثير ذوبان الجليد إثر الموجات الجليدية التي اجتاحت الأرض في الزمن الجيولوجي الرابع كبحيرات أمريكا الشمالية (**البحيرات الخمس، بحيرة العبيد الكبرى، بحيرة الدب الكبرى، وبحيرة وينبغ**..) وهناك عدد من البحيرات ذات الملوحة المرتفعة **كالبحر الميت** الذي تبلغ ملوحته حوالي ٢٧٥ بالألف، **والبحيرة المالحة** في منطقة الجبال الصخرية في الولايات المتحدة الأميركية والتي تقع على ارتفاع ١٢٨٣ م.

إن حرارة المياه في هذه البحيرات تبقى واحدة طيلة أيام السنة وتبلغ (٤) **درجات**، وهي الحرارة التي تبلغ فيها المياه العذبة أثقل كثافة لها. أما البحيرات الكبيرة الملوحة، فنادراً ما تجمد مياهها حتى ولو هبطت حرارة الجو عشرات الدرجات تحت الصفر.

يتغير مستوى معظم البحيرات على مدار السنة، ومن سنة إلى أخرى وذلك حسب كمية الأمطار الهاطلة فوقها، أو لتغذيتها بأنهار يختلف منسوبها حسب الأيام والفصول، أو بثلوج تذوب في أوقات معينة، كما تجف أحياناً بعض البحيرات على مر السنين خاصة في المناطق الجافة.

*** ـ ما هي أنواع البحيرات الأكثر انتشاراً في العالم؟**

١ ـ **البحيرات المحيطة**: وهي تشكل بقايا أحواض محيطية قديمة تكونت إثر ارتفاع القشرة الأرضية مثل **بحر قزوين**.

٢ ـ **البحيرات المدرجة**: أصلها جليدي تحتل التجويفات التي شكلها مجلدات الدرجة الثانية.

٣ ـ **البحيرات ذات المخرم** تحتل هذه البحيرات المنخفضات الجليدية الأصل وتقع قرب المخارم الألبية المتكونة من صخور تعرضت للحت.

٤ ـ **بحيرات الأودية الجليدية**: وهي كما يدل اسمها.

٥ ـ **بحيرات السدود الجليدية**: حين تكون الألسنة الجليدية سداً يحصر المياه.

٦ ـ **بحيرات السد الجغرافي**: وتقع عادة بين الهضاب الجرافية.

٧ ـ **بحيرات الانهيار**: تنشأ من انهيار جدار يقطع طريق مجرى الماء.

٨ ـ **بحيرات من أصل ريحي**: تنشأ سدودها من الرمال التي تجمعها الرياح.

٩ ـ **البحيرات الكارستية**: تنشأ عن ظاهرة التضريس الصلصالي (الكارستي).

١٠ ـ **البحيرات الطميية**: تكوّن الركامات الطميية سدوداً تحصر البحيرة أو البحيرات.

١١ ـ **البحيرات المخروطية الشكل**: تتشكل حين يكون الرافد عنيفاً وغزير المياه، وغنياً بالمواد الحتاتية المترسبة في وادي النهر.

١٢ ـ **البحيرات الشاطئية**: تنشأ عن التقاء الشاطئ وإحدى الجزر.

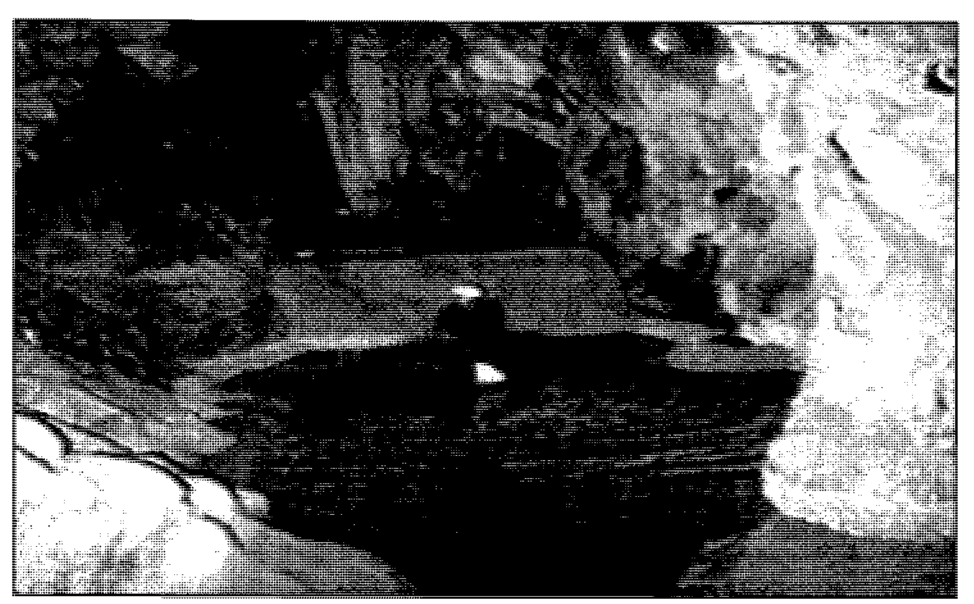
١٣ ـ **البحيرات ذات الفوهة**: أي عند فوهات البراكين.

١٤ ـ **البحيرات الجوية**: وهي قليلة لا يتعدى عددها أربعة في العالم كله وتحتل المنخفضات المحفورة في القشرة الأرضية بفعل سقوط أحد النيازك المخترقة للغلاف الجوي.

اعتقد الكثير من العلماء بأن حجم الغلاف المائي لم يتغير على مرِّ العصور، وذلك وفقاً لنظرية دورة المياه العامة التي تقول بأن المياه تبدأ بالتبخر تحت تأثير أشعة الشمس والرياح، ثم تتكاثف وتصبح غيوماً ولا تلبث هذه الغيوم أن تتحول إلى أمطار أو ثلوج أو ندى أو صقيع.. فتدخل الأرض وتكون الينابيع والأنهار، ثم تعود إلى المكان الذي جاءت منه.

أما في الواقع العملي فإن كمية المياه قد تغيرت وتتغير دائماً بفضل «المياه الأولية» أي تلك التي تظهر لأول مرة على سطح الأرض بشكل أبخرة صاعدة من باطن الأرض، والتي يتكاثف قسم منها بفضل انخفاض الحرارة

وبعض العوامل الأخرى، فتزيد من كمية المياه الجوفية والموجودة على سطح الأرض، هذا بالإضافة إلى العديد من العوامل التي تساعد على نقصان المياه مثل: نقص مادة ثاني أوكسيد الكربون من الهواء الذي يتسبّب عند حدوث الموجات الجليدية. وبما أننا نعيش اليوم في مرحلة دافئة شبيهة بالتي تمر بين موجتين فإنه بات من الممكن أننا نتجه نحو موجة جليدية خامسة قد تحدث بعد آلاف السنين فتغير مجرى الحياة على سطح الأرض... في حين أن خبراء علوم البيئة يخشون تزايد ثاني أوكسيد الكربون، والذي يؤدي إلى ارتفاع حرارة الأرض وذوبان جليد القطبين، ومن ثم ارتفاع منسوب مياه البحار والمحيطات لعشرات الأمتار، مما يؤدي إلى وقوع كارثة على المدن الساحلية في العالم... هكذا يبقى أمام العلم عديد من الأسئلة عليه الإجابة عنها[١].



بحيرة جوفية من مياه معدنية

(١) موسوعة الكون والفضاء والأرض أ د. موريس أسعد شربل أ د. رشيد فرحات.

عناصر مياه البحار والمحيطات

تشكل مياه البحار كتلة محيطية واحدة، تحتل القارات بعض أجزائها وهي لا تمثل سوى قشرة رقيقة جداً من الكرة الأرضية، إذ معدل عمقها ٣٨٠٠ م ولا يمثل أكثر من ١/ ١٦٠٠ من شعاع الكرة، وأن وزن الغلاف المائي هذا لا يشكل سوى ١/ ٤٥٠٠ من وزن الأرض الإجمالي، لكن وجود المياه بحالتها السائلة هي حتى الآن إحدى الخصائص الفريدة والمهمة التي تتميز بها الكرة الأرضية عن بقية الكواكب السيارة ضمن المجموعة الشمسية.

مياه البحار والمحيطات محلول عظيم من الأملاح والمواد المعدنية والعضوية ذي ألوان مختلفة سطحياً ومتغيرة وفقاً للمكان. وهي في حركة دائمة (الأمواج) وتشكل مجموعة غير متجانسة بوجه عام إذ أن ملوحتها تزيد وتنقص حسب الزمان والمكان، كما أن حرارتها تختلف أيضاً ضمن الظروف نفسها.

تم حتى الآن اكتشاف ٤٩ عنصراً مكوناً لمياه البحار والمحيطات وربما توجد أجسام أخرى لم يتوصل العلم إلى اكتشافها حتى الآن. لكن هذه المواد والأملاح لا تتواجد بنسب متساوية كما تتفاوت كثافتها إلى أن تصل إلى أقل من ميليغرام واحد في الليتر من الماء. وقد وضعت معدلات عامة على النحو التالي:

كلوريد الصوديوم ٢١٣.٢٧ غرام في الليتر الواحد.

كلوريد الماغنزيوم ٨٠٧.٣ غرام في الليتر الواحد.

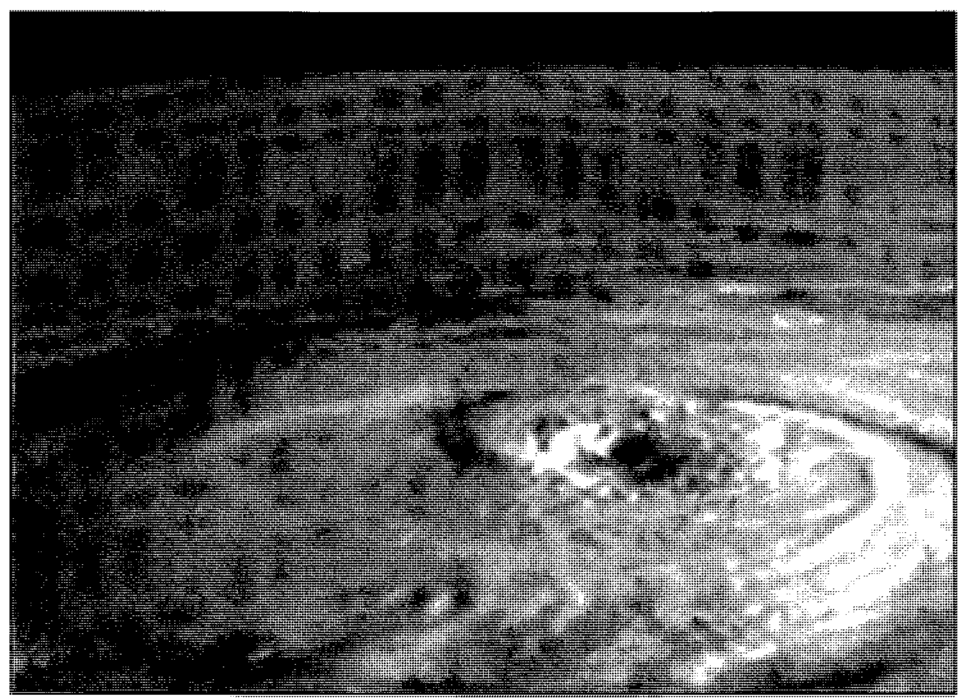
سلفات الماغنزيوم ٦٥٨.١ غرام في الليتر الواحد.

سلفات الكلسيوم ٢٦٠.١ غرام في الليتر الواحد.

سلفات البوتاسيوم ٨٢٣.٠ غرام في الليتر الواحد.

وتحتوي مياه البحر بالإضافة إلى هذه الأملاح عناصر أخرى كثيرة كالسيليسيوم والبروم واليود والألمنيوم والحديد والنحاس والذهب والراديوم

والفضة والأورانيوم. . . كما تحتوي على بعض الغازات المنحلة كالأوكسجين والآزوت وثاني أوكسيد الكربون، وبعض المركبات الآزوتية والفوسفاتية الضرورية لوجود ونمو النباتات والحيوانات المائية، هذا بالإضافة إلى بعض المواد العضوية الذائبة أو العالقة في هذه المياه.



صورة لأعماق البحر أخذت من مركبة فضائية تبين فتحات بركانية حيث تتشكل عناصر الحديد والبروم واليود والنحاس وكثير من المعادن الأخرى

* ما هي حرارة مياه البحار والمحيطات؟

تعتبر أشعة الشمس المصدر الرئيس لحرارة المياه فتدفئ الطبقات السطحية من المياه ويخف تأثيرها مع العمق من جهة وحسب وقوعها على خطوط العرض من جهة أخرى، كما تنقص حرارة المياه كلما ابتعدنا عن خط الاستواء باتجاه القطبين ففي شهر آب مثلاً تبلغ حرارة المياه في المناطق المدارية من المحيط الأطلسي ٢٥ درجة، تنخفض هذه الحرارة إلى ٢٠ درجة مقابل شبه الجزيرة الإيبرية، ثم إلى ١٥ درجة مقابل إيرلندا و ١٠ درجات عند إيسلندا و٥ درجات في النرويج.

كما تنقص الحرارة أيضاً حسب العمق فهي تهبط بسرعة حتى عمق يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ م حيث ينعدم تأثير العوامل الخارجية كلياً ما بين عمق ١٠٠٠ م و ١٥٠٠ **فتصبح حرارة المياه بحدود أربع درجات** ثم تنخفض تدريجياً وببطء شديد حتى عمق ٣٠٠٠ م بعدها **تستقر الحرارة تقريباً إذ يتراوح معدلها بين صفر واثنين تحت الصفر خاصة في قاع المحيطات. أما البحر المتوسط فقد تبلغ حرارته حوالي ٧.١٢ درجة عند عتبة جبل طارق وعلى عمق ٤٠٠ م ولا تختلف كثيراً حتى عمق ٤٠٠٠م**.

تبلغ كثافة مياه البحار والمحيطات كمعدل وسطي ٠٢٦.١وقد تتأثر بالملوحة وبالحرارة وغيرها.

*** ما هي مجلدات المحيطات المتجمدة؟**

المجلدات كتل مائية ضخمة تحتل مناطق واقعة عند مرتفعات معينة تكثر فيها الثلوج بصفة دائمة، كما أن الثلوج التي تتساقط عليها لا تذوب طوال السنة إذ تبقى على شكل جليد. هكذا تتكون المجلدة فوق حد الثلوج الدائمة حيث يبقى جزء من الثلج المتساقط على حالته الصلبة بسبب انخفاض درجة الحرارة ثم يتحول تدريجياً إلى جليد.

تتحرك المجلدات نحو المكان الذي تذوب فيه، فتقطع أحياناً مسافة خمسة كيلو مترات سنوياً في المناطق القطبية.

تصنف المجلدات إلى مجلدات من الدرجة الأولى يكون لها لسان جليدي، ومجلدات من الدرجة الثانية تكون بدون لسان.

تنشأ الركامات الجليدية الجانبية تحت تأثير أحديداب المجلدة وكثرة الأشعة في جدران الوادي. وهناك عدة أنواع من الركامات:

- **الركامات الجليدية المتوسطة.**
- **ركامات الحواجز.**
- **الركامات الجليدية المتسربة.**
- **ركامات القعر.**
- **الركامات الجليدية المودعة.**
- **الركامات الجبهية.**

أحياء البحار والمحيطات

لا شك أن خصائص المياه الفيزيائية والكيمائية التي رأيناها بالإضافة إلى وفرة المواد الغذائية الأخرى، تناسب نمو الكائنات الحية التي يتجاوز عدد أنواعها أل ـ (٢٠٢٠٠) نوعاً، كما أن كل هذه المميزات توضح لنا عملية توزيع هذه الكائنات بدءاً من الخلايا المجهرية الصغيرة ومروراً بالأسماء على أنواعها وصولاً إلى الحيتان.

. . . إن نمو علق البحر (phyto-planktons) مثلاً يرتبط بمدى نفوذ أشعة الشمس التي تتعلق بدورها بزاوية انعكاسها وبمدى شفافية المياه. . ينحصر وجود هذه الكائنات بين سطح البحر وعمق لا يتجاوز المئة متر (**الحد الأقصى لوصول أشعة الشمس**) فبعد هذا العمق لا نجد سوى الحيوانات آكلات اللحوم وبعض الكائنات التي تتغذى بالبقايا العضوية التي تتساقط من الطبقات العليا. من أهم الكائنات الحية نذكر:

أ ـ **الكائنات الحية** التي تعيش بكثرة بالقرب من الشاطئ على عمق ٥٠ متراً حيث تكثر الأشنة (حشائش بحرية) ومنها الأشنة السمراء والأشنة الخضراء، كما تنمو الأصداف على أنواعها والأسماك التي بين الصخور، **كما يعيش المرجان** على سواحل البحار الدافئة فيشكل بعد موته الصخور المرجانية الحمراء اللون والتي يتردد إليها بعض أنواع الأسماك الجميلة.

ب ـ **الكائنات الحية** التي تعيش في المياه السطحية وذلك في عرض البحار والمحيطات تلقى فيها التيارات الباردة والحارة فتجعلها غنية بالأسماك فتقصدها أساطيل الصيد بشكل مستمر ومن أنواعها نذكر: **السردين والطن والرنكة والسقمري**.

كما تعيش في هذه المناطق مجموعة متنوعة من الحيوانات الضخمة كالحيتان والدلافين وكلاب البحر التي تنتقل جميعها بين سطح البحر وعمق ٦٠٠ م تقريباً. . .



آلاف الأنواع والأحياء والأسماك في أعماق البحار ـ رزق ولحم طري تستخرجونه إنه فضل من اللّه ونعمه

ج ـ **كائنات الأعماق السحيقة**: هذا المجال لا يصل إليه الصيادون بل المستكشفون، علماً بأنه غني بالحيوانات من فصيلة آكلة اللحوم والتي تتغذى ببعض أنواع البكتريا وبقايا الأجسام الميتة المتساقطة من الطبقات العليا. تتميز حيوانات الأعماق (٥٠٠٠م) بأنها ذات فم كبير وعينين كبيرتين وبعضها الآخر خصصته الطبيعة بأعضاء فوسفورية ليؤمن له الضوء والنور، **وأخرى عمياء تؤمن غذائها بواسطة قرون لاقطة وحساسة يزيد طولها أحياناً ٢٠ مرة عن طول جسمها**، كل هذه الأصناف من الحيوانات تستطيع أن تتحمل الضغوط الهائلة التي تزداد مع العمق، وذلك بإفراز بعض السوائل التي تسمح لها بخلق التوازن بين أجسامها والبيئة الخارجية.

ومما لا شك فيه أن هنالك تبايناً بين المناطق المحيطية والمناطق البحرية فالمناطق العميقة تصنف إلى أقل من مئة متر عمق، والمنطقة القعرية تصل إلى مائتي متر، أما المنطقة المحيطية العميقة فيتراوح عمقها بين ٢٠٠ و٣٠٠ متراً **أما المنطقة اللجية فإنها تقع تحت مستوى ٥٠٠ م من العمق** وهي

تحتضن حيوانات غريبة الشكل. . . فقد قسم العلماء حيوانات البيئة البحرية إلى حيوانات مترجرجة وحيوانات قعرية. أما الحيوانات المترجرجة أو المتموجة فإنها تتمثل بعلق البحر **(البلاتكتوم والنيكتون)** إضافة إلى القاعيات التي تحتل قعر الأحواض وتتكون من أجسام دقيقة وأجسام كبيرة الحجم، معظم هذه الحيوانات الصغيرة تعيش على عمق قليل الانخفاض وهي بحاجة إلى الشمس كي تنمو وتتكاثر، فالشاطئ المائي من البحار والمحيطات هو المكان الصالح لنموها وتكاثرها، وتشكل من ناحية أخرى الغذاء الأول للأسماك التي تقترب من الشاطئ لتتغذى بهذه الحيوانات الصغيرة، وتجدر الإشارة هنا إلى الحفاظ على شاطئ نظيف بيئياً يساهم وبشكل فعال في تأمين الغذاء للأسماك البحرية على اختلافها، عدا نظافة مياه البحار من أجل السياحة والمساهمة في الحفاظ على بيئة سليمة.

أما حيوانات أعماق البحار والمحيطات فإنها تتكون من الإسفنجيات والقشريات والأسماك والرخويات، وكلها تحمل أعضاء ضوئية تساعدها على التنقل في الظلمة [١]. . . .

(١) موسوعة الكون والفضاء والأرض دار الفكر العربي أ بيروت.

الأمواج والتيارات البحرية

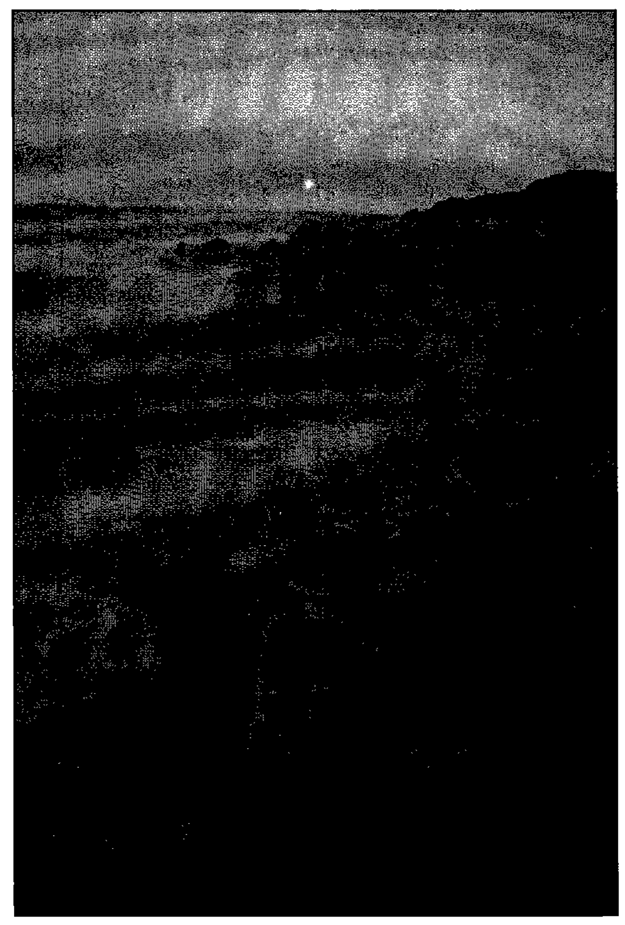
تنشأ الأمواج بتأثير الرياح من جراء انخفاض الضغط الجوي في أماكن مختلفة من سطح المحيطات... فكتلة المياه لا تنتقل إذاً مع الهواء كما يبدو للعيان بل تهتز مكانها، والدليل على ذلك أننا إذا راقبنا مركباً واقفاً في عرض البحر نراه يتأرجح في مكانه صعوداً وهبوطاً دون أي انتقال أفقي أو غيره، وينعدم وجود حركة الأمواج على عمق مئة متر تقريباً، إذاً الأمواج هي اهتزازات لكمية المياه السطحية وهي أصناف وأهمها:

أ ـ **الموجة الطليقة أو المتأرجحة** (La houle) تنشأ الموجة الأولى بتأثير الرياح أو العواصف ولا يلبث تحركها أن يؤثر على كمية المياه الموجودة حولها، فتهتز بدورها وتؤثر على جوارها فتشكل بذلك الموجة المتأرجحة التي تمتد على آلاف الكيلو مترات، فانخفاض الضغط بين الأرض الجديدة في أميركا الشمالية وجزر الآسور، يولد موجة متأرجحة تظهر للعيان عند وصولها إلى شواطئ المغرب بعد فترة تتراوح بين يومين وأربعة أيام.

ب ـ **الأمواج المدفوعة قسراً** (Les vagues forcées) أثناء تحرك الأمواج يتدخل الهواء فيغذيها ويزيد من تموجات الماء فنحصل على أمواج مدفوعة قسراً يزيد ارتفاعها كلما اشتدت الرياح، وهي التي تؤلف الزبد أثناء عصف الرياح.

ج ـ **الأمواج المتكسرة** (Les vagues déferlantes) تكون الأمواج منتظمة في المحيطات والبحار البعيدة لكنها عندما تقترب من الشاطئ فإنها تتغير إذ يقصر طولها وتبدو رؤوسها مسننة وأكثر ارتفاعاً. وعندما يصبح عمق المياه قليلاً تحتك بقاع البحر فيختل توازنها فتندفع نقلية نحو الشاطئ بعد أن يصبح شكلها حلزونياً ويتغطى رأسها بالزبد ثم تتكسر بصخب

على صخور الشاطئ أو رماله. تولِّد الأمواج عادة قوة تتناسب طرداً مع طول الموجة ومع مربع ارتفاعه، فالموجة التي يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار تقدم في مساحة متر مربع واحد، قوة باستطاعتها أن تقذف جسماً يزن كيلو غراماً واحداً مسافة كيلومتر واحد في الهواء، من هنا نفسر عملية تآكل الشواطئ، وكيف أن بعض الأعمال التي تقام على الشاطئ تكسر الأمواج أو تعطلها... الخ.



الأمواج البحرية متعددة منها ما هو شاطئيّ ومنها ما هو داخلي ومنها ما هو في أعماق البحار اللجية. وفي الصورة الأمواج تتكسر عند الصخور

*** ما هي التيارات الأوقيانية؟**

تشبه التيارات البحرية أنهاراً حقيقية تجري في الاتجاه نفسه داخل المحيطات الكبرى، لكنها تحتفظ بخصائصها الجوهرية كالملوحة

واللون والحرارة، وهناك عوامل عديدة تتسبب في نشأة التيارات، منها عمل الرياح واختلاف الحرارة والملوحة الموجودة بين بحرين متصلين أو بين سطح وقعر في البحر نفسه، أضف إلى كل ذلك دوران الأرض.

يتبدل نظام هذه التيارات مع تبدل المساحات المائية حسب تنقل الأشعة الشمسية بصورة عمودية بين مدار السرطان ومدار الجدي، وهذا ما يعرف بالزحف الأوقياني الذي يكون نحو الشمال في فترة الصيف الشمالي ونحو الجنوب أثناء الصيف الجنوبي، هذا إذا اعتبرت المنطقة الإستوائية مركزاً لإنطلاق التيارات الأوقيانية. وبسبب دورة الأرض حول نفسها تتخذ التيارات يمينها في القسم الشمالي من الكرة ويسارها في القسم الجنوبي إلا إذا اصطدمت باليابسة، عندها تسير بمحاذاة الشاطئ.

تتكون التيارات المائية شمال وجنوب خط الاستواء حيث تقذفها الرياح التجارية فتسير وفقاً لوجهة الرياح وتسير عادة بمحاذاة خط الاستواء وعندما تصطدم بالقارات تتخذ يمينها في شمال الكرة ويسارها في الجنوب حتى تلتقي بالتيارات التي دفعتها الرياح القطبية الباردة والقليلة الملوحة فتغور المياه المالحة والحارة تحت المياه الباردة القليلة الملح ذلك لأنها أثقل. من أجل حفظ التوازن تنشأ تيارات باردة تصل حتى خط الاستواء حيث تقذفها الرياح التجارية **فتنشأ عندئذ الرياح الاستوائية المعاكسة** لإعادة المياه إلى الأماكن التي قذفت مياهها. وهكذا دواليك فتصبح هذه التيارات أشبه بحلقات متقطعة ومغلقة تتكرر تباعاً.

*** أهم التيارات المائية هي:**

أ ـ في المحيط الأطلسي ـ ينشأ فيه تياران استوائيان:

التيار الجنوبي ويسير غرباً حتى يصطدم بالقارة الأميركية عند رأس سان روك حيث ينقسم إلى تيارين: تيار يسير قرب البرازيل ويسمى تيار البرازيل، والقسم الآخر يسير بمحاذاة غويانا حتى يلتقي بالتيار الشمالي فيكونان معاً تيار الخليج الدافئ أو غولف ستريم الذي

يدفئ شاطئ المكسيك وجنوبي الولايات المتحدة الأميركية. ثم يسير شمالاً بالقرب من القارة حتى يلتقي بتيارات غروينلند و لابرادور الباردة والآتية من المحيط المتجمد الشمالي فيغور القسم الأكبر من مياهه تحتها وتبرز عندئذ مياه باردة من الأعماق شرقاً مقابل تيار الخليج لتعيد التوازن إلى المحيط فيتكون تيار الكناري الذي يسير بمحاذاة أفريقيا حتى تعود حرارة منطقة الاستواء فتسخّنه ثم لا تلبث أن تدفعه الرياح التجارية من جديد نحو الغرب، حيث يكون التيار الإستوائي الشمالي تحت تأثير الرياح القطبية ثم الرياح الغربية جنوباً، تسير المياه الباردة شرقاً مكونة التيار الأنتركتيكي، حيث يصطدم بتيار البرازيل الحار الذي تغرق مياهه المالحة تحت المياه بسبب الملوحة ولا يلبث أن يصطدم بجنوب غرب إفريقيا ويسير بمحاذاتها حيث يلتقي مياهاً باردة برزت من الأعماق لإعادة التوازن... فيكونان معاً تيار بنغويلا البارد الذي يعود إلى خط الإستواء حيث يسخن فتدفعه الرياح التجارية من جديد نحو الغرب ليكون التيار الإستوائي الجنوبي وهناك أيضاً في وسط المحيط الأطلسي، **تيار غينيا المعاكس الذي يسير بين التيارين الاستوائي الشمالي والجنوبي معاكساً لهما أفقياً**.. ونذكر قرب أوروبا التيار الأطلسي الشمالي الفاتر الذي ينتج عن قذف الرياح القريبة لمياه العروض المعتدلة الفاترة من جراء التقاء تيار الخليج الدافئ بتيار لابرادور...

ب ـ **في المحيط الهادئ** ـ تجري الأمور بشكل مشابه للتيارات في المحيط الأطلسي فالكوروشيفو أو النهر الأسود شرق اليابان يقابل تيار الخليج الدافئ. والفرع الهادئ الشمالي يقابل الفرع الأطلسي الشمالي، والأوياشيفو يقابل اللابرادور، وتيار كاليفورنيا يقابل تيار الكناري وتيار اوستراليا الشرقي يقابل تيار البرازيل وتيار بنغويلا والتيارات القطبية والإستوائية والإستوائية المعاكسة تقابل مثيلاتها في المحيط الأطلسي. لاننسى تأثير الرياح الموسمية في مياه هذا المحيط فتنتج عنها تيارات موسمية تتجه نحو القارة الآسيوية في الصيف وعكسها في الشتاء، وذلك وفقاً لاتجاه الرياح...

ج ـ **في المحيط الهندي** ـ في هذا المحيط نجد دورة تيارات مغلقة في

القسم الجنوبي فهنالك التيار الاستوائي الجنوبي ثم تيار الإبر Agulhas المقابل لتياري أوستراليا الشرقي وتيار البرازيل، ثم تيار أوستراليا الغربي المقابل لتياري البيرو وبنغويلا ثم التيارات القطبية الجنوبية.

يتأثر المحيط الهندي بالرياح الموسمية حيث تغيّر التيارات اتجاهاتها حسب اتجاه الرياح فتسير من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي صيفاً ومن الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي شتاء.

كل هذه التيارات تؤثر طبعاً في مناخ شواطئ القارات التي تمر بقربها كما وأن مناطق التقاء التيارات الحارة بالتيارات الباردة تشكل أغنى المناطق بالأسماك مثل بحر سرغاس شمال الأطلسي.

عدا التيارات الرئيسة نجد تيارات أخرى سببها إعادة التوازن بين البحار من أهمها نذكر:

* **تيارات التفرغة** Courants de décharge تتكون مثل هذه التيارات في البحار التي تصب فيها أنهار غزيرة، إذ يعلو مستواها عن مستوى ما تبقى من بحار ومحيطات تتصل بها. عند ذلك تقذف المياه إلى خارج هذا البحر لتحقق التوازن في المستوى كالتيارات الموجودة بين بحر البلطيق وبحر الشمال...

بالنسبة إلى البحر المتوسط، الذي تكون مياهه السطحية أكثر ملوحة بسبب (التبخر) فإن مياهه الباطنية الثقيلة تجري باتجاه الأطلسي في حين تقوم مياه الأطلسي بإثارة تيار سطحي نحو المتوسط ليقوم بتعويض العجز الحاصل.

* **تيارات التسونامي** (Tsunami) تيارات بحرية تنتج عن حدوث البراكين والهزات الأرضية في أعماق البحار والمحيطات وتنتج عنها تموجات ذات انتشار سريع **فتصل سرعتها إلى حوالي ٧٠٠ كلم في الساعة** كما يحصل في المحيط الهادي مثلاً، وقد تجتاح الشواطئ بعد أن تكوِّن أمواجاً عالية يتجاوز ارتفاعها إلى ٣٠ متراً فتسبب أحياناً أضراراً هائلة، كما حدث عام ٢٠٠٥ م إذ أحدث التسونامي دماراً

هائلاً في كل من أندونسيا ـ وتايلاند ـ والهند ووصل تأثيره إلى الخليج العربي وراح ضحية هذا الإعصار التسونامي المدمر عشرات الآلاف ودمر قرىً بأكملها، ووصلت الخسائر إلى آلاف الملايين من الدولارات.



تموجات هائلة في أعماق البحار ذات انتشار سريع ثم تجتاح الشواطئ
بعد أن تكوّن أمواجاً عالية تسبب التسونامي المدمر كما حدث في أندونيسيا والهند عام ٢٠٠٥م

أخيراً هناك التيارات الناتجة عن المد والجزر.

*** ما هو المد والجزر؟**

المد هو: تقدم مياه البحار والمحيطات فوق الشواطئ خلال فترة زمنية معينة. أما الجزر فهو عملية انحسار المياه عن الشواطئ لوقت يعادل زمن المد. هذه التموجات الدورية لمياه البحر تحصل تحت تأثير جاذبية الشمس والقمر بشكل خاص...

يقدر الوقت الفاصل بين المد والجزر بست ساعات واثنتي عشرة دقيقة، ففي مدة ٢٤ ساعة و٥٠ دقيقة أي الزمن الذي يستغرقه القمر للعودة

إلى الهاجري نفسه يحدث مدان وجزران، وفي بعض الأماكن لا يحدث سوى مد واحد وجزر واحد ويعرفان بالمد والجزر النهاريين. ويكون المد في حده الأدنى عندما يكون القمر في التربيعين الأول والأخير أي عندما تظهر الأمواج يظهر المد والجزر ـ **يتواجد البلانكتوم بكثرة.**

*** المد والجزر على الشواطئ:**

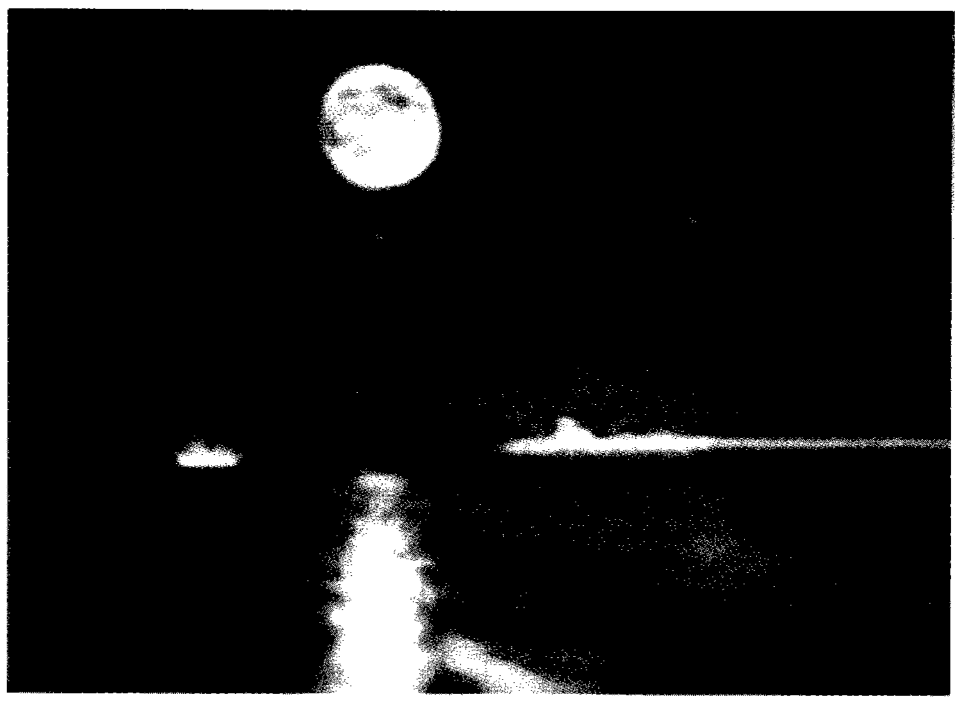
يؤلف القمر والشمس والأرض مثلثاً تحتل الأرض زاويته القائمة؛ عندها تتعاكس الجاذبيتان وتعمل جاذبية الشمس على تخفيض أثر جاذبية القمر فيخف بذلك أثر الاثنتين معاً.

بما أن الأرض تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة، فإنها تعرّض كل المحيطات لجاذبية القمر، فيحدث الانتفاخ في كل منطقة مرت تجاه القمر، كما يحدث في الجهة الأخرى المقابلة بسبب الارتخاء والتوازن، هكذا ينتقل الانتفاخ على سطح المحيطات بسبب دوران الأرض حول نفسها. فتتعرض كل منطقة لموجتي مدٍ وموجتي جزر... هذا ما يؤكد تأثير جاذبية القمر باعتبار أن دورته حول الأرض أي اليوم القمري تتم في ٢٤ ساعة و٥٠ دقيقة.

كما تجدر الإشارة إلى أن المد يصبح مركباً عندما لا يكون للمياه الوقت الكافي لأن تعود إلى مراكزها قبل أن تتعرض من جديد لمد آخر.

يتغير المد بين منطقة وأخرى. فبينما يبلغ ٨٠ سم في عرض المحيطات نراه يبلغ عدة أمتار على الشواطئ خاصة في الخلجان المفتوحة على شكل قمع، ويكون ضئيلاً في البحار شبه المغلقة، وقد يصل ارتفاع موجة المد إلى ١٦ متراً في خليج سان ميشال في فرنسا على بحر المانش لكن أقصاه يبلغ حوالي ١٩ متراً في **خليج فوندي Fundy** في كندا. أما في البحر المتوسط فإن ارتفاع المد لا يتعدى الـ٣٥ سم خاصة **في مرسيليا وفي بيروت**. تساهم حركة المد في تنظيف مصبات الأنهار والشواطئ والمرافئ من الأوساخ، لكنها تسبب أحياناً الضرر والكوارث كما حصل في هولندا عام ١٩٥٣، كما تساعد

في الصيد خاصة على الشواطئ أو بالقرب منها، لكن للمد والجزر منفعة كبرى تتعدى سابقاتها أهمية إذ يمكن اعتبارهما مصدراً من مصادر الطاقة، لأنه يمكن استخدامها لتوليد الطاقة الكهربائية.. فقد استخدمت للطواحين على شواطئ فرنسا قديماً وقد تم حديثاً بناء سد طوله ٨١٥ م عند مصب نهر الرانس Rance على بحر المانش. هذا السد يزود مولّدبن للتيار المتردد بالمياه اللازمة لإنتاج ٥٦٧كيلوواط ساعة [١].



القمر سبب المد والجزر الذي يحدث على شواطئ البحار
ويقول العلماء إن المدّ والجزر مصدر من مصادر الطاقة

(١) موسوعة الكون والفضاء والأرض د. موريس أسعد شربل د. رشيد فرحات.

الفصل الثاني

١ ـ معلومات عن البحار والمحيطات.

٢ ـ حركات البحر.

٣ ـ شواطئ البحار.

٤ ـ توغل البحر داخل اليابسة.

٥ ـ حقائق علمية عن المحيطات والأنهار.

٦ ـ الجبال والوديان في البحار والمحيطات.

٧ ـ التدرج الحراري في البحار والمحيطات.



معلومات عن البحار والمحيطات

تشير الصور التي تلتقطها الأقمار الاصطناعية إلى أن المياة هي ثلثا سطح الكرة الأرضية. تشكل هذه المياه مئات البحار وخمسة أوقيانوسات. في أعماقها سلاسل جبال وبراكين ووديان وحفر وعرة **المحيط الهادئ هو الأكثر اتساعاً** وعمقاً بين المحيطات. هو وحده أكبر من مجموع القارات.

المحيط الهندي هو أصغرها ويحيط بالهند.

المحيط المتجمد الشمالي يحيط بالقطب الشمالي

والمحيط المتجمد الجنوبي يحيط بالقطب الجنوبي.

المحيط الأطلسي وهو يشكل نوعاً من حرف S اللاتيني ويقع بين الأميركتين وأوروبا وأفريقيا.

يظن أنه حفر عندما انشقت القارات التي تحيط به قسمين وانفصلت في عصر سحيق من تاريخ الأرض. تسمى هذه الظاهرة طفاوة القارات. إذا نظرنا إلى الخرائط نرى أن أوروبا وأميركا وأفريقيا يمكن أن تتشابك كقطع المربكة (وهي عبارة عن لعبة تقوم على إعادة جمع صورة مجزأة إلى أجزاء صغيرة = Puzzle.

* أعماق المحيطات:

يفصل بين الأحواض العميقة أحياناً حتى ستة آلاف كيلو متر، سلسلة من الجبال البحرية التي تمتد على امتداد المحيط ومنذ أن تمكن العلماء من استكشاف أعماق البحار، لا حظوا أن هذه السلاسل الجبلية مكونة من صخور بركانية. ليست هذه الجبال ثابتة وهي التي تسبب انتقال القارات وابتعاد بعضها عن بعض.

خمسون مليون سنة تفصل بين كل من هذه التغيرات الأرضية. تنطبق الثالثة على عالمنا الحالي. يقال إن أمريكا تبتعد عن أوروبا سنتيمترين كل عام.

* الأعماق البحرية:

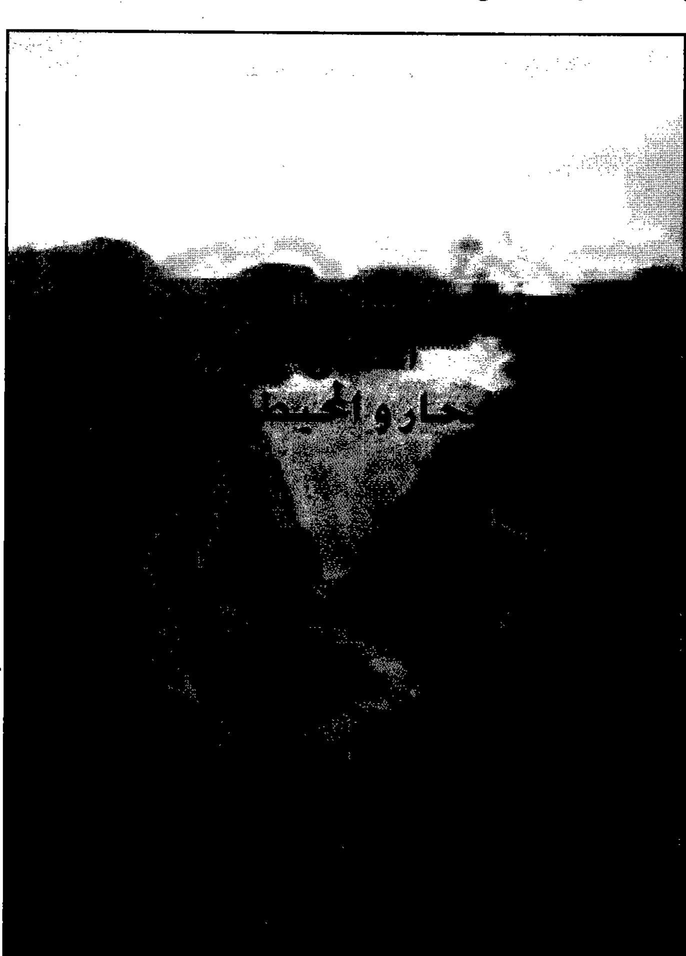
صنع العلماء، منذ خمسين سنة تقريباً، غواصات علمية للغطس

العميق، لقد اكتشفوا العالم المجهول في الأعماق السحيقة.

إن نور الشمس لا يصل إلى عمق ألف وسبعمئة متر تحت سطح البحر. هناك الظلام المطبق ولكن حتى على عمق خمسمئة متر لا تميز العين البشرية شيئاً.

* الطقس بارد جداً أيضاً

في أعماق البحر، لا تتجاوز الحرارة الخمس درجات على عمق ألف متر وهي درجتان أو ثلاث بعد عمق ألفي متر. وفي بعض الأعماق تكون درجة الحرارة تحت الصفر ولكن المياه لا تتجمد بسبب غناها بالأملاح. هناك في اللجج السحيقة التي لا يعرف قعرها، لا تنبت الطحالب بسبب انعدام النور. لا يعيش فيها سوى بعض الحيوانات الغريبة الأشكال.



صورة من أعماق البحار تمثل حياة متكاملة من جبال ووديان ومجاري

*** التيارات البحرية هي أنهار تخوض عباب البحر :**

إنها تتحرك دائمافي اتجاه واحد. تسببها الرياح ودوران الأرض.

عندما تلتقي المياه التي تتباين حرارة وملوحة، بإمكانها أن تسبب تيارات. أشهر هذه التيارات هو **الغولف ستريم**. لقد اكتشفه الصيادون، منذ أمد بعيد، أثناء مطاردتهم الحيتان.

تسبح هذه اللبونات الضخمة البحرية بموازاة الغولف ستريم دون أن تلجه أبداً.

ينطلق الغولف ستريم، التيار الحار من عرض البحر قبالة فلوريدا ويلطف مناخ الشواطئ الأوروبية. تمتطيه السفن قاصدة أوروبا وتتحاشاه عندما تعود إلى أمريكا.

في سنة ١٩٤٧ م قام نروجي بهذه التجربة: لقد استسلم للتيار على ظهر طواف تقليدي من خشب يدعى كون تيكي، من البيرو إلى يولينيزيا. استغرق عبور المحيط الهادئ الجنوبي ثلاثة أشهر.

ترتفع المياه ثم تهبط على شاطئ المحيط، هاتان هما حركتا المد والجزر.

تنشأ هاتان الحركتان عن تأثير التجاذب بين القمر والشمس والأرض، هذا التجاذب الذي يزيد من حجم مياه المحيطات، لا يدرك أثر المد والجزر في عرض البحر.

فعلى الشواطئ الأوربية الغربية يدوم المد ست ساعات واثنتي عشرة دقيقة والجزر أيضاً. يحدث المد والجزر مرتين في اليوم. ولكن زمن هاتين الحركتين ينزاح ساعة تقريباً يوماً بعد آخر.

حركات البحر

ترتفع الأمواج وتنخفض فيتراءى لنا أنها تتنقل من مكانها لكن المياه فيها لا تتقدم إنها تموج، والعصفور العائم على الموجة يظل في مكانه.

*** سطح البحر تحركه الأمواج:**

إن الريح التي تعصف على البحر تولد تموجات. ترتفع التموجات إلى سطح المياه مشكلة الأمواج. التموجات هي ذبذبات ترتمي على الشاطئ وتتحطم كتلاً من الزبد. وفي عرض البحر، عندما تعصف الريح تتولد أمواج قد يبلغ ارتفاعها مستوى سطح السفن.

ويلاحظ غالباً وجود أمواج في البحر حين تكون الريح ساكنة وذلك لأن هذه الحركة تنتشر بعيداً عن مكان نشوئها، كما تتولد تموجات في مستنقع ثم تتسع حول نقطة ألقي فيها بحجر.

فالأمواج التي أثارتها الرياح قرب الولايات المتحدة قد تتحطم على بعد خمسة آلاف كلم، على الشواطئ الأوروبية. عندما يكون البحر مائجاً، لا يتحرك منه سوى سطحه، أما في الأسفل فالأسماك تسبح في طمأنينة وبمقابل ذلك قد تتولد دوامات في قاع البحر لا تشعر بها السفن.

*** الأمواج الناشئة عن زلزال أو عن هزة أرضية هي أمواج مرعبة:**

تنشأ الأمواج عن أعاصير هوجاء تثير كمية ضخمة من الماء فتسبب فياضانات طامية. وهناك أمواج تنشأ عن هزات أرضية في قاع البحر أو عن انفجار بركاني تحت البحر. وتسمى «**تسونامي**» وهي كلمة يابانية، لأن هذه الظاهرة تكثر لسوء الحظ في هذه المناطق من المحيط الهادئ وهي تسبب أضراراً فادحة داخل الأراضي المجاورة.

* **الجبال الجليدية في**: البحار والمحيطات

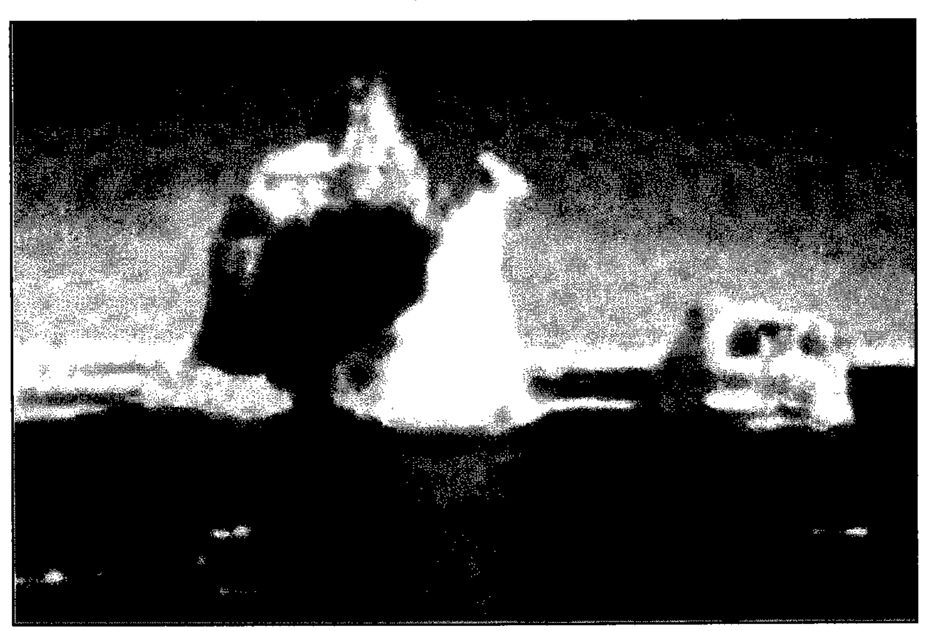
يتجمد ماء البحار في المناطق القطبية الشمالية والجنوبية ويشكل ما يسمى بالطوف الجليدي.

تتغير كثافته تبعا للفصول ولا يبقى متماسكاً إلا في الأماكن المعزولة يتفتت هذا الطوف في أكثر الأحيان في عرض البحر، بتأثير التيارات والرياح العاصفة.

تتصادم الكتل الثلجية التي تتقاذفها الرياح وتؤلف كتلاً ضخمة من الجليد ذات أشكال غريبة تكثر فيها الأضلاع والنتوءات.

* **من أين تأتي جبال الجليد؟** هذه القصور السابحة العائمة على صفحة البحر؟، يتكون جبل الجليد، بعكس الطوف، من المياه العذبة يسمى الغطاء الجليدي **(القنة أو القلنسوة الجليدية)** الذي يغطي مناطق القطب الشمالي والقطب الجنوبي بالمجلدة القارية. تتشعب المجلدة القارية إلى مجالد قطبية وتتقدم باستمرار فتصل إلى البحر.

وهناك تتحطم وتشكل جبالاً جليدية. وتكون حادة الرؤوس في القطب الشمالي. وفي القطب الجنوبي أيضاً، تزحل المجلدة القارية



جبال من الجليد تسير في عرض البحار.. تسير على هواها دون ضابط أو نظام وخطرها كبير

إلى البحر وتعوم تائهة على امتداد عشرات الكيلو مترات على هيئة طاولة فسيحة. وجبال الجليد التي تنفصل عنها تكون مسطحة، على شكل مصطبة. إن ارتفاع القسم العائم من جبل الجليد يساوي عشر ارتفاعه الإجمالي. ويستغرق ذوبانه في البحر من سنتين إلى أربع سنوات، وكثيراً ما تخشى السفن المبحرة في المياه القطبية الاصطدام بجبال الجليد. ثمة فريق دولي خاص، يدعى دورية الجليد، يراقب المناطق الخطرة وينبه البحارة إلى وجود جبال الجليد التي تسير على هواها دون توقف.

شواطئ البحار

يتغير المنظر غالباً على طول الشواطئ، لمسافة عدة كيلو مترات.

بعض الشواطئ صخري ومرتفع يشكل سلاسل شاهقة. وبعضها الآخر منخفض جمعت الريح عليه الرمل وكومته كثباناً (تلالاً من الرمل). تكون الشواطئ مستقيمة أو تتخللها الخلجان والأجوان (خلجان صغيرة) تفصل بينها رؤوس ونتوءات وصخور وجزر صخرية، وحواجز من مرجان.

توغل البحر داخل اليابسة

لا تختلط مياه البحار المالحة عند فوهات الأنهر، بالمياه العذبة. قد تكون هذه الفوهة التي يدخل النهر من خلالها إلى البحر، مصباً عريضاً. فتتسع ذراع النهر.

يمكن أحياناً ملاحظة **تيار المد والجزر** بعيداً داخل اليابسة. إذا انقسم النهر إلى عدة تشعبات، يشكل ما يسمى بالدلتا. وتفصل بين تشعباته جزر من الأوحال أو الغرين (الوحول) التي يحملها النهر معه. **البحيرة الشاطئية** هي امتداد من الماء يعزله حاجز من الرمال. المضائق **(أو الأزقة)** المتجمدة في النروج هي أودية قديمة متجمدة غمرها البحر. يتغير الشاطئ باستمرار. تارة يتأخر عند مهاجمة البحر له، وطوراً يتقدم بفضل الغرين أي الوحول والرمال والحصى.. التي يحملها النهر معه.[١]

(١) علم وعالم الكويت عدد نيسان ٢٠٠٥ م.

حقائق علمية عن المحيطات والبحار

أكثر من سبعين بالمئة من سطح الأرض مغطى بالمياه، أي بالأنهار والبحيرات والمحيطات والبحار، وتعرف هذه الطبقة المائية أحياناً بالغلاف المائي. كذلك هنالك مياه محتجزة على شكل جليد في القطبين أساساً، ويوجد ماء أكثر من ذلك على هيئة بخار في الجو ورطوبة في التربة، لكن حوالي ٩٧٪ من مياه كوكب الأرض يكمن في البحار وهي مياه مالحة وليست المحيطات متساوية التوزيع في أنحاء الأرض إذ يوجد معظم اليابسة في العالم في نصف الكرة الشمالي. وأكبر محيطات الدنيا هو المحيط الهادئ إذ يشغل ما يقارب ضعفي مساحة المحيط الأطلسي الذي يليه في المساحة، وكذلك يفوقه عمقاً. وتحيط السلاسل الجبلية بشطر كبير من سواحل المحيط الهادئ مثل جبال الأنديز، مما يعني وجود قلة من الأنهار الرئيسة التي تصب في المحيط الهادئ والكثير من الأنهار الكبيرة تتدفق نحو المحيط الأطلسي حاملة معها الرسوبيات من البر.

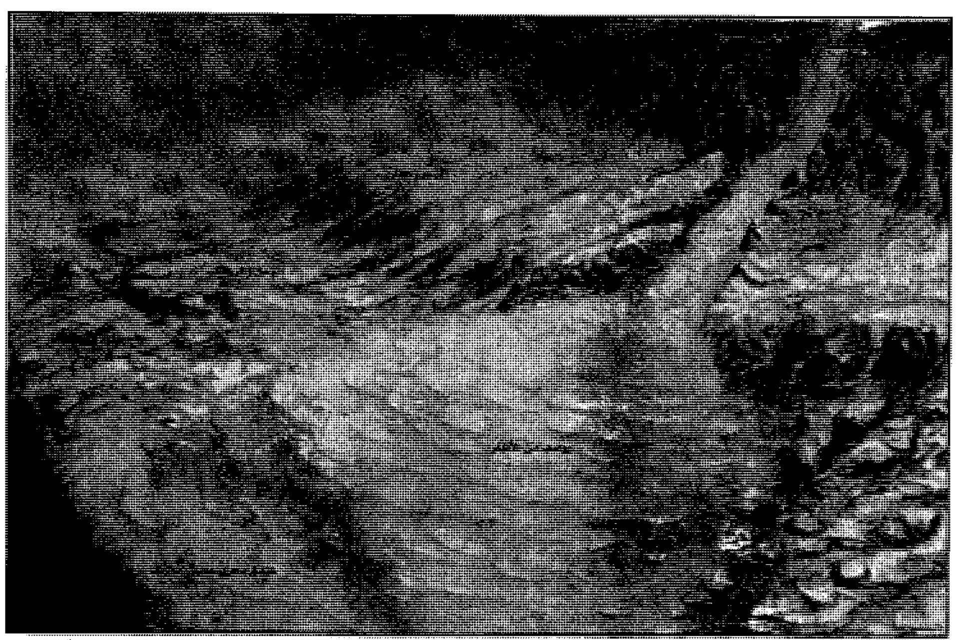
ما وراء اليابسة

يمكن تقسيم قاع المحيط إلى منطقتين رئيسّيتين: حوض المحيط العميق والمنطقة الأقل عمقاً قرب حافلة البر، والتي تدعى الحافلة القارية ويعرف الانحدار الخفيف من حافلة اليابسة نزولاً إلى حوالي ٥٠٠م بالرصيف القاري، وبعد ذلك ينخفض قاع المحيط بانحدار أشد مروراً بالمنحدر القاري بين ١٥٠٠ و ٣٥٠٠ م إلى أن يبلغ سهل الأعماق.

* تبلغ المساحة الكلية للمحيطات حوالي ٣٦٢ مليون كيلو متر مربع.
* تبلغ مساحة المحيط الهادئ زهاء ١٧٠ مليون كيلو متر مربع.
* أعمق مكان في المحيط هو خندق «ماريناس» في المحيط الهادئ إذ يصل عمقه إلى ١١٠٠٠ متر.
* أعلى قمة جبلية تحت المحيط تقع بين ساموا ونيو زيلندا، إذ يبلغ ارتفاعها ٨٦٩٠ متراً.

* أوسع البحار هو بحر جنوب الصين الذي تبلغ مساحته ٢.٩٧٤.٠٠٦ كيلو متر مربع.
* يعد خليج هدسن أكبر خليج في العالم إذ تبلغ مساحته ١.٢٣٠.٠٥٢ كيلو متراً مربعاً.
* معظم قيعان المحيطات مغطى بطبقة من الرواسب المفككة تصل سماكتها حتى كيلو متر واحد. وهذه الطبقة من «الرواسب الوسادية» تتكون من الفتات الناعم للصخر أو القواقع والهياكل، وهي غنية بالمعادن.
* يتميز ماء البحر بطعم مالح لاحتوائه على الملح العادي ومعادن أخرى. وتبلغ ملوحة البحر وسطياً ٣٥ جزءاً بالألف، إلا أن بعض البحيرات والبحار الداخلية أشد ملوحة من المحيطات فالبحر الميت تبلغ ملوحته ٢٥٠ جزءاً بالألف.

وتتكون وديان عميقة تحت البحر في المنحدر القاري تنصب فيها تيارات من المياه الموحلة القادمة من مصبات الأنهار، وتطرح هذه التيارات رواسبها على شكل مروحة.



وديان في أعماق البحار ومنحدر قاري تنصب فيه تيارات من المياه الموحلة القادمة من مصبات الأنهار

الجبال والوديان في البحار والمحيطات

إن جبال المحيطات عالية جداً بالواقع فقمة «مونا كيا» في هاواي ما هي بالحقيقة إلا قمة جبل يبدأ من قاع البحر، وإذا ما قيس ارتفاعها من تلك النقطة فهي أعلى من قمة إفرست.

وبالمثل يبدو الوادي العظيم قزماً إذا ما قورن **بخندق مارياناس** في المحيط الهادئ، ويدعى الجبل البركاني تحت البحر بالقمة الجبلية البحرية، وإذا ما اخترق سطح البحر يصبح جزيرة، وقد تتعرض ذروته للتعرية وتصبح مسطحة فلا تخترق سطح البحر فتعرف بالنضد الجبلي البحري (غيو).[١]

---

(١) سلسلة دليل المعرفة كوكب الأرض / دار العلم للملايين.

التدرج الحراري في البحار والمحيطات

تمتزج مياه الأمتار المئة العليا من البحر بفعل الريح، وأسفل تلك الطبقة تنخفض درجة الحرارة على نحو شديد، ويدعى الحد الفاصل بين كلتا الطبقتين بالتدرج الحراري، وهو يمنع انتقال العناصر الغذائية في الماء نحو الأعلى.

ينفذ ضوء الشمس في المياه لحوالي ٩٠٠ متر، لكن ما يكفي منه لقيام النباتات بعملية التمثيل الضوئي لا يتوافر سوى في الأمتار المئة العليا من مياه البحر، وتكون الأشنيات البحرية التي تعيش في طبقات المياه العليا ذات لون أخضر، أما تلك التي تقطن الطبقات الأولى فتكون ذات لون محمر.

تحت عمق ٩٠٠ متر يسود المحيط السواد القاتم، وفي أعماق تحت ٢٠٠٠ متر تعيش مخلوقات غريبة يصدر بعضها إشارات ضوئية خاصة به، وتعيش في هذه البيئة ديدان لحوية، وأسماك تدعى واحدتها «ذيل الفار» إلا أن ثمة حيوانات أخرى تفوقها غرابة ما زال على العلماء أن يكتشفوها.[١]

---

(١) سلسلة دليل المعرفة / كوكب الأرض الجزء الثاني / دار العلم للملايين.

الفصل الثالث

١ ـ الأنهار.

٢ ـ البحيرات والمستنقعات.

٣ ـ أصل وتصنيف البحار وخصائصها الفيزيائية.

٤ ـ التضاريس والترسبات القاعية في البحار والمحيطات.

٥ ـ الأحوال المناخية في البحار.

٦ ـ العالم العضوي في البحار.

٧ ـ الماء في البحار وخاصية التمدد والانكماش.

٨ ـ قانون الدفع نحو الأعلى في البحار.

٩ ـ ملوحة البحار والمحيطات.

١٠ ـ تأثير وفعالية التيارات البحرية.

١١ ـ الحيود المرجانية وعلاقتها بمناخ الأرض.

١٢ ـ مثلث برمودا الأسطورة والحقيقة.



الأنهار

رغم أن الأنهار لا تكوّن سوى نسبة ضئيلة من مجموع المسطحات المائية على الأرض فهي ذات أهمية بالغة، إذ تنحتُّ وتشكل سطح الأرض من حولنا. لقد كانت أودية الأنهار تقف عائقاً أمام حركة الناس، لكن الأنهار نفسها كانت طرق النقل الحيوية من البحر إلى مناطق البر الداخلية وحيثما بنيت الجسور لعبور الأنهار، كانت القرى والبلدات والمدن تنمو. وبالطبع فقد وفرت الأنهار الغذاء والماء للشرب والغسيل والري.

*** مولد الأنهار وموتها:**

تتولَّدُ بعض الأنهار على هيئة ينابيع في حين يتغذى غيرها بمياه الأنهار الجليدية الذائبة، وتنشأ معظم الأنهار من الأمطار والثلوج التي تسقط على المرتفعات، إذ يجري الماء على سطح الأرض بشكل غدران صغيرة، ثم تنضم هذه الغدران لتكون جدولاً صغيراً يبدأ بدوره بتعرية واديه، وتهيئ جوانب الوادي المنحدرات لتدفق الجداول الرافدة الأخرى. ومع ازدياد كمية المياه ينمو النهر ويكبر، وفي نهاية رحلته يصب في البحر.

*** حقائق عن الأنهار:**

* أطول أنهار العالم هو نهر النيل في أفريقيا، إذ يجري من منبعه في برندي إلى البحر الأبيض المتوسط بطول ٦٦٧٠ كيلو متراً.

* ثاني أطول نهر في العالم هو نهر الأمازون في أميركا الجنوبية، إذ يبلغ طوله ٦٤٤٨ كيلو متراً. وهو يتدفق من منبعه في جبال الأنديز في البيرو نحو جنوبي المحيط الأطلسي.

* لنهر الأمازون أكثر من ١١٠٠ رافد، وهو يحمل من المياه ما يفوق نهر النيل كثيراً.

* تستطيع الأنهار أن تحمل معها مقادير مذهلة من الرواسب فقد قام

نهر «هوانغ هي» (النهر الأصفر) في الصين بترسب الطمي الخصب فوق مساحة ١٤١٦٤٥ كيلو متراً مربعاً من سهله الفيضي ودلتاه.[١]



نهر النيل في أحد مساراته حيث يبلغ طوله ٦٦٧٠ كم

---

(١) كوكب الأرض ـ الماء. الطقس المناخ سلسلة دليل المعرفة / دار العلم للملايين

البحيرات والمستنقعات

البحيرة هي مساحة من المياه محاطة كلياً باليابسة. وقد تحوي البحيرات ماء عذباً أو مالحاً. وقد يكون بعضها، مثل قزوين (بحر الخزر) تلك البحيرة المالحة ما بين جنوب شرقي أوروبا وآسيا، على قدر اعتبار من الكبر بحيث يمكن اعتباره بحراً داخلياً. قد يتسرب ماء البحيرة من حوضها وقد يتبخر كذلك وبالتالي لا بد لاستمرار بقاء البحيرة من أن تتغذى بالماء بنفس معدل فقدها له أو أسرع منه، ولا بد من أن يكون قاع البحيرة أدنى من أخفض قسم من حافتها وإلا فاض الماء منها إلى مكان آخر.

*** المياه الساكنة:**

رغم ما يبدو على البحيرات من سكون فالقليل منها راكدةً كلياً. يصبح الماء أشد ما يكون كثافة عند درجة ٤م، لذا في الشتاء البارد، قد تتغطى البحيرة بصفيحة من الجليد في حين تكون مياه القاع أدفأ. وفي الربيع يذوب الجليد، ومع ارتفاع درجة حرارة مياه السطح تغدو أكثف وتغوص إلى الأسفل. وهكذا تدور المياه في البحيرة إلى أن يستقر الماء ذو درجة الحرارة ٤ م في القاع ثانية، وفي الصيف تسخن مياه السطح وتدور لكنها تبقى فوق طبقة المياه الباردة في القسم الأدنى من البحيرة. وفي الخريف يبرد سطح البحيرة ثانية ويدور الماء فيها مرة أخرى.

*** أوسع البحيرات وأعمقها:**

ثمة طريقتان أساسيتان لقياس البحيرات تعتمد أولاهما على مساحة سطح البحيرة، وثانيتهما على عمقها. **تعد بحيرة بايكال في وسط سيبيريا في روسيا أعمق بحيرة في العالم**. إذ يبلغ عمق أدنى نقطة فيها عند صدع «الكون» ١٩٤٠م يقابله عمق ١٤٨٥ م تحت مستوى البحر. أما البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية فهي متصلة جميعاً، ويمكن لذلك اعتبارها الأوسع من حيث مساحة السطح.

*** المياه الزائلة :**

معظم البحيرات ضحلة جداً وتغذيها الأنهار، ويجلب النهر معه مقداراً وفيراً من الركام والرسوبيات، فتسقط الرسوبيات الكبرى بعد دخول النهر البحيرة مباشرة وتنتشر المواد تدريجياً على هيئة مروحة شبيهة بالدلتا عبر الماء. أما المواد الناعمة جداً فقد تنتقل لمسافات بعيدة قبل أن تستقر في قاع البحيرة وتعمل ببطء على عمقها وفي الوقت نفسه، حيثما يخرج النهر من البحيرة عند حافتها تتآكل هذه الحافة، وتنصرف مياه البحيرة جزئياً.

*** حقائق عن البحيرات والمستنقعات :**

* أكبر بحيرات الماء العذب في العالم بحيرة سوپيرير إحدى البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية، إذ تبلغ مساحة سطحها الإجمالية ٨٢١٠٣ كيلو مترات مربعة.

* أوسع بحيرة جوفية في العالم اكتشفت سنة ١٩٨٦م في مغارة «**دراشنهوشلوش**» قرب غروتفونتن في ناميبيا، إذ تبلغ مساحة سطحها ٢٦١٠٠ كيلو متر مربع.

* أوسع بحيرة في بريطانيا هي **بحيرة لوك لوموند** في اسكتلندا والتي تتجاوز مساحة سطحها ٧٠ كيلو متراً مربعاً ويفوق طولها ٣٦ كيلو متراً لكن بحيرة **لوك نيس** تفوقها بطولها الذي يقارب ٤٠ كيلو متراً أما بحيرة **لوك نيغ** في إيرلندا الشمالية فتصل مساحة سطحها إلى ٣٨١ كيلو متراً مربعاً.

* تقع بحيرة **نام تسو** في جبال الهملايا في التيبت على ارتفاع ٥٨٨٠م فوق سطح البحر. أما بحيرة **تيتيكاكا** فهي أعلى بحيرة صالحة للملاحة في أمريكا الجنوبية. وتقع على ارتفاع ٣٨١١م فوق سطح البحر.

* بحيرة آر في جنوبي آستراليا على متسع من الأرض المالحة الجافة في الأحوال العادية فمنذ أن ارتادها الأوربيون أول مرة، لم تمتلئ بالماء سوى ثلاث مرات.

* أكبر مسطح مائي داخلي في العالم هو بحر قزوين (بحر الخزر) في آسيا والبالغ طوله ١٢٢٥ كيلو متراً وتقدر مساحة سطحه الكلية بما بين

٣٦٠٠٠٠ و ٤٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع ومن المعروف أن بحر قزوين يصغر لكن ملوحته تقل رغم ذلك. ويبلغ عمقه في أعمق نقاطه زهاء ١٠٠٠ متر.

* **تقع بحيرة الملح (سولت ليك)** الكبرى غربي جبال يوينتا في يوتا في الولايات المتحدة الأميركية وهي بحيرة داخلية مالحة بطول ١٢٠ كيلو متراً وعمق ٤ أمتار تقريباً وهي بقايا بحيرة أكبر بكثير يدعوها علماء الأرض (الجيولوجيون) بحيرة بون فيل. وتتسع بحيرة الملح الكبرى دون أن تقل ملوحتها.[1]



بحيرة لوك لوموند يبلغ طولها أربعين كيلومتراً ومساحة سطحها ٧٠ كم

(١) كوكب الأرض / سلسلة دليل المعرفة / دار العلم للملايين.

أصل وتصنيف البحار وخصائصها الفيزيائية

البحر جزء من المحيط تجاوره اليابسة وتحتجزه عن المحيط بدرجات مختلفة، وقد تقوم الجزر بذلك ويتميز البحر عن المحيط بأبعاده وبنظامه الهيدرولوجي (المائي) الخاص الناتج عن موقعه الهامشي المتأثر بشدة باليابسة وبسعة ارتباطه واتصاله بالمحيط، ويتجلى تأثير اليابسة فيه في الأحوال المناخية التي تؤثر بشدة على النظام المائي للبحر، وفي الأنهار التي تحمل الماء العذب من اليابسة إليه، وتحمل كذلك الجزئيات والمجروفات الصخرية المحمولة والعالقة والمحاليل الترابية والكيميائية المتنوعة التي تؤثر بمجموعها في نوعية الكائنات الحية وكثافتها في البحر. ويزيد الارتباط المحدود بالمحيط من قوة تأثير اليابسة في البحر، وبذلك يزداد اختلاف خصائصه العامة عن المحيط.

*** أصل البحار:**

البحار أحواض مائية حديثة المنشأ فأكثرها يعود عمره إلى الحقبين الثالث والرابع الجيولوجيَيْنِ وبعضها لم يزد زمن تكونه على بضعة آلاف من السنين **كبحر البلطيق**. وقد تكونت البحار إما بسبب عمليات خسف أصابت مناطق المقعرات الأرضية **(الجيوسينكلينال)** البحرية منها والمحيطية كالبحر المتوسط والأحمر. أو أنها ظهرت نتيجة لعمليات غمر مائية سببها إما ظاهرة خسف أصابت هوامش القارات أو بسبب ارتفاع مستوى الماء في المحيطات، وهو الأغلب نتيجة لعمليات ذوبان الجليد في نهاية العصر الجليدي وهكذا ظهرت بحار كثيرة بهذه الطريقة **ولا سيما بحار القطب الشمالي** وشملت بحار خسف المقعرات وظهور الأقواس الجزرية البحرية بحاراً مهمة **كبحر اليابان وبحر الصين الجنوبي وأوخوتسك**.

*** تصنيف البحار:**

تصنف البحار عامة في ثلاث مجموعات هي:

أ ـ **البحار الهامشية**: وتقع فوق الأرصفة القارية وترتبط بالمحيطات بجبهات مائية واسعة وتنفصل عنها بسلاسل من الجزر وأشباه الجزر مثل البحر الأصفر، ومنها كذلك بحار القطب الجنوبي وأعماق هذه البحار محدودة ولا تزيد على ٢٠٠م إلا نادراً.

ب ـ **البحار الداخلية**: وهي بحار موغلة في أعماق القارات وترتبط بالمحيطات أو بالبحار الأخرى بمضائق مثل البحر الأبيض شمال روسية وبحر أزوف. وهي بحار صغيرة وضحلة المياه وتتأثر باليابسة تأثراً كبيراً.

ج ـ **البحار المتوسطية**: وتشبه البحار الداخلية في توغلها وسط القارات وتأثرها بها، ولكنها لا تقع في قارة واحدة بل بين قارتين أو أكثر عادة كالبحر الأسود، والبحر المتوسط، وهي عميقة جداً وقد تتجاوز ٣٠٠٠ م عمقاً.

*** مياه البحر:**

١ ـ **المصدر**: هنالك مصادر كثيرة لمياه البحار ومن أبرزها مياه المحيطات التي تغذي تلك البحار عن طريق المضائق والفتحات المائية، ومصدر هذه المياه البعيد هو طبقة الوشاح (Mantle) وهي الطبقة الواقعة تحت القشرة وفوق النواة في الأرض. ويقدر ما يرد سنوياً إلى المحيطات والبحار من هذه المياه بنحو كم٣ واحد كما أن الأنهار تحمل إلى البحار كميات كبيرة سنوياً من المياه وخاصة في الأقاليم الرطبة والباردة حيث يسهم ذوبان الجليد في عملية تغذية البحار بالمياه أيضاً.

٢ ـ **الملوحة**: لا تختلف مياه البحار عن ملوحة مياه المحيطات تركيباً ونسبة، ولكن أثر المياه العذبة شديد الاختلاف في الطبقة السطحية، أما أثر الشوارد الكيمياوية وعددها ونسبها فمثله في المحيطات. تعادل ملوحة المياه البحرية وسطياً ٣٥ بالألف إلا أن هذه النسبة

تختلف من بحر إلى بحر، ففي بحار العروض الباردة والقطبية تكون قيم الملوحة متدنية كثيراً والمياه شبه عذبة (٥.٢بالألف) في بعض الأماكن. لكن هذه القيم ترتفع كثيراً في العروض شبه المدارية والمدارية ولا سيما في مياه البحار الداخلية والمتوسطة، حيث ترتفع في البحر الأحمر والخليج العربي إلى ٤٠ أو ٤٢ بالألف ولكن بحار الأقاليم الاستوائية ملوحتها معتدلة ٣٥ إلى ٣٦ بالألف نتيجة الهطل الغزير.

٣ ـ **الخصائص الفيزيائية**: تتسم مياه البحار بخصائص فيزيائية تبدو شاذة ولكنها تخدم بقاء الحياة على الأرض، وتخدم استمرار وجود الأرض الراهن، ومن أبرز هذه الخصائص:

أ ـ **السعة الحرارية**: السعة الحرارية عالية جداً في مياه البحار، ولهذا فإن مياه البحر تتسخن ببطء وتبرد ببطء، كذلك وتختزن طاقة حرارية هائلة تطلقها على مدار السنة فتخفض من شدة البرد والحر.

ب ـ **الناقلية الحرارية متدنية** جداً أعلى من ناقلية الهواء الجوي، وهذا ما يفسر فقدان كميات كبيرة من الحرارة عند ذوبان الجليد في العروض القطبية. أما حرارة التبخر والتكاثف (الحرارة الكامنة) فأكبر، ودرجة الغليان أكبر من درجة غليان الماء العذب بسبب وجود الأملاح.

ج ـ **الكثافة**: كثافة الماء البحري أعلى من كثافة الماء العذب لتجمع الأملاح فيه، واختلافها يرتبط أساساً بدرجات الحرارة ونسبة الملوحة وهي مرتفعة في الأماكن والبحار الباردة (١,٢٦٠ ـ ١,٢٧٥) وأقل منها في البحار الدافئة والحارة (١,٢٣٠ ـ ١,٢٤٠).

٤ ـ **حركة المياه البحرية وتطبقها**: ترتبط حركة المياه باختلاف قيم الكثافة في البحر الواحد وباختلافها مع المحيطات المجاورة. كما أن هذه الحركة تتعلق بحركات الجو العامة وبالحركات الريحية المحلية في البحر. وعموماً فإن حركات الماء الريحية المنشأ في البحار أقل شدة وتطوراً مما في المحيطات لصغر مساحاتها ولتأثير أشكال

القارات. ولكن لتيارات الكثافة دور أهم، وهي حركات سطحية وباطنية عميقة.

أما ظاهرة تطبق مياه البحار فإنها معقدة كثيراً، وذلك لأنها تخضع لاختلاف قيم الكثافة ولدرجة تأثير اليابسة حرارياً ورطوبياً، ولشكل قاع البحار وعمق العتاب التي تفصلها عن المحيطات، وسعة المنافذ التي تربطها بها، وفي البحار المتوسطية (المتوسط والأحمر) والمغلقة توجد طبقتان علوية محيطية ودنيا محلية.

التضاريس والترسبات القاعية في البحار والمحيطات

تضاريس قيعان البحار متنوعة المظاهر ويمكن من الناحية التضريسية تمييز ثلاث مجموعات من البحار:

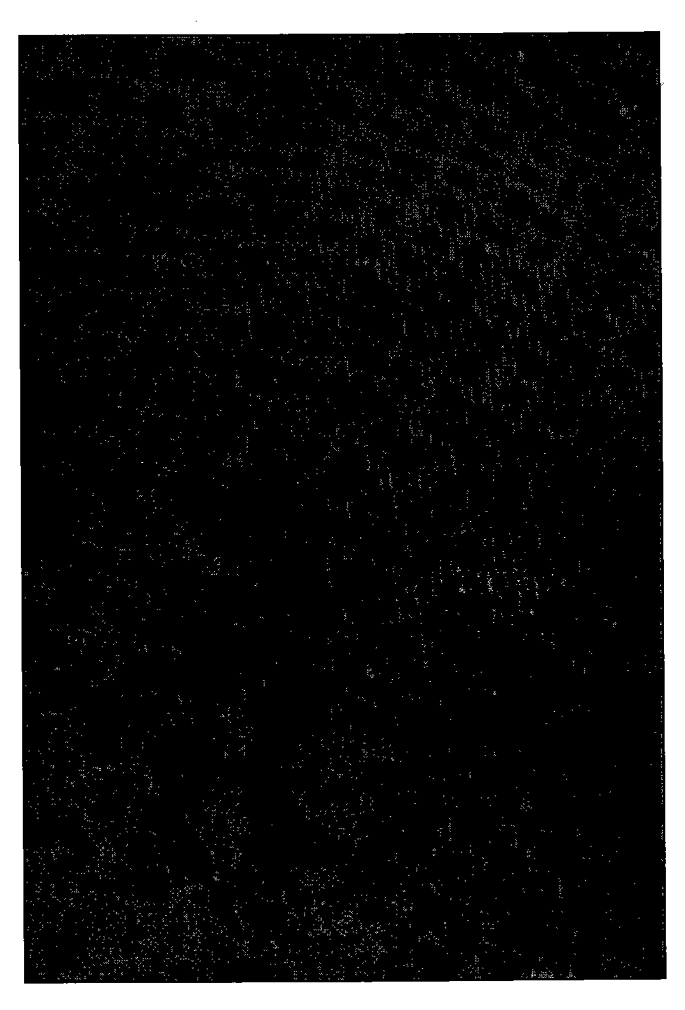
١ ـ **بحار الغمر المائي**: وهي بحار هامشية تقع فوق الأرصفة القارية تتصف بضحالتها وهي حديثة العمر (رباعية) ومن هذه البحار بحر البلطيق وبحار القطب الشمالي عامة، كما يلاحظ أن الأرصفة القارية في أغلبها واسعة جداً وقد تشغل ٥٠ ـ ٨٠٪ من مساحة البحر وقد تزيد على ذلك.

٢ ـ **بحار المقعرات الأرضية المحيطية**: تضاريسها معقدة كثيراً لأنها وليدة ابتلاع للقشرة المحيطية المندسَّة تحت القارات، ووليدة حركات بنائية (تكتونية) عنيفة وثورات بركانية هائلة. لذا تتصف قيعانها بالتنافر الكبير وتتصف هذه البحار أيضاً بقلة سعة الأرصفة القارية وزيادة دور الجروف القارية والسهول العميقة.

٣ ـ **بحار المقعرات الأرضية القارية**: وهي بحار عميقة وانهدامية الطابع كالبحر الأحمر وأحواضها مؤلفة من سلسلة من الدرجات الانهدامية (بنية غورية) وتتخللها الخوانق والتصدعات والكتل الصخرية المنزلقة أو الهابطة.

أما الترسبات الصخرية: فهنالك إطار عام معروف لها. فقرب خط الشاطئ ينتظم الفتات الصخري الخشن من صخور وحجارة وحصى ورمال، ثم تليه الصخور الأدق من الرمال بأنواعها والأطيان القارية غالباً. وكثيراً ما تشاهد هنا الترسبات النهرية المغمورة على شكل دلتا (دلتا نهر النيل) أو مراوح فيضية ونهرية وفي القيعان العميقة تسيطر الترسبات الطينية الوحلية

الدقيقة القارية الصخرية والعضوية البحرية. ويلاحظ عامة أن الترسبات القوقعية كربونية المنشأ في البحار الدافئة، وسيليسية في الباردة منها.



هذه الصورة أخذت من قاع البحر
انظر إلى هذه التضاريس القاعية وقاع بحر واحد على هذه الأرض
تتبدل أشكاله وأحواله التضاريسية إلى آلاف الأشكال

الأحوال المناخية في البحار

تتباين الأحوال المناخية كثيراً بسبب اختلاف توزع البحار نطاقياً على العروض الجغرافية، وبسبب درجة توغلها داخل القارات، وتأثير الأحوال المناخية للقارات نفسها. لذلك فإن مناخ البحار أكثر قارية من مناخ المحيطات.

فالمدى الحراري السنوي والفصلي أكبر، كما أن قيم الهطل والتبخر أكثر تبايناً وتنوعاً من المحيطات. كأنها في الواقع مناخات انتقالية قارية محيطية. وتنعكس الخصائص الطبيعية النطاقية بوضوح في سمات المناخات البحرية على النحو الآتي:

١ ـ **بحار الأقاليم القطبية**: وهي باردة دائماً وقد يغطيها الجليد أكثر من ستة أشهر.

٢ ـ **بحار الأقاليم المتوسطة**: تتأثر أحوالها المناخية بالتبدل الحراري الشديد ما بين الشتاء والصيف فالشتاء بارد ويكاد يشبه البحار القطبية.

٣ ـ **بحار الأقاليم شبه المدارية**: لا تكون الفصول فيها واضحة ولكنها أقل حدة من العروض المتوسطة كما يكون تأثر هذه البحار بالقارات كبيراً، فترتفع حرارة مياه البحر المتوسط صيفاً لتكون حوالي ٢٧,٢٥ درجة وتنخفض شتاء لتكون حوالي ١٧,١٤ درجة مئوية.

٤ ـ **بحار الإقليم المداري**: تقع وسط حركة الرياح التجارية. ومناخها حار بوجه عام.

٥ ـ **البحار الاستوائية وشبه الاستوائية**: وتكون الحرارة فيها مرتفعة على مدار السنة ومتجانسة تقريباً.[1]

---

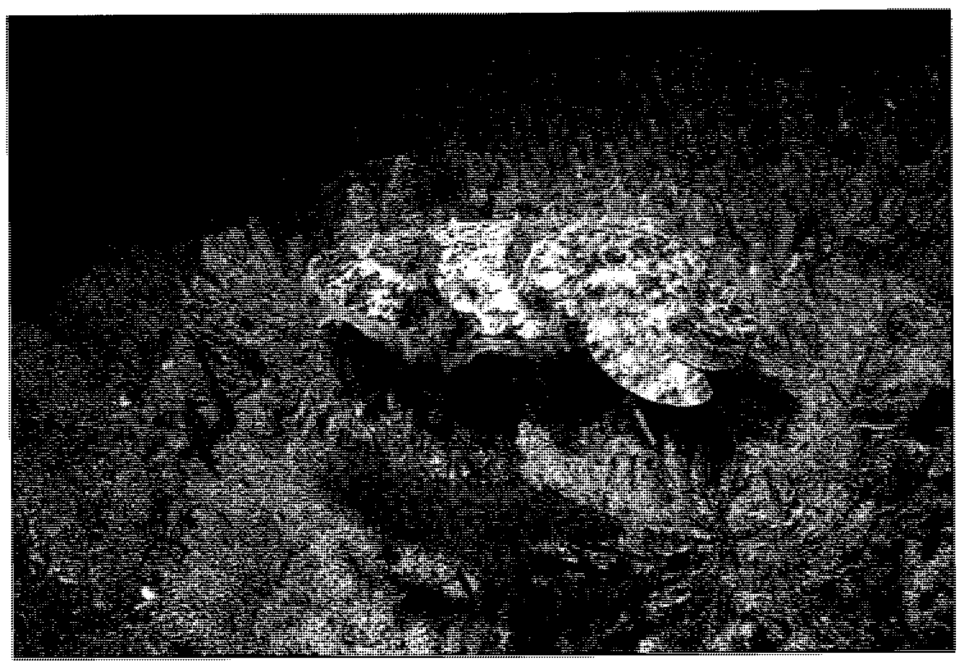
(١) الموسوعة العربية مجلد ٢ صفحة ٧٣٠ ـ ٧٣١ دار الفكر ـ سورية

العالم العضوي في البحار

يتنوع العالم العضوي في البحار كثيراً ويخضع للعوامل النطاقية والمحلية والقارية ولا سيما مياه أنهار القارات وسيولها، وتميز في البحار ثلاث مناطق بيئية:

١ ـ **المنطقة الشاطئية الصخرية**: وهي الأقل عمقاً والأكثر إضاءة والأغنى بالنباتات والبلانكتونات، لذا تتجمع هنا أكثر الكائنات البحرية. وهي مراكز الصيد الأساسية (الأرصفة القارية).

٢ ـ **منطقة وسط البحر**: أو عرض البحر Pelagos وتقع في عرض البحر حيث تعيش الكائنات الحية العائمة (البلانكتونات) النباتية والحيوانية. وحظ الحيوانات الراقية في الحياة محدود هنا.



في قاع البحار كائنات حية من المرجان وكائنات حية متعددة
من الرخويات فسبحان من أحياها وضمن لها رزقها عبر ملايين السنين

٣ ـ **منطقة الأعماق** Abyssal : وهي أعمق المناطق البيئية، لذا تعيش فيها الحيوانات الرخوية في أطيان القاع، والحيوانات ذات الشكل المميز (المستوي أو المفلطح)، وعليها جميعاً تحمُّل الظلمة وضغط الماء الكبير.

الماء في البحار وخاصية التمدد والانكماش

إن الماء الذي جعله اللّه سبحانه وتعالى أساس الحياة، من العلماء من يقول فيه: إن خصيصة صغيرة للماء، لو أنها فقدت لانتهت الحياة على سطح الأرض، فما هذه الخصيصة؟ إن الماء إذا بردته ينكمش، شأنه في ذلك كشأن كل العناصر التي على وجه الأرض، الغازات، والسوائل، والأجسام الصلبة، فالعناصر كلمة تجمع الغازات، والسوائل والأجسام الصلبة، حيث إن كل العناصر التي خلقها اللّه سبحانه وتعالى تتمدد بالحرارة، وتنكمش بالبرودة، والماء منها، فإذا أردت أن تبرد الماء، وكان في درجة الغليان، وراقبت حجمه بأجهزة حساسة فإنه ينكمش، فإذا انخفضت الدرجة من مئة إلى ستين، إلى أربعين إلى ثلاثين، إلى عشرين، إلى عشرة، إلى خمس، فإذا وصل الماء إلى زائد أربع درجات، عندئذ تنعكس القضية، فيزداد حجمه ويتمدد.

إن هذا شيء ترونه أنتم، ضعوا في الثلاجة ماء في وعاء، وراقبوا حجمه، ترونه بعد التجمد يزداد حجمه فإذا كان في قارورة تنكسر، هذا شيء معروف لديكم، ولكن ما علاقة هذه الخصيصة بوجود الحياة على وجه الأرض؟ فلو أن الماء إذا تجمد انكمش، أي قل حجمه، فزادت كثافته، فغاص في أعماق البحار، يأتي يوم تصبح جميع البحار متجمدة من سطحها إلى أعماقها، فإذا تجمدت انعدم التبخر، وإذا انعدم التبخر انعدمت الأمطار، فماتت النباتات، ومات الحيوان، ومات الإنسان، فلو أن الماء شأنه في التمدد والانكماش كشأن جميع العناصر التي خلقها اللّه عز وجل، لكانت الحياة قد انتهت منذ ملايين السنين، ولكن ازدياد حجم الماء، وتمدده في هذه الدرجة الحرجة، في درجة زائد أربع، هذه الخصيصة التي أودعها اللّه في الماء هي التي تجعل من الحياة مستمرة على وجه الأرض، فإذا تجمدت

المحيطات، كان التجمد باعثاً على ازدياد حجم الماء، وإذا ازداد حجمه قلت كثافته، وإذا قلت كثافته طفا على وجه الماء، فلو ذهبنا إلى المحيطات المتجمدة في القطبين لرأينا التجمد في الطبقة السطحية، وأما في أعماق البحر فالمياه سائلة تسبح فيها الكائنات الحية كما لو أنها في أماكن أخرى.

هل هذه الخصيصة التي أودعها اللّه في الماء هو شيء جاء مصادفة؟ ولولا هذه الخصيصة لما تكلم أحدنا، بل لما كانت الحياة على وجه الأرض.[١]

(١) آيات اللّه في الآفاق أ. د راتب النابلسي

قانون الدفع نحو الأعلى في البحار

مصدر الأمطار الأول البحار والمحيطات، ونسبة مساحة البحر إلى مساحة الأرض بكاملها واحد وسبعون في المئة، وتسعة وعشرون بالمئة يابسة، سؤال دقيق: من أين جاءت هذه المياه الكثيرة؟

يزيد عمق بعض النقاط في المحيط الهادي على اثني عشر ألف متر، أي اثني عشر كيلو متراً، فإذا كانت قارة آسيا، وقارة أوروبا، وقارة أمريكا، وقارة إفريقيا، وقارة أوقيانوسيا، والقارة السادسة، (القطب الجنوبي)، إذا كانت كل هذه القارات بما فيها من بلاد، وعباد، وسهول، وجبال، وصحارى، نسبتها تسع وعشرون بالمئة من مساحة الأرض، وما تبقى بحر، وبأعماق متفاوتة، وقد تبلغ بعض أعماقه اثني عشر ألف متر، فمن أين جاءت هذه المياه؟

ومن أين جاء هذا الملح؟ لا تزال نظرية ملوحة البحر نظرية تائهة، لا تهتدي إلى تفسير صحيح.

شيء آخر، من جعل هذا البحر يمتلئ بالأسماك؟ إنه مستودع للأغذية، للبشرية، على تعاقب القرون والعصور، إن في البحر ما يزيد على مليون نوع من السمك، فأنواع الأسماك لا تعد ولا تحصى، وأعدادها لا تعد ولا تحصى، وقد جعله اللّه مخزناً غذائياً لبني البشر.

شيء آخر، جعل اللّه البحر وسيلة اتصال بين القارات، وجعل سطحه موزعاً بين القارات، هذا كله فيه أبحاث طويلة، ولكن أريد هنا أن أقف عند قانون أساسي في البحر.

إن هذا القانون يقول: إن كل جسم غاطس في الماء يتلقى من الأسفل إلى الأعلى دفعاً عمودياً، قائماً، مساوياً لوزن الماء المزاح المعادل لحجم هذا الجسم.

احمل شيئاً ثقيلاً، واغمسه في الماء، تشعر أن نصف وزنه قد تلاشى،

وكأن قوة تدفعه نحو الأعلى، هذه القوة يحكمها قانون، إن قوة الدفع نحو الأعلى تساوي وزن الماء المعادل لحجم هذا الجسم، ولولا هذا القانون لما أمكن أن نركب البحر، هذا القانون بسببه تسبح الأسماك، ولولا قانون القوة الدافعة نحو الأعلى لما وجدت في البحر سمكة واحدة، فالأسماك تسبح في البحر لأن وزنها أقل من وزن الماء الذي أزاحته بانغماسها في الماء، لذلك تجد السمكة قوة دافعة نحو الأعلى.

لولا هذا القانون لما أمكن لسفينة أن تمخر عباب البحر، إن أحدث رقم لناقلة نفط: أن هناك ناقلات نفط تزيد حمولتها على مليون طن، سمعنا قبل سنوات عن سبعمائة ألف طن، وثمانمائة ألف طن، ونصف مليون طن، أحدث ناقلات النفط تزيد حمولتها على مليون طن، إنها مدينة تمخر عباب الماء، بفضل من؟ بفضل هذه القوة التي أودعها اللّه في الماء، قوة الدفع نحو الأعلى، وهي تعمل بأمر اللّه، هذا القانون اكتشفه عالم من علماء الغرب في أوائل القرن العشرين. (١)



السفن والقوارب تطفو على سطح البحر بقانون الدفع نحو الأعلى

(١) آيات اللّه في الآفاق أ. د راتب النابلسي.

ملوحة البحار والمحيطات

إن من آيات اللّه الدالة على عظمته هذه الملوحة التي نجدها في البحار. يقول العلماء: إن في كل لتر واحد من ماء البحر سبعة وعشرين غراماً من الملح، وإن العالم بأسره يستهلك في السنة ما يزيد على خمسين مليون طن من ملح البحر، وإن نسبة الملح في مياه البحر تعادل ثلاثة ونصفاً بالمئة من مجموع مياه البحر، بل إن في الكيلو متر المكعب، **(وهو مكعب ضلعه كيلو متر)** من مياه البحر أربعة وثلاثين مليون طن من الملح.

لو استخرج ملح البحار وجفف، ووضع على اليابسة ـ على قاراتها الخمس ـ ولم نترك مكاناً إلا فرشنا عليه هذا الملح الذي استخرجناه من مياه البحار، لبلغ ارتفاع الملح المجفف على سطح اليابسة كلها مئة وثلاثة وخمسين متراً.

السؤال الذي يلفت النظر: من أين جاءت هذه الكمية الكبرى من ملح البحار، الذي هو كلور الصوديوم؟ يقول بعضهم: إن في البحار من الملح ما يساوي أربعة ملايين ونصف ميل مكعب، هذه كلها أرقام دقيقة مستخلصة من كتب علمية.

فمن أين جاء هذا الملح؟ كيف وضع في البحر؟ هناك نظريات كثيرة بعضها يقول: إن في قيعان البحار صخوراً ملحية تفتتت وذابت في هذا الماء، وبعضهم يقول: إن السبب مياه الأنهار، كل هذه النظريات التي تحاول أن تفسر ملوحة مياه البحر تجد الطريق مسدوداً لسبب بسيط، هو أن في الأرض عدداً كبيراً من البحيرات العذبة، فإذا كانت مياه الأنهار وحدها كافية لتمليح مياه البحار، فلماذا بقيت هذه البحيرات الضخمة عذبة حلوة المذاق ـ وهي أشبه ما تكون ببحار صغيرة ـ مئات الملايين من السنين، وما تفسير ذلك؟ لا يزال سبب تكون الملوحة في مياه البحر لغزاً كبيراً، ولا يفسر إلا بالآيات التالية، يقول اللّه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

فلن يصبح مالحاً، ولو صبت عليه الأنهار، ولو تفتتت فيه الصخور، ولو كانت على مسير الأنهار جبال من الملح، تبقى البحيرة العذبة عذبة.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

ولو أن نهراً عذباً صب في بحر لسار عشرات، بل مئات الكيلو مترات وبقي عذباً، لأن بين البحرين برزخاً ما زالت طبيعته مجهولة حتى الآن.

يقول الله عز وجل في سورة الواقعة: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦٨، ٧٠]

فلو شاء لجعله أجاجاً كمياه البحر.. أفلا تشكرون هذه النعمة؟!!

آية ثالثة، قال سبحانه:

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[1]

[سورة فاطر، الآية: ١٢]

---

(١) آيات الله في الآفاق ـ أ د محمد راتب النابلسي.

تأثير وفعالية التيارات البحرية

إذا نزل الإنسان إلى البحر فإن قطرات الماء التي تمس جلده ربما تكون قد وصلت من توها بعد رحلة استغرقت عدة سنين، لأن الماء يجري في تيارات من خط الاستواء إلى القطبين، ومن القطبين إلى خط الاستواء، وقد يقطع مسافة تزيد على خمسة عشر ألف كيلو متر، فهذا الماء الذي تجده في البحر ماء متبدل يقطع رحلات طويلة، بعضها إلى الشمال، وبعضها إلى الجنوب، وبعضها إلى الشرق، وبعضها إلى الغرب، وهناك قوانين معقدة جداً تحكم حركة الماء في المحيطات، ولكن الذي يعنينا أن سبب هذه الحركة في أصلها أن أشعة الشمس تسخن الماء الذي في خط الاستواء فيتمدد، ويرتفع قرابة عشرين سنتمتراً، وهذا الارتفاع الطفيف يساهم في تشكيل تيار نحو الشمال، وأن الماء في القطبين يبرد، ومع برودته يثقل فيغوص في الأعماق، ويتجه نحو خط الاستواء، فهناك تيارات سطحية، وتيارات عميقة. هذه المقدمة نريد أن نصل منها إلى أن من آيات اللّه الدالة على عظمته تيار الخليج، هذا التيار سرعته ثمانية كيلو مترات في الساعة، فإذا دخلت فيه السفينة، وأطفأت محركاتها فإنها تسير ثمانية كيلو مترات في الساعة دون أن تعمل محركاتها.

عرض هذا التيار يزيد على ثمانين كيلو متراً، وعمقه يزيد على أربعمئة وخمسين متراً، وهذا التيار كثافته أربعة ملايين طن من الماء في الدقيقة، ماذا يفعل هذا التيار؟ يذيب مئة وثلاثين ألف طن من الكتل الثلجية في القطبين في عشرة أيام، ولهذا التيار فوائد لا تعد ولا تحصى، إنه يجعل المنطقة الباردة في أوروبا منطقة معتدلة، وهذه الأجواء اللطيفة في دول إسكندنافيا سببها تيار الخليج.

وهناك تيارات تجري في أعماق البحر، على عمق ثلاثة آلاف متر، والغواصات إذا أطفأت محركاتها تنتقل من مكان إلى آخر عبر هذا التيار، وهذا شيء يلفت النظر، لكن الآية الثانية الدالة على عظمة اللّه في هذا الموضوع هي: أن هناك تياراً يتجه نحو شواطئ أمريكا الجنوبية ليصل إلى بلاد البيرو

والشيلي، ماذا يفعل هذا التيار؟ هذا التيار يحمل كميات كبيرة من الأعشاب البحرية، وهذه الأعشاب البحرية تجتذب أعداداً فلكية من أسماك السردين، هذه الأسماك هي غذاء لعشرات الملايين من طيور تعيش على شواطئ هذه البحار اسمها غراب البحر، وهذه الطيور لها مخلفات، تعد المادة الأولى لدخل تلك الشعوب، لأن أرقى أنواع الأسمدة في العالم من مخلفات هذه الطيور، **خمسون مليون طائر تؤخذ مخلفاتها بالجرافات**، وتصدر إلى شتى أنحاء العالم، **وهذه الأمم والشعوب في شواطئ أمريكا الجنوبية دخلها الأول والأخير مخلفات الطيور التي تعيش على أسماك السردين**، وتلتهم في العام بتقدير العلماء ما يزيد على ثلاثة ملايين طن من هذه الأسماك، وهذه الأسماك تجتذب إلى هذا المكان بفعل الأعشاب التي يحملها هذا التيار، ولحكمة يريدها الله أنه يغير مسار هذا التيار من حين لآخر، فإذا غير مساره لم يأت بهذه الأغذية لهذه الأسماك، فتموت، ويموت معها الطيور، وعندئذ يعاني الشعب من حين إلى آخر من مجاعات قاتلة بسبب ضعف انتاجه، أليست هذه آية دالة على أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين؟ يسوق هذا التيار بما فيه من أعشاب مغذية، وتأتي هذه الأسماك بأرقام فلكية، فتستهلك منها الطيور ثلاثة ملايين طن في العالم، وهذه الأسماك هي طعمة الطيور والطيور لها مخلفات، ومخلفاتها أرقى أنواع الأسمدة، تصدر إلى مختلف بلاد العالم، فيكاد دخل هذه الشعوب ينحصر في مخلفات الطيور، وهذا من بركات هذا التيار البارد الذي يأتي إلى شواطئ أمريكا الجنوبية.[١]

هناك من يقدر أن أكثر من خمسين مليون طائر يعيش على هذه الشواطئ ليلتهم هذه الأطنان الكثيرة من أسماك السردين، وتترك هذه المخلفات التي تصدر إلى أكثر بلاد العالم، هذا تيار الخليج الحار، وذاك التيار البارد، وهذا تيار السطح، وذاك تيار الأعماق، ولحركة الماء في البحار موضوع دقيق، ومعقد، وسبحان الخالق الذي قال:

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٢]

---

(١) المسوعة الأمريكية مجلد ١٣.

الحيود المرجانية وعلاقتها بمناخ الأرض

في المحاولات الجارية لتعديل المناخ يدرس العلماء في جامعة (ثاوثم كروس Southem Cross) الأسترالية الوسائل الممكنة لاستخدام الحيود المرجانية (Coral Reef) لانتاج غيوم تساهم في هطول الأمطار وتبريد الأرض. وتعتمد التقنية على تحويل المواد الكيميائية الموجودة في الحيود المرجانية وخصوصاً «الدايمثيل سلفايد» (Dimethyl Sulfide) إلى رذاذ يساعد في تكثيف بخار المياه والرطوبة وتحويلها إلى غيوم.

ومادة الدايمثيل سلفايد تنتجها أيضاً الطحالب البحرية وهي تساهم في أعطاء المحيطات رائحتها المميزة. وبما أن الغازات المسببة للاحترار تؤدي إلى ارتفاع في حرارة الكرة الأرضية فإن التقنية أيضاً، تهدف إلى التخفيف من الأشعة الشمسية التي تصل إلى الأرض، ويقضي الأمر بأن تنشر في الطبقات العليا من الجو الحبيبات الصلبة أو السائلة من رذاذ الدايمثيل لتشكل حجاباً في وجه الأشعة الشمسية، ويفترض بعملية النشر هذه أن تتم بواسطة الطائرات التجارية فطبيعياً أن ينتشر الرذاذ إثر التفجيرات البركانية، وعندها تشكل الغيوم الكثيفة الصادرة عامل تبريد للأرض، وتعتبر عملية التبخر التي تحدث في المحيطات الطريقة الرئيسة لانتقال الماء إلى الغلاف الجوي وتتيح المساحات الشاسعة التي تغطيها المحيطات (**٧٠٪ من سطح الأرض**) المجال لحدوث تبخر نطاق واسع وتعتبر كمية الماء المتبخر هي تقريباً كمية الماء نفسها التي تعود إلى الأرض كأمطار، حسب القياس العالمي على الرغم من أن هذه الكميات تختلف من الناحية الجغرافية وتعد عملية التبخر الأكثر شيوعاً على نطاق المحيطات بالمقارنة مع الأمطار في حين أن الأمطار هي التي تسود بشكل أكبر على سطح الأرض **وتسقط معظم المياه التي تتبخر من المحيطات مرة أخرى إليها كأمطار**، وحوالي ١٠٪ فقط من الماء المتبخر من المحيطات تنتقل إلى الأرض لتسقط أمطاراً

وبمجرد تبخرها فإن جزيء الماء الواحد يمضي نحو ١٠ أيام في الجو.

وفكرة التدخل في الدورات الطبيعية ليست جديدة فمنذ الستينيات طورت برامج كثيرة لمساعدة الزراعة، فمن أجل زيادة الهواطل كانت تنثر غيوم من حمض الفضة، وقد استحسن بعضهم هذا الحل المفترض مثلاً أن يساعد في المطر الاصطناعي في أفريقيا الساحلية، ولا تزال شركات كثيرة ناشطة في هذا القطاع في الولايات المتحدة مثل **«اتموسفيرك انكوربورايشن»** التي أسست في العام ١٩٦٠م و **«ويزر موديفيكيشن انكوربوريش» أو أيضاً تي أر سي نورث أميريكن وزير كونسولتاتنس التي نفذت ما يزيد على ٢٠٠ مشروع تعديل مناخي** منذ الخمسينيات إلا أن تأثير هذه البرامج يبقى ضعيفاً إذ لا يكاد يزيد كمية الهواطل إلى أكثر من ١٠ أو ١٥ في المئة.[١]



الحيود المرجانية في كل مكان من قاع البحار ولها تأثير فعال على مناخ الأرض

(١) علم وعالم / الكويت العدد مايو ٢٠٠٥م.

مثلث برمودا
الأسطورة والحقيقة؟

* أنادي برج المراقبة. . . هنالك حالة طارئة وكأننا انحرفنا عن مسارنا بتنا لا نرى الأرض. . . .

* أين مكانكم الحالي؟

* لسنا متأكدين من موقعنا لا نعرف بالضبط أين نحن. . . كأننا ضائعون.

* مبدئياً عليكم الاتجاه غرباً ٢٧٠ درجة. . . .

* لا نعرف أين اتجاه الغرب. . شيء غريب يحدث. . شيء عجيب لسنا متأكدين من أي اتجاه حتى البحر يبدو وكأنه غريب إننا تائهون!

كان هذا جزء من الحوار الذي دار بين برج المراقبة وقائد السرب ١٩ الذي ضم خمس طائرات حربية أميركية أقلعت من قاعدتها في مهمة روتينية.

أما آخر رسالة تلقاها البرج من **قائد السرب ١٩ تشارلز تايلور** فقالت: إننا نطير فوق مياه بيضاء أعتقد أننا ضائعون تماماً. . ثم انقطع الاتصال اللاسلكي لكن البرج استطاع سماع بعض الرسائل المتبادلة بين طائرات السرب وكانت هذه الرسائل تشير إلى نفاد الوقود وإنه لم يعد يكفي إلا لـ ـ ٧٥ ميلا ـ كذلك كانت هناك مكالمات أخرى تشير إلى دهشة الطيارين في قراءة البوصلة التي كانت تحدد الاتجاه والمكان بطريقة غير مفهومة، أقلعت بعد ذلك طائرة برمائية من طراز مارتين مارينز للبحث عنهم وإغاثتهم فلم تعد هي أيضاً، وبدأت مجموعة من الطائرات رحلة البحث عن السرب ١٩ وطائرة الإغاثة، لكن حلول الظلام أعاق المهمة فحل محلها مجموعة من القوارب واللنشات، **ومع بزوغ الفجر انطلقت أكبر مجموعة للبحث والإنقاذ** Search and Rescue **في التاريخ تحتوي على ٣٠٠ طائرة وعدد من القوارب** والغواصات، لكن رغم البحث المستمر يوماً بعد يوم لم يظهر أي أثر للسرب ولا لطائرة الإغاثة، بعد

ذلك كانت المفاجأة إذ أرسل قائد السرب ١٩ رسالة إلى البرج ولكنها لم تكن مفهومة، الغريب في الأمر هو مرور وقت طويل على الاختفاء، فكانت دهشة المسؤولين في البرج كبيرة حيث أنه من المفترض نفاد وقود طائرات السرب منذ فترة! واستخلص التحقيق بعد الحادث أنه ليس ثمة أي عطل فني لأنه لا يمكن أن تتعطل خمسة طائرات في آن واحد!

لطالما كان الحديث عن مثلث برمودا يمثل لدى بعضهم ضرباً من الحكايات الخرافية والأساطير والقصص الخيالية... لكن الفارق هنا **أن مثلث برمودا حقيقة واقعية لمسناها في عصرنا وقرأنا عن لغزها في الصحف والمجلات العالمية.**

فمثلث برمودا هو من ألغاز الطبيعة تحيطها هالة من الدهشة والغموض... هذا المثلث هو تلك المنطقة الغامضة من المحيط الأطلسي الغربي التي تبتلع بداخلها العديد من السفن والطائرات دون أن تترك أي أثر، ... يعرف مثلث برمودا شعبياً باسم «مثلث الشيطان» وهو منطقة شاسعة تمتد على مساحة نحو أربعة ملايين كيلومتر مربع، **هذه المنطقة عبارة عن مثلث وهمي يمتد غرب المحيط الأطلسي تجاه ساحل الجنوب الشرقي للولايات المتحدة الأميركية، ويقع رأسه الشمالي في جزيرة برمودا** (وهي مستعمرة بريطانية عاصمتها هاملتون) **ويقع رأسه الجنوبي الشرقي في بورتوريكو (وهي قاعدة عسكرية أميركية تتكلم الأسبانية) ويقع رأسه الجنوبي الغربي في ميامي بولاية فلوريدا الأمريكية، ثم إلى كوبا، ثم هايتي، وينتهي بالعودة مرة أخرى إلى برمودا.**

يحتوي مثلث برمودا على أكثر من ثلاثمائة جزيرة، مائة منها لم تطأها قدم إنسان أجنبي لأن الملاحين يتجنبونها لسر غامض يحيط بها منذ حوالي ٥٠٠ سنة إذ اشتهرت باسم «جزر الشيطان».

أما لماذا سميت هذه المنطقة بمثلث برمودا؟ فبسبب شكلها الجغرافي الذي يشبه المثلث ولا يزال حتى الآن رغم الافتراضات الكثيرة هو أحد غرائب الطبيعة التي تتحدث عنها وسائل الإعلام من وقت إلى آخر.

.... **الرحّالة الشهير** كريستوفر كولومبس **الذي سجل في يومياته على** متن سفينته سانتا ماريا في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٤٩٢ بعد ساعتين من غياب الشمس لاحظ لمعاناً في مياه البحر التي أصبحت بيضاء، وقد رأى هو

وطاقمه خطاً نارياً ضخماً يجتاز السماء بسرعة ويختفي في البحر، وحصل أيضاً تشويش في اتجاه البوصلة لم يكن هذا الجسم نيزك لأن سقوط نيزك لا يحدث كذلك تشويش... **القصة نفسها التي حدثت للسرب ١٩ تكررت للكثير من الطائرات** في المنطقة نفسها فاختفت بمن فيها دون أن تترك أي أثر، فأقرت اللجان المختصة بالتحقيق في تلك الأحداث أنه ليس هنالك اضطرابات جوية، وأن عدد الحوادث التي حصلت يفوق بكثير النسبة المسجلة في أي مكان آخر في العالم، أضف إلى ذلك أن أفراد طاقم هذه الطائرات كانوا من النخبة يعاونهم اختصاصيون ذوو خبرة، كل هذه الطائرات كانت مزودة بأجهزة لا سلكية وعتاد إغاثة، إلا أنها اختفت في وضح النهار وطقس جيد بالتالي ثمة أسباب غير اعتيادية أدت إلى تلك الأحداث الغربية.

استنتج المحققون من خلال تحليل المعطيات المتوافرة لديهم أنه خلال الثواني السبع أو الثمانية الأخيرة من طيرانها سقطت الطائرات بسرعة فائقة، فلم يتمكن ملاحوها ولا برج المراقبة من التفاعل مع الحدث المتسارع، في الظروف العادية كان الوضع يسمح لأي قبطان بتصحيح المسار، لكن الهبوط السريع عطل دور الرادار الذي سجل خطاً أبيض فقط، ولا يمكن تفسير ذلك بعجز في القيادة أو عطل في المحركات.



صورة لمثلث برمودا المرعب أخذت من الجو

* أين تقع نقطة الاختفاء في مثلث برمودا؟

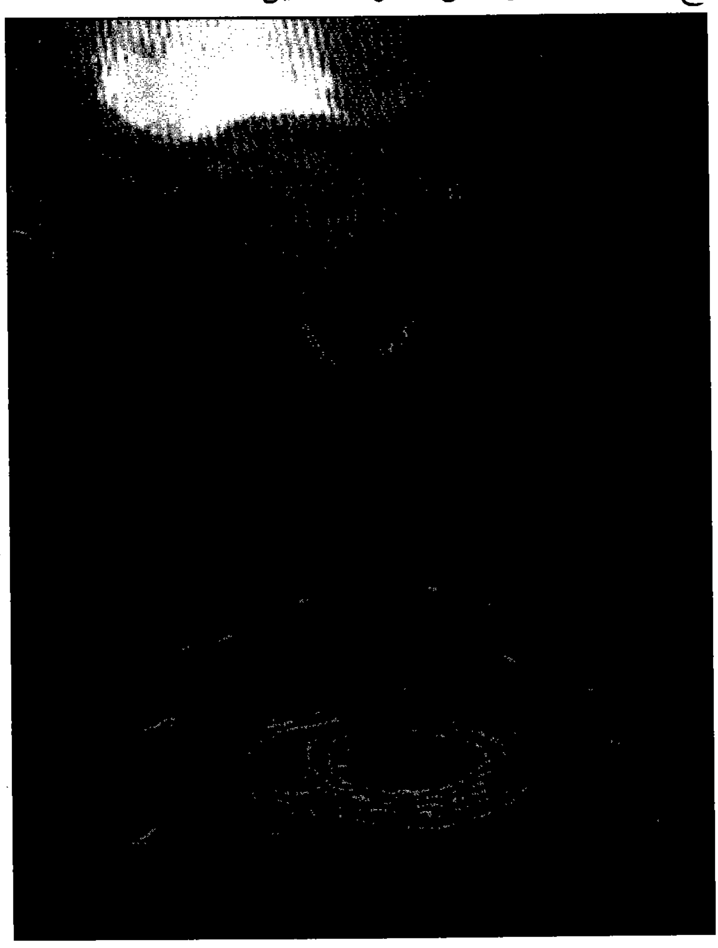
أغلبية حوادث الاختفاء تقع في منطقة معينة شمال غرب المحيط الأطلسي، أي في ما يسمى ببحر السارغاسوم الذي أشتهر بغرابته، فهو منطقة كبيرة تتميز مياهه بوجود نوع معين من طحالب البحر ذات اللون البني، وكان ذلك دون جدوى. يتميز بحر السارغاسوم بهدوئه التام، فهو بحر ليس به أي حركة للأمواج العالية التي تسببها التيارات الهوائية والرياح الشديدة، وقد أطلق عليه الملاحون أسماء عديدة منها **«بحر الرعب» ومقبرة الأطلسي**، وذلك لما شاهدوا فيه من هلع وأهوال أثناء رحلاتهم، وقد أشارت رحلات البحث الجديدة إلى وجود عدد كبير من السفن والقوارب والغواصات الراقدة في أعماق هذا البحر، حيث يرجع تاريخها إلى فترات زمنية مختلفة منذ بداية رحلات الإنسان عبر البحار، ويقال إن معظم تلك السفن غرقت في ظروف غامضة، هذا إلى جانب اختفاء عدد كبير من السفن والقوارب دون أن تترك أي أثر من بقايا أو بقع لزيوت المحركات التي تطفو على الماء «سارغاسوم» حيث يطفو بكميات وافرة على سطح المياه، ويشكل كتلاً كبيرة تعوق حركة القوارب والسفن، وقد اعتقد كولومبس عندما زار هذه المنطقة في أولى رحلاته أن الشاطئ أصبح قريباً إليه، فشجعه ذلك على مواصلة التقدم أملا في الوصول إلى اليابسة القريبة.

* منذ أكثر من مئة عام

لاحظ المراقبون أن معظم الكوارث تقع في مواسم معينة أطلقوا عليها اسم «مواسم الاختفاءات»... وهي فترة الإجازات ما بين أشهر تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) أو في شباط (فبراير) خاصة الفترات التي تسبق بداية السنة الميلادية الجديدة أو بعدها، في عام ١٨٥٠ م اختفت في هذه المنطقة أو بالقرب منها أكثر من ٥٠ سفينة، استطاع بعض قادتها أن يبعثوا رسائل في لحظات الخطر، وهذه الرسائل كانت مبهمة وغامضة، ولم يستطيع أحد أن يفهم منها شيئاً. معظم هذه السفن تابعة للولايات المتحدة الأميركية، أولها سفينة «إنسارجنت» التي اختفت وعلى متنها ٣٤٠ راكباً تلاها اختفاء الغواصة «سكوربيون» عام ١٩٦٨ م وعلى متنها ما يقارب المائة بحار في عام

١٨٨٠م ابتلع بحر السارغاسوم السفينة الإنجليزية «اتلنتا» وعلى متنها ٢٩٠ فرداً وفي عام ١٩١٨ م السفينة الأميركية «سايكلوب» بمن فيها وكانوا ٣٠٩ أفراد.

وصل نشاط الاختفاء إلى سماء المحيط، حيث ظاهرة اختفاء الطائرات وهي تحلق في سماء منطقة مثلث برمودا، إضافة إلى السرب ١٩ في عام ١٩٤٥ م اختفت طائرتان من قاذفات القنابل تابعتين للقوات الأميركية، في عام ١٩٤٨ م اختفت طائرة الركاب البريطانية ستارتايغر وعلى متنها ٣١ راكباً، وكذلك الأمر في عام ١٩٤٩م لطائرة الركاب البريطانية «ستارأريل» وعلى متنها ٣٧ راكباً، وفي عام ١٩٥٦م الطائرة P5M التابعة للبحرية الأميركية مع طاقمها المكون من عشرة ملاحين.



صورة تمثل غرق سفينة كبيرة في مثلث برمودا المخيف

* نظريات العلماء حول مثلث برمودا

توجد منطقتان تعتبران من أخطر المناطق البحرية على الإطلاق ـ من بين المناطق الاثنتي عشرة الخطرة في العالم ـ هما مثلث برمودا ومثلث بحر الشيطان (البحر الياباني) نظراً لاعتبارهما من أهم المعابر المائية، والاتصال بين العالم، ولكثافة الحركة وكثرة الحوادث الحاصلة فيهما.

تقع منطقة برمودا في غرب المحيط الأطلسي تجاه الساحل الجنوبي الشرقي للولايات المتحدة الأميركية الممتد بطول الساحل إلى جنوب فلوريدا ومنه إلى كوبا ثم هاييتي ثم بورتوريكو حتى خط الطول ٤٠ درجة غرباً.

وتقع برمودا على مساحة ٧٧٠٠٠ كلم مربع وتبعد ٩٣٠ كلم عن سواحل الولايات المتحدة وقد يختلف الموقع الدقيق للمثلث ومساحته وفق مختلف البحاثة والعلماء.

تعد هذه المنطقة من أكثر المناطق التي تقع فيها حوادث الاختفاء، التي لم نجد تفسيراً منطقياً لها، بالإضافة لحدوث اضطرابات في أجهزة وآلات السفن والطائرات لدى مرورها فيها.

أول من أطلق تسمية مثلث برمودا على هذه المنطقة المرعبة في العالم **هو المؤلف الأميركي فنست غاديس** Vincent Gaddis الذي أمضى وقتاً طويلاً في دراسة هذه الحوادث الغامضة التي تتعرض لها السفن والطائرات في مثلث برمودا، وقد ثبت لديه أن هذه المنطقة بالتحديد هي المسؤولة عن العديد من حالات الاختفاء الغامضة التي تعرضت لها البواخر والسفن وحتى الطائرات لدى مرورها، وذهب ضحيتها آلاف الأشخاص، وفي جميع هذه الحوادث كان الاختفاء غامضاً، ولم يعثر على أي دليل يشير إلى التفاصيل والأسباب، وكذلك لم يعثر على أي أثر للحطام أو للجثث في مثل هذه الحالات. من هنا كان تلازم اسم مثلث برمودا بالمنطقة المخيفة فقد أطلق عليها القدماء منذ قرون عدة **أسماء جزر الشياطين، بحر الاختفاء، مقبرة الأطلسي** وغيرها من المسميات التي تدل على الخوف والرعب.

وما يحدث في هذه المنطقة يدعو للدهشة ويبعث على التأمل والتفكير، فبالإضافة إلى الاختفاءات الغامضة للسفن والطائرات التي لم تترك وراءها أي

أثر، تعدى الأمر أيضاً إلى أشياء أخرى غير طبيعية كتعطيل البوصلات وانحرافها، والأغرب من ذلك ما ظهر عند تصوير هذه المنطقة بالأقمار الصناعية من تشويش على الإشارات التي ترسلها تلك الأجهزة. **وحاول عالم الطبيعة الأميركي داوين ميشيغان** أن يحلل هذا الأمر قائلاً: إن هناك حقلاً مغناطيسياً قوياً في المنطقة يؤدي إلى إضعاف هذه الإشارات أو لتعطيل البوصلات نهائياً.

*** تفسير هذه الظواهر:**

لقد اختلفت تفسيرات العلماء والبحاثة لما يحدث من اختفاء وظواهر غريبة، بعض هذه التفسيرات قال: بوجود انعطافات وانقطاعات في الزمن. .أو أمواج قوية سببتها زلازل تجرف السفن إلى عمق باطن المحيط، أو هجوم حيوانات بحرية هائلة، أو صواعق تحرق الطائرات، أو انعطاف في الزمكان يقود إلى بعد آخر كالثقوب السوداء في الفضاء.

هناك تفسيرات عديدة قدمت كمحاولة جريئة لكشف النقاب عن هذا السر الغريب، إلا أن كل تفسير كان له من الوقائع ما يعجز أمامه عن تقديم التحليل الساطع لهذا الاختفاء الغامض للسفن والطائرات. وإلى فترة وجيزة ما زالت هذه الحوادث تقع بطريقة أو بأخرى راسمة على الوجوه الدهشة والاستغراب، ومثيرة في الوقت نفسه الفزع والخوف لدى المرور في هذه المنطقة. لقد حاول العلماء جاهدين إيجاد تفسير علمي مقبول يكشف السر وراء اختفاء مئات السفن والطائرات بمن عليها، دون أن يعثر لها على أثر أو بقايا، بعضهم ظن أن ما تتعرض له السفن أو الطائرات يعود إلى أعطال ميكانيكية أدت إلى غرقها، ومنهم من يرى أن هذه المنطقة عرضة لتيارات بحرية وهوائية مختلفة السخونة والبرودة، وهذا التباين بين التيارات يجعل الجو والمحيط في حالة فوضى، تسبب بدورها تلك الحوادث بالإضافة إلى الخلل في التوازن الكهرومغناطيسي، ما يشوش على الرادارات وأجهزة الاتصال اللاسلكي بين القاعدة والسفن أو الطائرات.

*** الاضطرابات المغناطيسية:**

وعزا فريق من العلماء أن ما يحدث **هو نتيجة هزات أرضية** عنيفة في

قاع المحيط يؤدي إلى غرق السفن بعد انجذابها بحركة هذه الهزات التي تشبه المد والجزر.

ورأى فريق آخر أن ما يحدث **سببه عواصف قوية وتيارات بحرية شديدة** تدفع السفن أو الطائرات المارة في تلك المنطقة وتحدث بها الكوارث، وذلك لأخطاء إنسانية، بالإضافة إلى انقطاع الاتصالات وعدم كفاءة الأجهزة على الأرض، لإعطاء الطيارين التعليمات الصحيحة التي تنقذهم من الخطر.

وآخرون قالوا أن هذا الأمر **هو نتيجة تغيير السفن أو الطائرات مسارها** وأن الاضطرابات المغناطيسية تعتبر مؤشراً لقرب حدوث انعكاس في تلك المنطقة من العالم.

لقد فشلت جميع هذه التفسيرات في الكشف عن الغموض الذي يكتنف مثلث برمودا، أو في تفسير حوادث الاختفاء المحيرة للسفن والطائرات وقد لاحظ **عالم الأحياء الأميركي ايفانساندرسون** أن معظم هذه المناطق المشتبه في أمرها تقع في منطقة من المحيط تصطدم فيها التيارات الحارة والباردة وهي تعتبر منطقة عقدية حيث تتجه التيارات المائية العلوية والسفلية في اتجاهات مختلفة، لذا اعتقد ساندرسون أن هذه الحركة القوية للتيارات المتعارضة والمتأثرة باختلاف درجات الحرارة تؤدي إلى إحداث دورات مغناطيسية تكون هي السبب في كل هذه الحوادث.[١]

لقد بين ساندرسون أن تيارات المحيط الدافئة المتجهة إلى الشمال تتصادم بالتيارات الباردة المتجهة إلى الجنوب عند هذه المناطق التي تشكل نقاطاً محددة نتيجة لذلك تبدأ تيارات المحيط السطحية في الدوران باتجاه التيارات التي تسير تحت سطح الماء في الدوران باتجاه معاكس، ما يسبب حدوث تلك الدوامات المغناطيسية التي تؤثر على الاتصال اللاسلكي والقوة المغناطيسية في هذه المنطقة.

وقد يحدث في بعض الأحيان أن تتسبب هذه الدوامات المغناطيسية في طرد السفن أو الطائرات العابرة في هذه المنطقة إلى مناطق مجهولة خارج

---

(١) الموسوعة الأمريكية مجلد ٧.

عالمنا (**خارج حدود العالم الذي نعيش فيه**) إن فكرة اختراق المكان والزمان قد وردت في تفسيرات مختلفة وعلى احتمال أن تكون أقرب التفسيرات في معرفة سر سلسلة الاختفاءات المتكررة في منطقة برمودا. إن نظرية ساندرسون لا يقوم عليها دليل نظراً لاعتبارات عدة وهي:

١ ـ لا يوجد ما يثبت أن ارتطام التيارات المائية الباردة والدافئة بعضها لبعض في المحيط يؤثر على مغناطيسية الأرض أو ينشأ عن دوامات مغناطيسية.

٢ ـ لا تفسر نظرية ساندرسون كيفية عمل هذه الظروف على مناطق أخرى على اليابسة ومساهمتها في اختفاء الكثير من الطائرات أو الأشخاص وتشمل هذه المناطق القطبين الشمالي والجنوبي منطقة شمال الصحراء الكبرى، منطقة شمال غرب الهند.

٣ ـ فشلت هذه النظرية في تفسير عملية العثور على بعض السفن في هذه المناطق المهجورة وليس عليها أحد ولا أين ذهب بحارتها؟!

٤ ـ لم تقدم النظرية تفسيراً علمياً بشأن القوى الغامضة والشذوذ الكهرومغناطيسي في تلك المنطقة، والتي تؤثر على أجهزة الملاحة والاتصال والرادار ونظراً لأن هذه المنطقة هي الوحيدة التي تشير فيها البوصلة إلى اتجاه الشمال بدقة، فقد عزا ذلك إلى القوى الكهرومغناطيسية، أما بالنسبة للأضرار التي تصيب أجهزة الملاحة ومعدات الاتصال اللاسلكي أثناء الطيران فوق منطقة برمودا واختلافه بسبب القوى المغناطيسية الغريبة التي تتحكم في تلك الأجهزة والمعدات، فذكرت أبحاث أن هناك أسباباً منطقية وراء حدوث هذا الخلل تتعلق بجاذبية الأرض. وترى هذه الأبحاث أن مخزوناً كبيراً من القوى المغناطيسية يزيد بكثير عن وجوده في بقاع أخرى من الأرض، وربما جاء وقت تغيرت فيه معدلات هذه القوى ما نتج عنه حدوث هزات مغناطيسية تظهر أحياناً بصورة مفاجئة وبشكل غير متوقع كالهزات والزلازل الأرضية وهذا ما يفسر سر هذا الخلل المفاجئ بأجهزة الطائرات واختلال توازنها وربما سقوطها بعد ذلك وكذلك اختفائها في قاع المحيط.

أما **الباحث الأميركي ويلبرت سميث** فقد تحدث عن ثقب في الفضاء يبتلع السفن والطائرات من على الأرض جواً وبحراً وإن هذا الثقب سببه تضارب بين الحقول المغناطيسية الخاصة بالنجوم والحقول المغناطيسية المحيطة بالأرض وبسبب هذا التضارب تفقد الأرض جاذبيتها في تلك المناطق وبالتالي لا ترتبط بها الأجسام التي على سطحها ما يؤدي إلى اختفائها في الفضاء الفسيح.

من هنا لم تقدم كل التفسيرات تبريراً لحالات الاختفاء التي حدثت لكل السفن أو الطائرات، والأغرب من ذلك تلك الحالات التي اختفى من جرَّائها طواقم الركاب والبحارة دون سبب، لقد ظهرت آراء وتفسيرات أخرى مثيرة فقد نسبت إلى الأجسام الطائرة مجمل هذه الاختفاءات الغريبة، وخاصة في منطقة مثلث برمودا.

لقد وضعت افتراضات أيضاً حول ذلك تبين أن هذه السفن الفضائية الغريبة القادمة من الفضاء الخارجي أو قاع المحيط ما هي إلا سفن فضاء للاستكشاف والاستطلاع.

*** هيدرات الميثان في قاع المحيطات وعلاقتها بمثلث برمودا:**

بعد ردح من التكهنات والدراسات حول ظاهرة مثلث برمودا المخيفة والمحيرة يبدو أن العلماء اقتربوا من وضع تفسير مناسب لها لتجنب كوارثه التي أودت بحياة الآلاف من خلال عدد لا يحصى من الكوارث المروعة بأنواعها المختلفة، الظاهرة في مختلف جوانبها تكمن في فقاعات تتولد عنها مصادر هائلة من الطاقة، ووجدت من خلال دراسة مازالت مستمرة حتى اللحظة رواسب بكميات ضخمة من هيدرات غازات الميثان المتجمدة قابلة للاشتعال في قاع المحيطات، وبدأ الباحثون بفضل هذا الاكتشاف في فك أسرار هذه المناطق المجهولة وعلى بعد مئة كيلومتر من ساحل أوريغون، **قامت سفينة الأبحاث سوني التابعة لمعهد لايبنيز لعلوم البحار** Leibniz Fur Institut-Meereswissenschaften **في جامعة كييل الألمانية في العام ١٩٩٦م** بدراسة ظاهرة التجشوات المتجمدة وذلك فوق منطقة في المحيط الهادي تمتد فيها سلسلة جبلية تحت الماء، تبلغ مساحتها حوالي آلاف كيلو متر مربع.

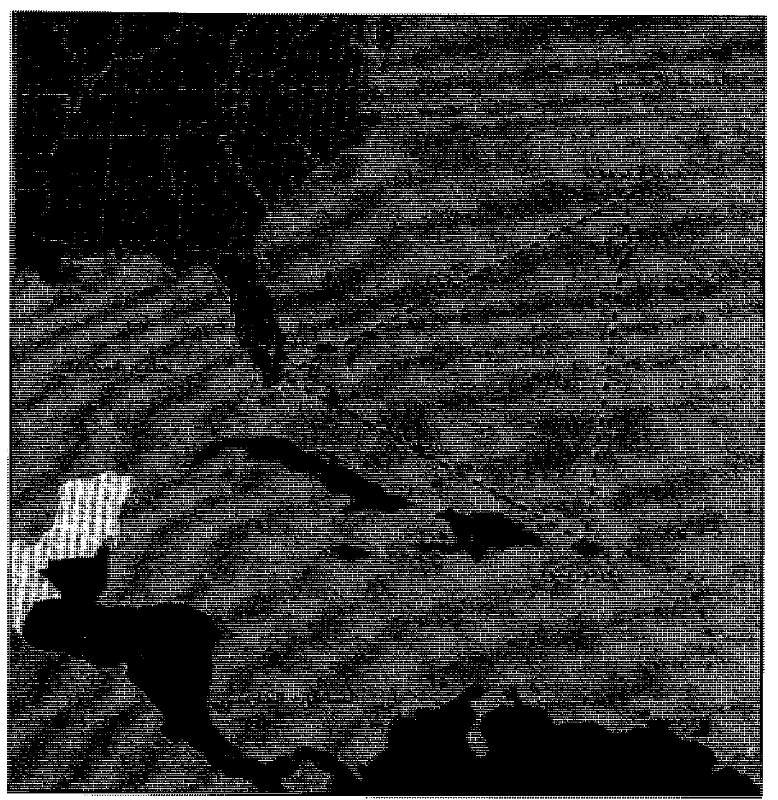
وتمكن الباحثون من استخراج كتلة من هيدرات الميثان المتجمدة من قاع البحر، بلغ وزنها خمسون كيلو غراماً، واعتبرت أكبر قطعة تم الحصول عليها من هذه المادة حتى الآن من البحر، وقال أحد الباحثين في معرض تعليقه على التفاعلات التي لوحظت على المادة بعد خروجها إلى سطح السفينة أنها تشبه تماماً نقل قطعة من الثلج إلى صحراء ملتهبة، حيث بدأت على الفور بإخراج الفقاعات، وقام العلماء بإشعالها بعد ذوبانها ولا حظوا انطلاق لهب بنفسجي مائل للحمرة، وخلفت وراءها بركة صغيرة من الماء.

وتنتج هذه الكتل الجليدية عن تعفن رمم السمك والعوالق والطحالب وتحتوي على طاقة كامنة هائلة، فليتر واحد من هيدرات الميثان يحتوي على ١٦٤ ليتراً من غاز الميثان وحسب تقديرات علماء الأرض تفوق موارد هيدرات الميثان ضعف الاحتياطات الموجودة من غاز طبيعي وبترول وفحم حجري إنه مورد طاقة يكاد لا يفنى! إلا أن باحثي المناخ يخشون من أن الغاز هذا سيحرك عملية الاحترار الأرضي، إذ يزيد مفعوله عن مفعول ثاني أوكسيد الكربون (CO2) ثلاثين مرة، ما قد يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة البحار ويتسبب في انبعاث المزيد من غاز الميثان. ثم إن هناك خطراً آخر: **إن انطلاق غاز الميثان التدريجي من شأنه أن يفضي إلى انخفاض المنحدرات القارية وعاقبة ذلك قد تكون: أمواجاً مدية عملاقة تجتاح القارات.**

ويعتقد العلماء أيضاً أن المواد المنطلقة عن هيدرات الميثان قد تلعب دوراً في ظواهر الاختفاء حول منطقة مثلث برمودا المرعب، حيث تؤدي الفقاعات الغازية المتصاعدة عن هيدرات الميثان إلى خلخلة طبقات الماء لتصبح بفعل ذلك غير قادرة على حمل السفن ويجد العلماء في هذه المنطقة بيئة خصبة للأبحاث الهادفة إلى الكشف عن خصائص المادة المثيرة للجدل، وتنوي الحكومتان اليابانية والأمريكية الاستثمار في خطة اقتصادية تقضي بتخصيص مئة مليون دولار أميركي خلال السنوات الخمس المقبلة للقيام بمزيد من أبحاث هيدرات الميثان، كما أسهمت الحكومة الألمانية بمبلغ ٦.١مليون دولار لمعرفة سر «التجشوءات المتجمدة»

وينوي باحثو جامعة كييل الألمانية البقاء على ظهر السفينة «سوني» للاشتراك في الأبحاث بعيدة المدى الجارية هناك مع العلماء الأميركيين

وسوف يقام فرع آخر لدراسة أثر الميثان في التغيرات المناخية في العالم، والأيام القادمة ستكشف عن مزيد من التجارب للوصول ربما إلى نتائج أفضل. (١)



صورة تحدد تماماً موقع مثلث برمودا في المحيط

(١) مجلة علم وعالم العدد نيسان / آيار ٢٠٠٥ م.

الفصل الرابع

١ ـ جداول بأهم المعلومات عن عالم المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار.
٢ ـ الأعماق القصوى للمحيطات.
٣ ـ أكبر عشر بحار مساحة في العالم.
٤ ـ البحار الداخلية.
٥ ـ أطول الأنهار في العالم.
٦ ـ أهم الخلجان في العالم.
٧ ـ أكبر جزر العالم.
٨ ـ أعلى الشلالات في العالم.
٩ ـ أهم المواقع الاستراتيجية في العالم ـ المضائق والقنوات.



جداول بأهم المعلومات
عن المحيطات ـ البحار ـ الأنهار
الخلجان ـ الجزر ـ الشلالات

أهم المواقع الاستراتيجية في العالم
المضائق والقنوات

الأعماق القصوى للمحيطات

المحيط الواقعة فيه	الحفرة	العمق (م)
حفرة ماريان	الهادئ	١١٥٢١
حفرة تونغا	الهادئ	١٠٨٢٢
حفرة كوريل	الهادئ	١٠٥٤٢
حفرة الفيلبين	الهادئ	١٠٥٤٠
حفرة اليابان	الهادئ	١٠٣٧٤
حفرة كيرماديك	الهادئ	١٠٠٤٧
حفرة غوام	الهادئ	٩٩٣٦
حفرة بورتوريكو (ميلووكي)	الأطلسي	٩٢١٩
حفرة بانين	الهادئ	٩١٥٦
حفرة سالومون	الهادئ	٩١٤٠

أكبر عشر بحار مساحة في العالم

اسم البحر	المساحة	العمق
البحر المتوسط	٢٥٠٥٠٠٠ م٢	٤٨٦٤ م
بحر الصين الجنوبي	٢٣١٨٠٠٠ م٢	٥٥١٤ م
بحر بهرنج	٢٢٦٩٠٠٠ م٢	٥١٢١ م
البحر الكاريبي	١٩٤٣٠٠٠ م٢	٧٤٩٢ م
خليج المكسيك	١٥٤٤٠٠٠ م٢	٤٧٧٧ م
بحر أوختسك	١٥٢٨٠٠٠ م٢	٣٤٢٥ م
بحر الصين الشرقي	١٢٤٨٠٠٠ م٢	٢٩٩٩ م
خليج هدسن	١٢٣٣٠٠٠ م٢	٢٥٩ م
بحر الشمال	٥٧٥٠٠٠ م٢	٦٦٠ م
بحر اليابان	١٠٠٨٠٠ م٢	٤٠٣٥ م



صورة للبحر الأبيض المتوسط التقطت

من على ظهر سفينة تمخر عبابه والبحر الأبيض المتوسط أكبر بحار العالم مساحة

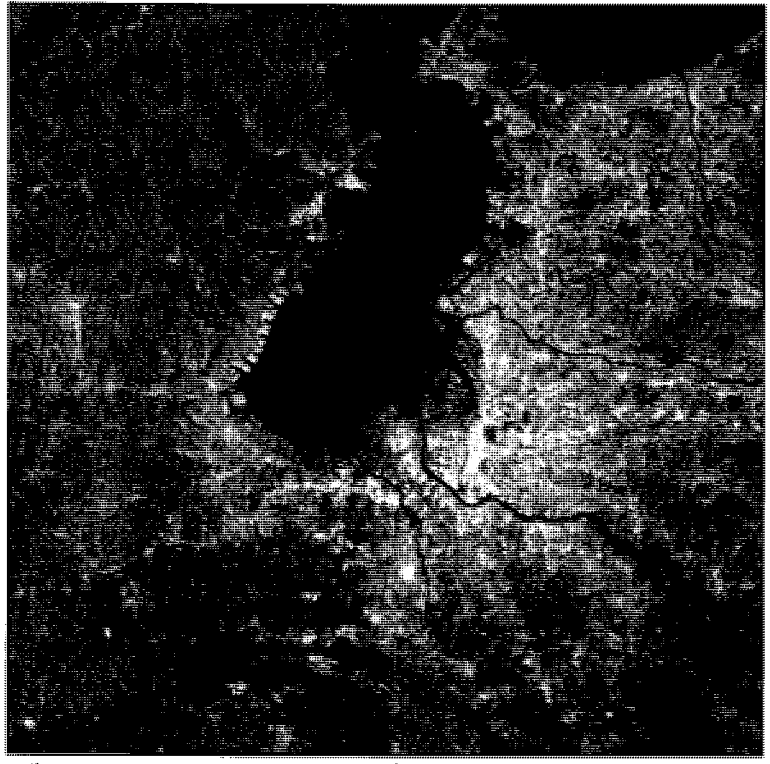
البحار الداخلية

اسم البحر	البلد أو البلدان التي تحوطه	القارة
بحر قزوين	روسيا ـ إيران	آسيا
بحر رودولف	كينيا	أفريقيا
بحر تانا	أثيوبيا	أفريقيا
بحر فكتوريا	كينيا ـ تنزانيا ـ أوغندا	أفريقيا
بحر مرمرة	تركيا	آسيا ـ أوروبا
بحر الأسود	روسيا ـ رومانيا ـ تركيا	آسيا ـ أوروبا
بحر أزوف	روسيا	آسيا
بحر الميت	الأردن ـ فلسطين المحتلة	آسيا

أطول الأنهار في العالم

اسم النهر	الطول (كم)	مساحة (كم٢)	المصب
النيل	٦٦٧١	٢٩٠٠٠٠٠	البحر المتوسط
مسيسيبي ميسوري	٦٤١٨	٣٤٠٠٠٠	خليج المكسيك
الأمازون	٦٢٨٠	٦١٢٠٠٠٠	المحيط الأطلسي
يانغ تسي كيانغ	٥٥٥٢	١٨٠٠٠٠٠	بحر الصين الشرقية
أوب ـ أبريش	٥٣٠٠	٣٤٩٥٠٠٠	بحر كار
ريودولا بلاتا	٤٧٠٠	٣١٤٠٠٠٠	المحيط الأطلسي
ميكونغ	٤٥٠٠	٨١٠٠٠٠	بحر الصين الجنوبية
أمور	٤٤٨٦	١٣٤٨٠٠٠	بحر أوكوتسك
لينا	٤٢٦٤	٢٤١٨٠٠٠	بحر لايتيف
زئير	٤٢٠٠	٣٨٢٢٠٠	خليج غينيا

اسم النهر	الطول (كم)	مساحة (كم٢)	المصب
هوانغ هو	٤٢٠٠	٧٤٥٠٠٠	البحر الأصفر
نيجر	٤١٦٠	٢٠٩٢٠٠٠	خليج غينيا
ماكينزي	٤٠٤٥	١٧٦٠٠٠	بحر بوفور
ابينيساي	٣٨٠٧	٢٧٠٧٠٠٠	بحر كارا
سان لوران	٣٨٠٠	٩٣١٠٠٠	المحيط الأطلسي
فولغا	٣٧٠١	١٣٨٠٠٠٠	بحر قزوين
يوكون	٣٧٠٠	٩٠٠٠٠٠	بحر بهرينغ
هوراي	٣٤٩٠	٩١٠٠٠٠	المحيط الهندي



صورة أخذت من الجو تبين كيف تشق الأنهار الكبيرة طريقها عبر اليابسة انظر إلى آثار قدرة اللّه وتوزيعه للأنهار في كل مكان من اليابسة لتيسير سبل حياة البشر!!

أهم الخلجان في العالم

١	خليج طوكيو
٢	خليج البنغال
٣	خليج العقبة
٤	خليج الإسكندرون
٥	خليج ليون
٦	خليج فينيسا
٧	خليج المكسيك
٨	خليج سان لوران
٩	خليج هدسون
١٠	الخليج العربي
١١	خليج غينيا

أكبر جزر في العالم

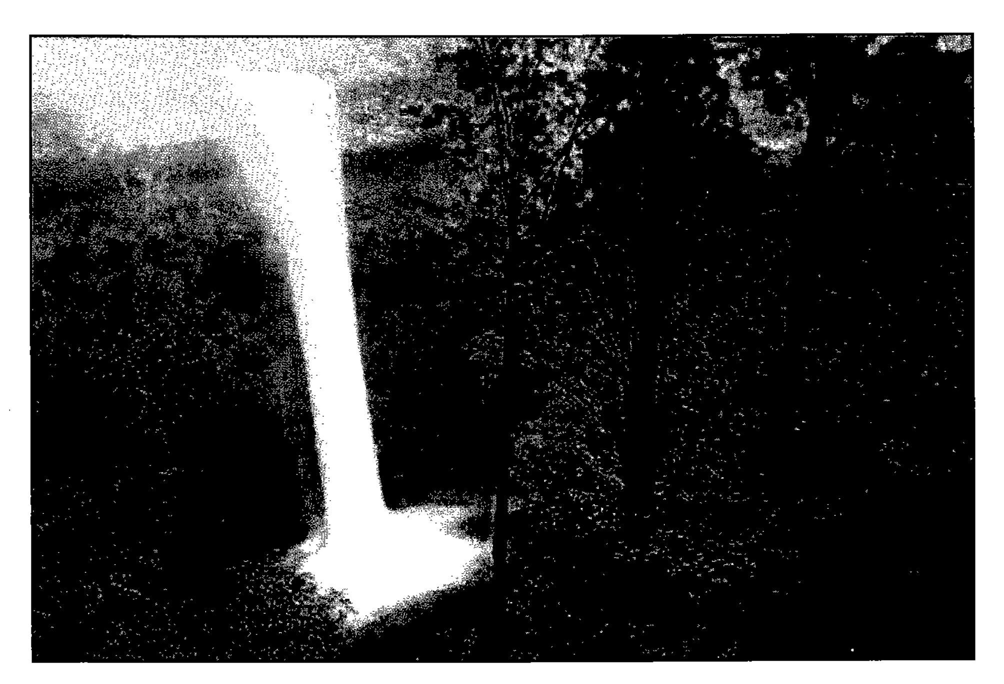
اسم الجزيرة	المحيط	المساحة (كم٢)
غرينلاند	الأطلسي	٢١٧٥٦٠٠
غينيا الجديدة	الهادئ	٧٧١٩٠٠
بورنيو	الهادئ	٧٣٧٠١٨
أرض بافن	الأطلسي	٦١١٠٠٠
مدغشقر	الهندي	٥٩٥٧٩٠
سومطرة	الهندي ـ الهادئ	٤٢٥٠٠٠
هونشو	الهادئ	٢٣١٣٢٠
بريطانيا العظمى	الأطلسي	٢١٩٨٠٥

اسم الجزيرة	المحيط	المساحة (كم٢)
فيكتوريا	المتجمد الشمالي	٢٠٨٠٨٠
أرض أيليسمير	المتجمد الشمالي	٢٠٠٤٤٥
سيليب	الهادئ	١٨٩٠٣٥
زيلندا الجديدة (الجنوبية)	الهادئ	١٥٠٥٢٥
جاوا	الهندي ـ الهادئ	١٣٢١٧٤
زيلندا الجديدة (الجزيرة الشمالية)	الهادئ	١١٤٨٠٠
كوبا	الأطلسي	١١٤٥٢٤

أعلى الشلالات في العالم

اسم الشلال	اسم النهر	اسم الدولة	الارتفاع (م)
سالتودل انتجيل	كاروني	فنزويلا	٩٨٠
يوزيميت	يوزيميت كريك	الولايات المتحدة الأميركية	٧٤٠
أوتيغارد	أوتيغارد	النروج	٦١٠
سوثيرلاند	سورينغ كريك	زيلندا الجديدة	٥٧١
ثوجيلا	ثوجيلا	جمهورية جنوب أفريقيا	٥٤٠
روريما	أوربارو	غوايانا البريطانية	٤٥٧
كالامبو	كالامبو	تنزانيا	٤٢٧
غافارني	غافارني	فرنسا	٤٢١
كريملر	أش	النمسا	٣٨٠
شتوباخ	شتوباخ	سويسرا	٣٠٥
جييسباخ	جييسباخ	سويسرا	٣٠٠
كايتور	بوثارون	غويانا البريطانية	٢٦٦

اسم الشلال	اسم النهر	اسم الدولة	الارتفاع (م)
فيتي	موركيدولا	النروج	٢٦٠
جيراسابا	شارافاتي	الهند	٢٥٠
كاسكاثادل مارمور	فيلينو	إيطاليا	١٨٠
غوبرا	بارانا	البرازيل ـ باراغوي	١٧٧
فروا	ثوس	إيطاليا	١٦٠
فيكتوريا	زامبيز	زيمبابواي	١١٠
انيان	انيان	إيطاليا	١٠٨
نياغارا	نياغارا	كندا الولايات المتحدة الأميركية	٦٠



صورة لجزء من شلالات كالامو تنزانيا

أهم المواقع الاستراتيجية في العالم

المضائق والقنوات

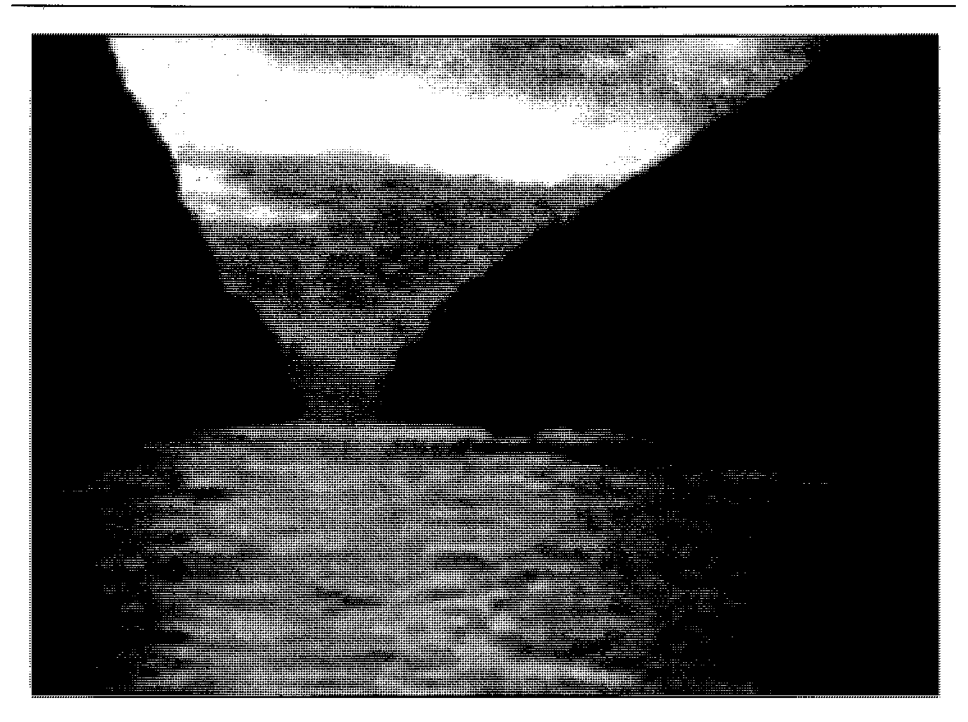
١ ـ **قناة السويس**: تصل بين البحر الأحمر والمتوسط. بدأ حفرها عام ١٨٥٩م. افتتحت عام. ١٨٦٩م. طولها ١٦١ كلم. عرضها ١٥٠م. عمقها ١٤م.

٢ ـ **خليج العقبة ومضيق تيران**: يبلغ خليج العقبة ١٦٠ كلم. أقل عرض له في أقصى الشمال يبلغ ثلاثة أميال، ويبلغ عرضه عند المدخل ١٤,٤كلم ـ تقسم جزيرة تيران مدخل خليج العقبة إلى مدخلين، يبلغ طول الجزيرة ١١,٢ كلم، وعرضها ٨ كلم.

٣ ـ **مضيق هرمز**: يصل بين خليج عدن والخليج العربي، يبلغ اتساعه ٤٨ كلم، وأضيق عرض ٢٣,٦كلم. يتراوح عمقه بين ٩ ـ ٥٠ قامة، تحمل ناقلات البترول التي تمر به نحو ١٩ مليون برميل من النفط إلى العالم.

٤ ـ **مضيق باب المندب**: يصل البحر الأحمر والمحيط الهندي. تقسمه جزيرة ميون إلى ممرين.
الممر الغربي: «ممر ميون» بين الشاطئ الغربي الأفريقي أي «أرتيريا وجيبوتي» وساحل جزيرة ميون: وطوله ١٦ كلم، وعرضه بين ١٧ ـ ٢٥,٦ كلم وعمقه ١٧٠ م.

٥ ـ **مضيق جبل طارق**: يصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي، ويفصل بين إسبانيا والمغرب. يبلغ الساحل الإفريقي نحو ٦٠ كلم والأوربي ٤٠ كلم من ناحية المحيط و ٢٠ كلم ناحية البحر. يتراوح عرضه بين ١٥ ـ ٢٥ كلم عمقه ٤٥٠م.



مضيق ملقا يفصل ما بين سومطرة وملايو

٦ ـ **قناة بنما**: تصل بين المحيط الهادئ والأطلنطي. حفرت ١٩٠٤ م. طولها ٨١,٦كلم. عرضها بين ٩٠ و ٣٠٠ م. عمقها ١٣م.

٧ ـ **مضيق ماجلان**: سمي باسم ماجلان الملاح البرتغالي. اكتشف عام ١٥٢٠م. وهو يقع في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية، عبره ماجلان في عام ١٥٢٠ م.

٨ ـ **مضيق بيرنغ**: يصل المحيط المتجمد الشمالي وبحر بيرنغ ويفصل بين آسيا وأمريكا الشمالية. يبلغ عرضه من أضيق نقطة ٨٥ كلم.

٩ ـ **مضيق ملقا**: يبلغ طوله ٨٠ كلم، وعرضه ٢٤ كلم. يفصل جزيرة سومطرة عن شبه جزيرة الملايو مضيق جوهور، ويبلغ عرضه ١,٢ كلم

١٠ ـ **مضيق المانش**: يصل بحر الشمال ببحر المانش، ويفصل بين فرنسا وانكلترا. عرضه ٣٢ كلم.

١١ ـ مضيق البوسفور والدردنيل:

مضيق البوسفور: يصل بحر مرمرة بالبحر الأسود. يبلغ طوله ٢٧ كلم وعرضه بين ١,٦ ـ ٣,٦ كلم، وعمقه بين ٢٦ و ١٢٢ م، وهو يفصل تركيا الأوروبية والآسيوية.

مضيق الدردنيل: يصل بين بحر مرمرة والبحر المتوسط. طوله ٢٨ كلم، وعمقه بين ٥٤ و ٩٠ متراً [١].

(١) موسوعة الكون والفضاء والأرض د. موريس أسعد شربل د. رشيد فرحات.

آيات الإعجاز العلمي
في عالم البحار



الفصل الخامس

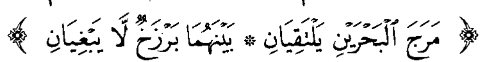
١ ـ البرزخ بين البحرين.
٢ ـ البرزخ والحجر المحجور بين البحار والأنهار.
٣ ـ ظلمات البحار.
٤ ـ البحر المسجور.
٥ ـ تسجير البحار.
٦ ـ تفجير البحار.
٧ ـ الحاجز بين البحار.



البرزخ بين البحرين

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم



[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

آيتان كريمتان من سورة الرحمن، هي أولى الآيات المعجزات التي أتحدث عنهما في هذا الكتاب إن شاء اللّه، وقبل أن أقوم بشرحهما لا بد أن أذكر علماءنا السابقين، الذين أجهدوا أنفسهم في البحث عن شرح مفصل، لكل آيات القرآن العلمية التي تتحدث عن الكون، وعن الأرض، وعن الجبال والبحار، وعن الإنسان والحيوان. وذلك وفاءً لما قدموه من علم كان لبنة قوية في صرح العلم الحديث.

وأهم من يجب أن أذكرهم علماء التفسير....... الطبري والزمخشري، والفخر الرازي، وابن كثير، وبكل إجلال وإكبار أذكر علماءنا البررة، الذين ظلّوا منارة للعلم والعلماء في أوروبا حتى أوائل القرن العشرين، وأخص بالذكر، **محمد بن موسى الخوارزمي، وعبد الملك الأصمعي، وابن اسحق الكندي، وابن سينا، والرازي، وأبو الحسن المسعودي**، الذين تكلموا في جغرافية الأرض، وتحدثوا عن مواقع البحار الأصلية، وزحف البحار شرقاً وغرباً خلال حقب كثيرة من عمر الكرة الأرضية.

ولقد أدلى علماؤنا السابقون تفاسير وآراء في آيات اللّه الكونية، كانت مدخلاً جيداً لتفسير العصر الحديث، الذي ملك أدوات صناعية راقية، ساعدتهم على الاكتشاف والاطلاع.............

ومع كل هذا: فإن البحر بقي مسلكاً غامضاً لكل العلماء السابقين والمحدثين إلى فترة قريبة جداً، غير البر اليابس، لأن اكتشاف مجاهل البر اليابس كان يعتمد على النظر المباشر في بداية العلوم، بعكس البحر، فإن اكتشاف البحر ومجاهله بالاعتماد على النظر المباشر لا يجعلنا نتعدى حدود سطح البحر، ولكن لـمّا تقدّم العلم مع نهايات القرن العشرين، استطاع

العلماء الدخول في مجاهل البحار بما لديهم من أدوات متطورة حديثة، واكتشفوا بعض أسرارها، ومن جملة ما اكتشفوه وعلموه:

هذا الاكتشاف البحري المذهل، الذي ساعدنا في معرفة سر هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الرحمن:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

وصدق الله حينما قال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٥٣]

وهذه الآية الكريمة تدخل ضمن وعد الله لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

والآيتان العظيمتان من سورة الرحمن يتكلم فيهما الله عن إعجاز خلقي أتمه الله بقدرته وعلمه، وهذا الإعجاز الإلَهي في هاتين الآيتين موجود منذ أن خلق الله الأرض، ولكن الله يخبرنا ويطلعنا على قدرته وعلمه الأزلي.

وقبل أن أدخل في تحليل الإعجاز العلمي لهاتين الآيتين وبيان قدرة الله فيهما. . . . . لابد لي أن أتناولهما من حيث المفردات، ثم أبدأ في بيان إعجازهما العلمي، الذي يجعلنا نسجد لله طاعة، وتقديراً لعلمه وقدرته.

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

مرج : ذهاب وإياب واضطراب لمياه أي بحرين متجاورين. وقال ابن عباس (مرج البحرين) «أي أرسلهما»

البحرين : وهما البحران المالحان المتجاوران. . . . مثلاً البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي.

يلتقيان : يتقاربان دون اصطدام أو احتكاك.

بينهما : ظرفية مكانية، أي المنطقة الفاصلة للقاء.

برزخ : حاجز من قدرة الله.

لا يبغيان : وهما البحران المالحان المتجاوران. . . . . فلا تستطيع مياه أحدهما أن تدخل مياه البحر الآخر، لوجود الحاجز «البرزخ» بأمر من الله.

(فبأي آلاء ربكما تكذبان): المعنى . . . فبأي البراهين والحجج تكذبون ربكم وتكفرون به، وهو الذي مرج البحرين، ووضع بينهما حاجزاً يمنع اختلاطهما.

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٢٢]

أي . . . . من البحرين المالحين يخرج لكم منهما معادن، وجواهر، كاللؤلؤ والمرجان، تستخدمونهما حلية وزينة.

هذه الآية الكريمة إحدى آيات اللّه المعجزات، وهي إشارة علمية ثابتة ومؤكدة، لم يتوسع القرآن في بيانها وإيضاحها . . . فقد اكتفى بالإشارة إليها، وترك أمر اكتشافها وبيانها لأجيال قادمة حددها اللّه بعلمه . . . . وذلك من خلال سين الاستقبال، بقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وليست هذه الآية فحسب، بل إن هناك علوماً وحقائق كثيرة، ذكرها القرآن الكريم، سواء في السماء، أو في الأرض، أو في البحر، لم يتوسع القرآن في شرحها وبيانها، في عصر يملؤه الجهل والتخلف العلمي . .

فإذا كانت فكرة التوحيد لاقت اعتراضاً في بداية الدعوة، وأبدوا استغرابهم لعبادة الواحد الأحد، قال تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٧٠]

فكيف يكون مصير أمور علمية دقيقة، كوجود البرزخ بين البحرين في هذه الآية الكريمة، وكيف يصل إليهم، أن الجبال أوتاد الأرض، حتى لا تميد بهم؟ فإنها ستلاقي اعتراضاً شديداً لعدة أسباب:

١ ـ لم يكن العقل يقبل نهائياً أية حقائق علمية.

٢ ـ الجهل المطلق في أية معلومة، حتى عن حبة الرمل التي كانوا يعيشون معها كل أوقاتهم.

٣ ـ إنهم كانوا يعاملون الأشياء التي بين أيديهم بإحساس مغلق عن الفهم.

٤ ـ إن قلوبهم غلف، وعقولهم عمياء عن فهم الحق، والبعد عن الباطل، إلا من هدى اللّه.

وهذا ما جرى لإسراء ومعراج رسول اللّه ﷺ، إذ رفضوا رفضاً قاطعاً قصة الإسراء والمعراج، وأن الرسول ﷺ أسري به إلى بيت المقدس، وعرج به إلى سدرة المنتهى في ليلة واحدة.. ذلك أنهم لا يعلمون عن قدرة اللّه أي شيء.

.... لذا ابتعد القرآن عن مخاطبتهم بما لا يمكن أن يفهموه، وما أوضح لهم كل آياته، بل ترك تفسير كثير من الآيات إلى أزمان يكون فيها الناس على استعداد لفهمها وقبولها... فهم كانوا يكذبون كل شيء يفهمونه، فما بالك بما لا يفهمونه، فقد كذبوه قبل أن يحيطوا به، لقوله تعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾

[سورة يونس، الآية: ٣٩]

إذاً جاء القرآن بالخطاب على قدر العقول، وترك الأمور العلمية والتي لها علاقة أيضاً بالعقيدة الإيمانية إلى زمن يكون العقل قد تفتح تماماً، وأصبح لديه الاستعداد لاستقبال القدرات التي هي فوق عقله ومستواه، ويتقبلها تقبلاً حسناً.....

وأول ما يجب أن أقوله في هذه الآية، أن اللّه قصد هنا بالبحرين، البحرين المالحين، وليس كما يعتقد بعضهم، أن هذه الآية تتكلم عن لقاء النهر العذب بالبحر، فهذا فهم خاطئ لسببين[1]:

الأول: أن اللّه قال بعد:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ قال: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾

واللؤلؤ والمرجان: لا يخرجان إلا من البحار المالحة، والضمير في قوله (منهما).. عائد على البحرين في الآية الأولى.

---

(١) راجع كتاب اللّه في الآفاق ـ الشيخ عبد المجيد الزنداني.

الثاني: أن اللَّه لما قصد الحديث عن التقاء البحرين المالح والعذب ذكر وفسر في آية أخرى من سورة الفرقان، وقال:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

فهذه الآية الكريمة تتحدث فعلاً عن التقاء البحرين العذب والمالح بوضوح تام ليس فيه لبس، وسيأتي بيانها وتفصيلها في الباب الثاني من الكتاب.

وكان واضحاً لكثير من علمائنا السابقين هذا الفرق بين الآيتين من سورة الفرقان، وسورة الرحمن.

ولم يكن تفسير هذه الآية بالنسبة لعلماء اللغة ومفسري القرآن الكريم يحمل صعوبة، لأن الكلام في الآية واضح، ولكن المشكلة بالنسبة لعلماء اللغة العربية ومفسري القرآن كانت بتحديد هذا الحاجز ولمسه مادياً، وكان هذا أمراً مستحيلاً. . . .

وهذه الآية الكريمة مختلفة عن آية البحر في سورة النور، التي يقول فيها اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٠]

فلم يستطيع علماؤنا السابقون رحمهم اللَّه بيان هذه الآية من سورة النور بشكل واضح، لا لغوياً ولا علمياً، لأنهم كانوا يعلمون حسب ما تراه أعينهم بوجود موج واحد على سطح البحر ولكن اللَّه هنا يقول:

﴿ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾ أي بوجود موجين أحدهما فوق الآخر في بحر واحد، وكيف يكون هذا؟. . . فقد ضيعت قلة العلم والمعرفة عليهم المعنى فتركوا تفسيرها إلى أجيال قادمة، وسيأتي بيان وتفصيل هذه الآية في الباب الثاني، وأعود إلى سورة الرحمن وآيتنا. . .

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

علماؤنا رحمة اللّه عليهم كما قلت حَيَّرَتْهُمْ كلمة البرزخ «الحاجز» بين البحرين، وهم لقوّة إيمانهم كانوا متأكدين بوجود هذا الحاجز، ولكن الكيفية التي هو عليها لم يتوصلوا إليها رغم كل محاولتهم بما لديهم من إمكانيات. فكانوا يأتون البحارة والتجار الذين يجوبون البلاد ذهاباً وإياباً ويسألونهم، هل وجدتم في نقطة التقاء أي بحرين مالحين حاجزاً يحجز بينهما؟ فيكون جوابهم ب «لا»، ثم يعودون إلى أنفسهم ويقولون يارب ما هذا الحاجز الذي وضعته بين البحرين أهو حاجز من الصخور، أم حاجز من الحديد، أم حاجز من الفولاذ، أم حاجز من قدرتك لا ندرك كنهه ونعلم صنعته.

وذهبوا إلى هناك إلى نقطة التقاء البحار ولكنهم لم يجدوا أي علامة تشير لوجود مثل هذا الحاجز، وكما قلت فيما سبق، إن تفسير الآيات العلمية يتم بتعاقب الأجيال، فكل آية لها زمن حدده اللّه للبيان والتأويل، لقوله تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

والسين للاستقبال، وهكذا دارت السنون وأتى أمر اللّه سبحانه في كشف سر هذا الحاجز بين البحرين، لتقر عيون مليارات المسلمين.

وقبل أن أدخل المدخل العلمي في تفسير قوله تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

لابد أن نطلع على بعض تفسير المفسرين السابقين حول تلك الآيتين

يقول الفخر الرازي في تفسيره:

سورة الرحمن / قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾

[الآية: ١٠١]

المسألة الأولى: مرج، إذا كان متعدياً كان بمعنى خلط أو ما يقرب منه فكيف قال تعالى ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ ولم يقل من ممروج؟ نقول مرج متعد ومرج بكسر الراء لازم فالمارج والمريج من مرج يمرج على وزن فرح يفرح، والأصل في فعل أن يكون غريزياً والأصل في الغريزي أن يكون لازماً، ويثبت له حكم الغريزي، وكذلك فعل في كثير من المواضع.

المسألة الثانية: في البحرين وجوه (أحدها) بحر السماء وبحر الأرض (ثانيها) البحر الحلو والبحر المالح كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو أصح وأظهر من الأول (ثالثها) ما ذكر في المشرقين وفي قوله (تكذبان) إنه إشارة إلى النوعين الحاصرين فدخل فيه بحر السماء وبحر الأرض والبحر العذب والبحر المالح، (رابعها) أنه تعالى خلق في الأرض بحاراً تحيط بها الأرض وببعض جزائرها يحيط الماء وخلق بحراً محيطاً بالأرض وعليه الأرض وأحاط به الهواء، كما قال به أصحاب علم الهيئة وورد به أخبار مشهورة، وهذه البحار التي في الأرض لها اتصال بالبحر المحيط، ثم إنهما لا يبغيان على الأرض ولا يطغيان بفضل اللّه تعالى لتكون الأرض بارزة يتخذها الإنسان مكاناً وعند النظر إلى أمر الأرض يحار الطبيعي ويتلجلج في الكلام، فإن عندهم موضع الأرض بطبعه أن يكون في المركز ويكون الماء محيطاً بجميع جوانبه، فإذا قيل لهم فكيف ظهرت الأرض من الماء ولم ترسب يقولون لا نجذاب البحار إلى بعض جوانبها، فإن قيل لماذا انجذب؟ فالذي يكون عنده قليل من العقل يرجع إلى الحق ويجعله بإرادة اللّه تعالى ومشيئته، والذي يكون عديم العقل يجعل سببه من الكواكب وأوضاعها واختلاف مقابلاتها، وينقطع في كل مقام مرة بعد أخرى.

المسألة الثالثة: إذا كان المرج بمعنى الخلط فما الفائدة في قوله تعالى ﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾؟ نقول قوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أي أرسل بعضهما في بعض وهما عند الإرسال بحيث يلتقيان أو من شأنهما الاختلاط والالتقاء ولكن اللّه تعالى منعهما في طبيعتهما، وعلى هذا يلتقيان حال من البحرين، ويحتمل أن يقال من محذوف تقديره تركهما فيها يلتقيان إلى الآن ولا يمتزجان (وعلى الأول) فالفائدة إظهار القدرة في النفع، فإنه إذا أرسل الماءين بعضهما على بعض وفي طبعهما بخلق اللّه وعادته السيلان والالتقاء ويمنعها البرزخ الذي هو قدرة اللّه أو بقدرة اللّه يكون أدل على القدرة مما إذا لم يكونا على حال يلتقيان، وفيه إشارة إلى مسألة حكمية وهي: أن الحكماء اتفقوا على أن الماء له حيز واحد بعضه ينجذب إلى بعض كأجزاء الزئبق غير أن عند الحكماء المحققين ذلك بإجراء اللّه تعالى ذلك عليه، وعند من يدعي الحكمة ولم يوفقه اللّه من المسلمين يقول ذلك له بطبعه، فقوله ﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ أي من شأنهما أن

يكون مكانهما واحداً، ثم أيهما بقي. سورة الرحمن / قوله تعالى:

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

في مكان متميز فذلك برهان القدرة والاختيار (وعلى الوجه الثاني) الفائدة في بيان القدرة أيضاً على المنع من الاختلاط، فإن الماءين إذا تلاقيا لا يمتزجان في الحال بل يبقيان زماناً يسيراً كالماء المسخن إذا غمس إناء مملوء منه في ماء بارد إن لم يمكث فيه زماناً لا يمتزج بالبارد، لكن إذا دام مجاورتهما فلا بد من الامتزاج فقال تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ خلاهما ذهاباً إلى أن يلتقيا ولا يمتزجان فذلك بقدرة اللَّه تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ إشارة إلى ما ذكرنا من منعه إياهما من الجريان على عادتهما، والبرزخ الحاجز وهو قدرة اللَّه تعالى في البعض وبقدرة اللَّه في الباقي، فإن البحرين قد يكون بينهما حاجز أرضي محسوس وقد لا يكون، وقوله ﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ فيه وجهان (أحدهما)من البغي أي لا يظلم أحدهما على الآخر بخلاف القول الطبيعي حيث يقول: الماءآن كلاهما جزء واحد، فقال: هما لا يبغيان ذلك (وثانيهما) أن يقال لا ينبغيان من البغي بمعنى الطلب أي لا يطلبان شيئاً ؛ وعلى هذا ففيه وجه آخر، وهو أن يقال إن ينبغيا لا مفعول له معين، بل وبيان أنهما لا يبغيان في ذاتهما ولا يطلبان شيئاً أصلاً، بخلاف ما يقول الطبيعي أنه يطلب الحركة والسكون في وضع عن وضع (١).

ويقول ابن كثير في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ قال ابن عباس: أي أرسلهما، وقوله ﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ قال ابن زيد: أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما، والمراد بقوله ﴿ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾: الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد اختار ابن جرير: أن المراد بالبحرين بحر السماء، وبحر الأرض، لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض، وهذا لا يساعد اللفظ، فإنه تعالى قد قال: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

---

(١) تفسير الفخر الرازي مفاتح الغيب الجزء ١٥ صفحة ١٠١

أي وجعل بينهما برزخاً وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر، وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخاً وحجراً محجوراً.[1]

كانت الدراسات البحرية من قبل العلماء وبالذات حول منطقة التقاء البحرين في كل بحار الأرض تتم تباعاً وبجهد مضن من كل دول العالم المتقدمة والحاصلة على صناعة التكنولوجيا، لأن عملية التقاء البحار كانت الشغل الشاغل لهم وتدور دراستها حول أمور متنوعة سواء اقتصادية أو مادية أو تتصل بتكنولوجيا الحرب ومعرفة حقائق البحار من نقاط عبورها والاستفادة من الحياة الموجودة داخل البحار لتحسين الأنواع الحيوانية والثروة السمكية الموجودة في البحار وإقامة مناطق حية للتجارب فكانت الدراسات تتم بما لديهم من أدوات، سفن وبدل غوص، وغواصات وتصوير سينمائي، ثم تطورت الصناعات، ومنها تطورت الغواصات فأصبحت على مستوى راق جداً بالتكنولوجيا العالية المستوى والكاميرات التصويرية الدقيقة جداً وقبل التحديد المطلق بوجود حاجز يفصل ما بين البحرين، علم علماء البحار أن حياة كل بحر تختلف عن حياة غيره من البحار ثم تطورت دراستهم فوجدوا أن حياة البحار مختلفة عن بعضها وليست حصراً على بحرين متجاورين كالبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي[2] على سبيل المثال ثم توسعت وتعمقت دراستهم فعلموا بعد جهود مضنية أن شيئاً ما مختلفاً موجود بين أي بحرين مالحين وبما يشبه فاصلاً وحاجزاً تختلف فيه الحياة عن حياة البحرين المتجاورين، فوجدوا أن بعض الأنواع السمكية موجودة عند المنطقة الفاصلة بين البحرين. . البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي لم يجدوها تعيش في البحرين المتجاورين. ومن الطبيعي أن البدايات في أية دراسات لأي موضوع تكون صعبة للغاية وتبدأ وببطء شديد ثم تظهر الحقائق والأمور تباعاً.

اكتشاف حاجز له خصائص معينة وبالابتعاد على الدراسات الأرضية

---

(١) تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة ٤١٧

(٢) راجع الموسوعة الأمريكية (الهيئة العامة للكتاب).

كانت صعبة جداً لأنك تبقى في دراستك في مجال ومدى رؤية العين، فأنت حينما تكون غواصاً وتغوص في نقطة ما من البحر فإنك تدرس ما حولك ولمسافة ضيقة وحتى ولو كنت في غواصة فإن دراستك تبقى في حدود ما تراه العين وأنت في الغواصة.

ولكن الإرادة الإلّهية حينما أرادت كشف سر الحاجز المائي هيأت لهم الأدوات الراقية وهيأت لهم السفن الغواصة لكشف السر الحقيقي لهذه الآية الكريمة.

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

بداية الاكتشاف:

سفينة فضائية وهي واحدة من عشرات السفن التي تدرس جيولوجية الأرض كدراسة أرضية وبحرية. قامت بتصوير نقطة التقاء البحرين عند جبل طارق ما بين دولتي أسبانيا والمغرب العربي، وما بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وصورت أيضاً نقطة التقاء البحر الأحمر بالمحيط الهادي عند باب المندب بين اليمن وأثيوبيا.

وأرسلت الصور إلى الأرض، وقام بدراستها علماء مختصون بالبحار فوجدوا أن الصور تشير إشارة واضحة إلى وجود حاجز يقع ما بين البحرين فالصور تشير إلى شكل البحر الأبيض المتوسط واضح تماماً وله لون في الصورة مختلف تماماً عن شكل ولون المحيط الأطلسي وهذا معروف لدى علماء البحار، ولكن ما شد انتباههم رؤيتهم لشكل ولون آخر ظهر ما بين البحرين وظهر في الصورة المرسلة للبحرين المتجاورين وله عرض واضح بعد تحديد المسافات على الصورة المرسلة.

ومن قبل كانت الدراسات تشير إلى وجود بعض الاختلافات المائية في المنطقة الفاصلة بين البحرين وحياة سمكية مختلفة أيضاً، ولكنهم لم يكونوا جازمين في معرفته ولكن حينما أصبحت الصور الواضحة بين أيديهم من الفضاء أصبح الأمر مؤكداً، ويحتاج إلى دراسة جديدة للخروج بتقرير علمي صحيح مائة في المائة، وما ينطبق على نقطة البحرين المالحين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ينطبق على كل البحار في العالم، ومن الطبيعي

إرسال بعثات علمية مجهزة تجهيزاً كاملاً تكنولوجياً والكترونياً لدراسة مستفيضة لما لديهم من معلومات جديدة شبه مؤكدة، بعد التصوير الفضائي الذي تم من المراكب والسفن الفضائية، التي اعتبرتها الدول المتقدمة أحد أكبر منجزاتها العلمية، ولقد أكدت البعثة الألمانية البحرية التي جاءت إلى باب المندب لدراسة هذه الظاهرة العلمية أن وجود حاجز بين البحرين أصبح أمراً مؤكداً، وقالوا: نعم تم تصوير هذا الحاجز عن طريق السفن الفضائية، وهذا ما قاله أحد العلماء المسلمين في محاضرة له في جامعة الملك فيصل التي أولت هذه الدراسة أهمية كبرى، لما لها من علاقة عميقة جداً بالقرآن الكريم....



رسم توضيحي للبرزخ الذي يقع بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وهو بعرض ١٥ كيلو متراً وهذا البرزخ موجود عند نقطة التقاء أي بحرين على كوكب الأرض

قلنا: إن البعثات العلمية حضرت إلى نقطة التقاء البحرين وإحدى البعثات[١] استعانت بعالم البحار الكبير والمشهور عالمياً «كوستو» الذي يعد أكبر وأشهر عالم البحار على مستوى العالم، وأول ما فعلوا أنهم حددوا

(١) التي يرأسها العالم الأمريكي (رونا كلنت).

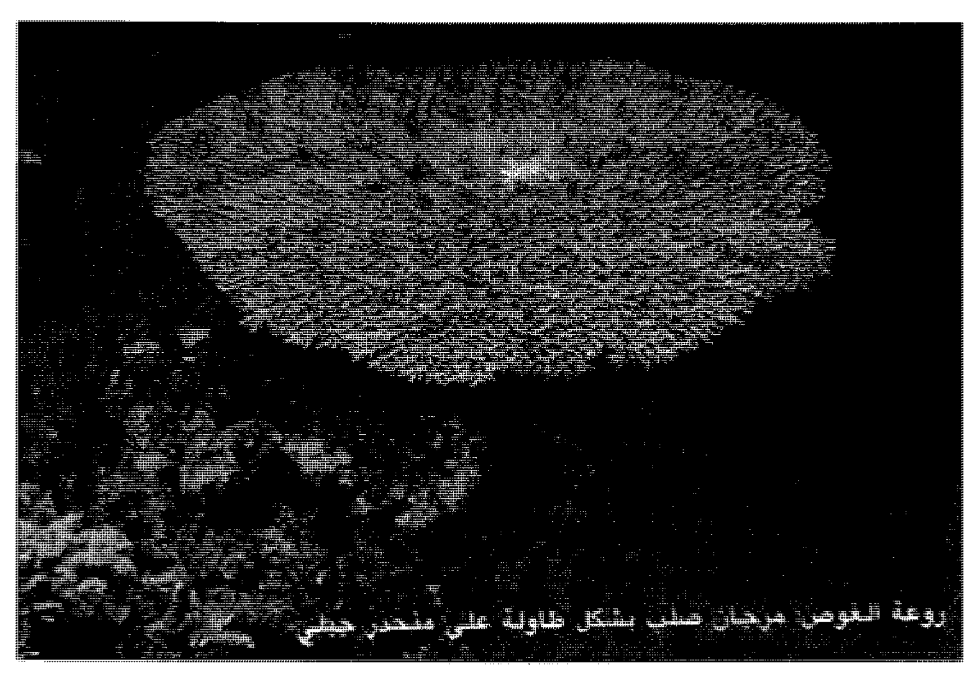
المنطقة الفاصلة ما بين البحرين على حسب الصور المرسلة من المراكب الفضائية وحسب المقاسات الأرضية، وجدوا أن عرض المنطقة الفاصلة بين البحرين خمسة عشر كيلو متراً «يا سبحان اللّه».

نعم وجدوا أن هذه المنطقة الفاصلة التي يبلغ عرضها خمسة عشر كيلو متراً: هي نوع ثالث من المياه لا هي من مياه البحر الأبيض المتوسط ولا هي من مياه المحيط الأطلسي ووجدوا أن حرارة المياه في المنطقة الفاصلة بين البحرين تختلف عن حرارة البحرين المتجاورين، ووجدوا أن الكثافة المائية أيضاً في هذه المنطقة مختلفة عن البحرين المتجاورين، وبالتحديد ثبت لديهم أن نسبة الأملاح والمعادن مختلفة أيضاً، وبالدراسة الميدانية وجدوا أيضاً أن هناك اختلافاً بين بعض الحيوانات المائية التي تعيش في المنطقة الفاصلة والحيوانات المائية التي تعيش في البحرين، ثم أحضروا عينات مياه من البحر الأبيض ومن المحيط الأطلسي ومن المنطقة الفاصلة وقاموا بخلطها فاختلطت، ولكن في البحر لا تختلط، أعادوا المحاولة مراراً فوجدوا أن الماء المستخرج كعينات للدراسة يختلط بعضه ببعض على ظهر السفينة، ولكن في البحر لا تختلط وأخيراً أقروا بوجود حاجز مائي من نوع ثالث من المياه يفصل، ويحجز ماء البحرين البحر الأبيض والمحيط الأطلسي، ويمنعهما من الاختلاط..... علماء البحار قالوا: ليس هناك من نظرية أو فرضية فيزيائية أو جيولوجية تمنع اختلاط المياه مع بعضها، وإن اختلفت نسب الكثافة والحرارة والملوحة.

إذاً العلم وعلماء البحار أقروا واعترفوا بأن هناك حاجزاً يفصل بين البحرين. وهذا الحاجز هو نوع ثالث من المياه تختلف بدرجة الحرارة والكثافة والملوحة والمعادن، وهذا ما أكدته كل الصور المرسلة من الفضاء وهذا الحاجز له القدرة والخواص التي تمنع أحد البحرين أن يختلط بالبحر الآخر وتحجزه حجزاً رغم أنهم لم يلمسوا قانوناً مائياً يمنع اختلاط المياه بعضها مع بعض [١].

---

(١) راجع كتابات الدكتور أحمد زكي.



مرجان وأسماك وحيوانات بحرية تعيش في البحر الأبيض المتوسط

إذاً هذا هو اللّه العلي القدير والقادر، المقتدر ليس لأمره قانون وليس لإرادته مانع، إنما قانون اللّه أنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس، الآية: ٨٢]

وحينما أراد اللّه سبحانه بقدرته وعلمه أن يعبر موسى وقومه البحر أَ لَمْ يفرق البحر فرقتين، كل فرق كالطود العظيم، ويجعل بين الفرقتين طريقاً سالكاً آمناً لموسى وقومه؟

فهل توجد نظرية علمية تستطيع أن توقف الماء على جنبه «سيفه» لمدة طويلة من الزمن. طبعاً لا يوجد، ولو اجتمعت لها البشرية كلها فلن تستطيع ذلك ولو لثوان معدودة، ولقد وجدوا أن الحياة في البحار تشبه حياة الشعوب على الأرض اليابسة، فكما أن لكل شعب حياته وعاداته وطباعه ولغته ولهجته ولونه، فإن لكل بحر حياته وحيواناته وأعشابه ومرجانه ومعادنه. وقد فصل اللّه الشعوب في الأرض عن بعضها وقال:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

[سورة الحجرات، الآية: ١٣]

وقال تعالى:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ ﴾

[سورة هود، الآية: ١١٨]

وإياك أن تظن أن اللّه خلقنا أمماً وشعوباً هكذا عبثاً فكل شيء عنده بقدر ووزن دقيق جداً، وما ينطبق على الأرض اليابسة وساكنيها ينطبق على البحار وساكنيها، فساكن البحار من شتى أنواع الحيوانات أمم أمثالنا أما عن الطريقة فاللّه أعلم بخلقه وما خلق وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٣٨]

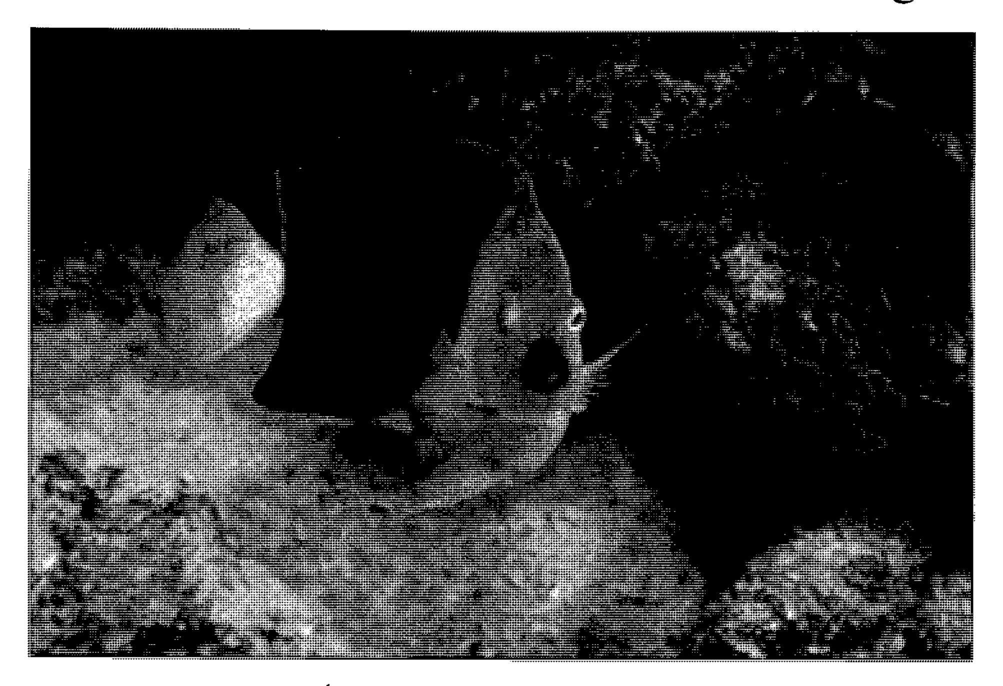
ولذا كان الفصل بين البحار بهذه الحواجز المائية المختلفة بخواصها الكاملة للمحافظة على بيئة كل بحر من البحار، وذلك من دقة الخلق وروعة الخالق. أياً ما كان السبب فالنهاية الأمر للّه في كل شيء، وفي خلق كل شيء وهو لنفع وخير ابن آدم على الأرض.

والآن وبعد أن علم العلماء، وعرفوا، وأقروا بوجود هذا الحاجز البرزخ فما تراهم فاعلين، فإن ما خلقه اللّه ووضعه لا تستطيع البشرية مهما أوتيت من علم وملكت من أسباب الوجود والحياة أن تغير من أمر هذا الحاجز ولا أن تفتح نفقاً تحت الحاجز لخلط ماء البحرين، لأنه موجود بأمر اللّه منذ أن خلق الأرض جبالها وبحارها، وإن كان هناك كثير من الأشياء ترك اللّه لنا أمر تبديلها وتغييرها بحدود معيشية معينة كإنبات بعض نباتات الصيف في الشتاء وتطعيم بعض الأشجار ببعض لتحسين الأنواع. . وصناعة بحيرات مائية صناعية، واستخدام الطاقة المتوفرة في الكون وتحويل بعض مجاري الأنهار وإقامة السدود وإعمار الأرض ومعرفة النفس وقدرة اللّه فيها.

أما ما هو في الكون. فهذا من أمر اللّه وحده فلا يد لأحد في بناء السماء ولا الأرض ولا البحار، فلو اجتمعت البشرية كلها وبعد أن تصل إلى

أرقى أنواع العلوم وتصل إلى تملك أسباب القوة والعلم، أن تصنع بحراً كالبحر الأبيض المتوسط بكل ما فيه من الحياة فلن تستطيع! فالإنسان ليس له في هذا الأمر شيء ولا يستطيع أن يفعل أي شيء من هذا القبيل، لأنه محكوم بقدرات يسيرة جداً خوله اللّه بتحريك تلك القدرات بما يتناسب ومعيشته في الحياة الدنيا، وأما الأمور الكونية المفروضة عليه التي خلقها اللّه قبل أن يخلقه، لا حول له فيها ولا قوة.

لقد ولد الإنسان بغير إرادته، وكبر وأصبح رجلاً بغير قدرته، وإذا به يرى الشمس ترسل له أشعتها ولا يد له فيها، ووجد القمر ينير له الأرض، ووجد النجوم في السماء تضيء وتبهج الليل المظلم، ووجد نفسه يعيش ضمن نظام مخلوق له مسبقاً لا يستطيع أن يؤثر فيه، أو يحركه عن موضعه، أحس بنفسه فجأة حينما شب وأدرك أنه لا يستطيع العيش من دون هواء ولا غذاء وأنه بحاجة إلى النوم وأن هناك أعضاء حسية لا علاقة له في حركتها، وأن أعضاء يجب أن يستعين بعقله ليحركها، فأحس فجأة أنه ضمن نظم لا يستطيع أن يحيد عنها قيد أنملة.



مرجان وحيوانات بحرية تعيش في المحيط الأطلسي

والآن ماذا في هذه الآية العظيمة من سر وإعجاز وقوة وعلم؟

قال تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

١ ـ إن القرآن الكريم أيد جميع المكتشفات العلمية في عالم البحار والتي جاء بها علماء البحار.

٢ ـ إن العلم وجميع المكتشفات التي تحدثت عن البحار وافقت صدق ما جاء به القرآن الكريم المعجز.

٣ ـ ما عرف عن البرزخ «الحاجز» هو: ما اكتشف في نهاية القرن العشرين واعتبرته الدول المكتشفة مفخرة اكتشافها وعلمها.... ولو كان معروفاً للأجيال السابقة لما اعتبره العلماء اكتشافاً جديداً......

٤ ـ هذا البرزخ «الحاجز» لا يستطيع رجل اكتشافه ولا حتى مجموعة إنما اشتركت به دول ووضعت له كل ما تملك من أسباب.

٥ ـ لقد أكد العلم أن وجود هذه الحواجز بين البحار ضروري جداً للحفاظ على بيئة كل بحر وحياته ولزيادة الأنواع. ولولا وجود هذه الحواجز لاختلطت المياه بعضها ببعض، ولأصبحت حياتها بما تحويه من حيوانات ومعادن ومرجان وأعشاب واحدة ولا فرق بين بحر وآخر.

٦ ـ صدق اللّه وعده حينما قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فقد أراهم اللّه آياته ومعجزاته وعلموا أنه حق وأنه إلّه واحد.

٧ ـ وصدق اللّه وعده للمؤمنين بقوله:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

٨ ـ علم البحار واكتشاف أسراره من أصعب العلوم ولولا أن استعدت له أمم بكاملها ووضعت له ما تملك لما عرف عن عالم البحار شيء... فكيف

أخبرنا سيدنا محمد ﷺ بسر وجود هذا الحاجز الذي يقع بين البحرين المالحين، وهو النبي الأمي وهو أبعد ما يكون عن جيولوجية الأرض جبالها وبحارها؟

٩ ـ إذاً من أين جاء سيدنا محمد ﷺ بهذا العلم وفي عصر لا أثر فيه لعلم أو حضارة؟.... نعم جاء بهذا العلم... من عند العليم الخبير ولم يكن سيدنا محمد ﷺ إلا الناقل الأمين لكلام اللّه عز وجل وصدق اللّه حينما قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

[سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤]

١٠ ـ هذه الاكتشافات العلمية والتي تؤكد وحدانية اللّه هي دلائل وحجج وبراهين على من لا يؤمن باللّه الواحد حين العرض والحساب عند اللّه القادر المقتدر.

١١ ـ هذه الآيات العظيمة وما تحمل من إشارات علمية يصعب على بشر صنعها وخلقها[١]، جعلها اللّه آيات إيمانية قوية ودلائل قدرة اللّه فمن لا يؤمن ولا يعود إلى الحق فلن ينفعه عناده حينما تأتي آيات اللّه الكبرى كالدخان ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وانشقاق السماء وذلك لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾

[سورة الرحمن، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

(١) في كتاب (حوار بين الحق والباطل) محاورة ومناقشة بين «عناية اللّه خان» وهو من علماء الهند في الطبيعة والرياضيات ـ وبين «جيمس جينز» العالم في الطبيعة والفلك ـ عن الكون والأرض والبحار والجبال وهي مطولة قال في آخرها السير «جيمس جينز».. لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة مني أن القرآن كتاب موحى به من عند اللّه قالها بعد أن أطلعه عناية اللّه خان على ما ذكره القرآن الكريم في علم السماء ونجومها والأرض وبحارها وجبالها منذ ألف وأربعمائة وخمسة عشر عاماً عندما كان الناس يعيشون قمة الجهل العلمي.



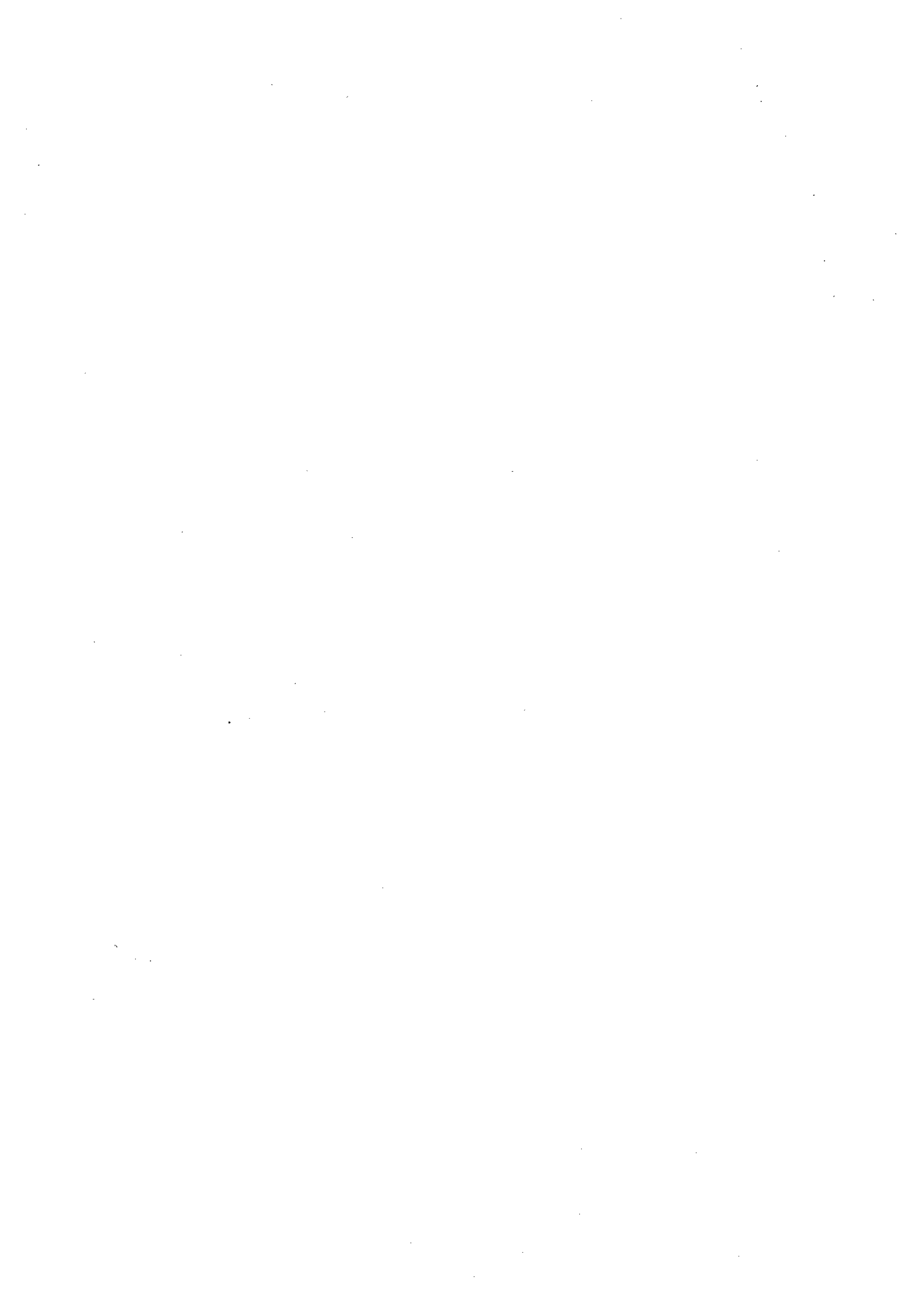
البرزخ والحِجر المحجور بين البحار والأنهار

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ صدق الله العظيم.

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

إن هذه الآية الكريمة من سورة الفرقان وما فيها من إعجاز علمي عظيم يفوق تصورات عقولنا وتنحني أمام جلالة العلم والحدث قدراتنا وتجعل عقولنا تسجد قبل أجسادنا. وتجعل قلوبنا تهتز تحت أثيرها وعيوننا تفيض بالدمع خشية ورهبة ونحن نقف أمام آيات الله المعجزات التي لم ينكر عظمتها حتى الجاحدون، وإنما ابتعدوا عنها وتناسوها خوف الوقوع في تأثيرها الرائع وسحرها الجذاب وإيقاعاتها الخلابة. إن كلمات الله في كتابه جعلت قلوبنا تئن من الشوق والحب لقائلها، ولم يعد الجسد ـ وبما يملك من إحساسات جياشة مرهفة يتحمل، فوقع في سجود المطمئن المحب والمطيع العابد، وهذه الآية من الإشارات العلمية الكثيرة التي أشار إليها القرآن الكريم وجعلت آلاف الباحثين والعلماء والمفسرين يتيهون فيها وبإعجازها فأسرت عقولهم وأتبعت أجسادهم وجعلت قلوبهم ندية خاشعة أمام كلام نزل من السماء يخاطبهم ويقرع أسماعهم فجعلت الذي يخشى الله يخر لذقنه طاعة وخشية من الله وتركت الذي في قلبه مرض يفر ويختفي ويحجب أذنه عن السماع وكأن فيها وقراً، حتى لا يصبح أسيراً أمام قدرة وعلم وعظمة لم يعهدها من قبل، وتحس في نفسك وأنت تقرأ القرآن أن كل آية من آياته علم قائم، وموضوع منفصل، وقضية عظمى وتشريع سماوي منزه، وقانون أبدي ورغبة إلٰهية ومعجزة خالدة، وآيتنا هذه من سورة الفرقان تحس أنها منفصلة عما قبلها وما بعدها وتشكل بمفردها علماً وموضوعاً وقانوناً ومعجزة... وهكذا القرآن كل آية فيه تشكل بحراً زاخراً بكنوزه وعجائبه ومعجزاته كلما أخذت منه ازدادت كنوزه ونفائسه ومعادنه الثمينة

وكل آية من آياته تعيش معها وكأنك في حضرة اللّه بمفردك تناجيه فيسمعك وتذكره فيذكرك وتدعوه فيجيبك.

إنها آية من آيات اللّه، وهي معجزة من معجزات صنعته، وخلقه، وهي قدرة وعلم من علمه، آية من مئات الآيات القرآنية المعجزات التي أيد فيها اللّه نبيه محمداً ﷺ هذا النبي الأمي الذي أعطاه بعض علمه وأيده تأييداً كاملاً.

هذه الآية العظيمة مختلفة تماماً عن آية اللّه في سورة الرحمن كما قال تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٢]

أما آيتنا في هذا الموضوع من سورة الفرقان:

قال تعالى:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾.

فما وجه الاختلاف بين الآيتين من سورتي الرحمن والفرقان:

١ ـ الأولى من سورة الرحمن قصد اللّه بها البحرين المالحين.

٢ ـ الثانية من سورة الفرقان قصد اللّه بها البحرين المالح والعذب.

٣ ـ الأولى من سورة الرحمن: أكد اللّه بعدها بقوله ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ والمعلوم أن المرجان واللؤلؤ لا يكونان إلا في البحر المالح.

٤ ـ نقطة الالتقاء بين البحرين في سورة الرحمن نقطة التقاء بين بحرين مالحين فجعل بينهما نوعاً ثالثاً من المياه تختلف في خواصها عن البحرين.

٥ ـ نقطة الالتقاء بين البحرين في سورة الفرقان هي نقطة لقاء بين بحر عذب وبحر مالح.

٦ ـ بين البحرين المالحين يوجد برزخ (حاجز) بقدرة اللّه من نوع ثالث من المياه.

٧ ـ بين البحرين العذب والأجاج يوجد برزخ وزاده اللّه بالحجر المحجور.. فيما مضى كان بعض علمائنا يسألون بعض الرحالة عن البحر المسجور من سورة الطور ولكنهم لم يسألوا عن هذه الآية أياً من الرحالة أو غيرهم لأن هذه لا ترى بالنظر العادي أو السطحي، وكأنهم كانوا يعلمون أن علم اللّه في هذه الآية يفوق أي تصور، وأكثر ما استطاعوا إليه سبيلاً في تقديم علومهم في شرح هذه الآية العظيمة أنهم شرحوها لغة جملة وتفصيلاً وأنّى لهم شرحاً أكثر من هذا، فإذا كان القرن العشرون مضى ولم يستطع العلماء الوصول إلى شيء إلا قبل نهايته بقليل على الرغم من كل هذه الآلات الجبارة والأدوات العظيمة. فكيف لعلمائنا البررة السابقين أن يعرفوا شيئاً عن هذا، ومع ذلك اعتبروها من آيات اللّه العلمية العظيمة.

.... وقبل أن ندخل المدخل العلمي لهذه الآية الكريمة، لنستمع إلى ما قاله علماؤنا السابقون حول هذه الآية الكريمة:

يقول الفخر الرازي في تفسير الآية:

وقوله (مرج البحرين) أي خلاهما وأرسلهما، يقال: مرجت الدابة إذا خليتها ترعى، وأصل المرج الإرسال والخلط، ومنه قوله تعالى (فهم في أمر مريج) سمى الماءين الكبيرين الواسعين بحرين. قال ابن عباس: مرج البحرين، أي أرسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل في المرج وهما يلتقيان، وقوله: (هذا عذب فرات) والمقصود من الفرات البليغ في العذوبة حتى يصير إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه، وأنه سبحانه بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج، وجعل من عظيم اقتداره برزخاً حائلاً من قدرته، وهٰهنا سؤالات:

السؤال الأول: ما معنى قوله ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾؟ (الجواب) هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها، وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز، كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً، كما قال

﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاه البغي كالتعوذ، وههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات (١).

السؤال الثاني: لا وجود للبحر العذب، فكيف ذكره اللّه تعالى ههنا؟ لا يقال: هذا مدفوع من وجهين (الأول) أن المراد منه الأودية العظام كالنيل وجيحون (الثاني) لعله جعل في البحار موضعاً يكون أحد جانبيه عذباً والآخر ملحاً، لأنا نقول: أما الأول فضعيف لأن هذه الأودية ليس فيها ملح، والبحار ليس فيها ماء عذب، فلم يحصل البتة موضع التعجب، وأما الثاني فضعيف لأن موضع الاستدلال لا بد وأن يكون معلوماً، فأما بمحض التجويز فلا يحسن الاستدلال، لأنا نقول المراد من البحر العذب هذه الأودية، ومن الأجاج البحار الكبار، وجعل بينهما برزخاً، أي حائلاً من الأرض، ووجه الاستدلال ههنا بيّن، لأن العذوبة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض أو الماء، فلا بد من الاستواء، وإن لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الأجسام بصفة خاصة معينة.

يقول الصابوني في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أي هو تعالى بقدرته خلى وأرسل البحرين متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ أي شديد العذوبة قاطع العطش من فرط عذوبته ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي بليغ الملوحة، مر شديد المرارة ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ أي جعل بينهما حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على الآخر ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ أي ومنعاً من وصول أثر أحدهما إلى الآخر وامتزاجه به. قال ابن كثير: معنى الآية أنه تعالى خلق الماءين: الحلو والمالح، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار، والمالح كالبحار الكبار التي لا تجري، وجعل بين العذب والمالح حاجزاً وهو اليابس من الأرض، ومانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر، وهذا اختيار ابن جرير. وقال الرازي: ووجه الاستدلال ههنا بيِّن لأن الحلاوة والملوحة إن كانت

(١) تفسير الفخر الرازي مجلد ١٢ صفحة ١٠

بسبب طبيعة الأرض أو الماء فلا بد من الاستواء، وإن لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد بصفة معينة. [١]

قال ابن كثير في تفسيره: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي خلق الماءين الحلو والملح، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار. قاله ابن جريج واختاره جرير، وهذا معنى لا شك فيه، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات، والله سبحانه وتعالى إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه، فالبحر العذب فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً أو عيوناً في كل أرض، بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي مالح، مر، زعاق لا يستساغ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب، البحر المحيط وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر، وما شاكلها وشابهها من البحار الساكنة التي لا تجري، وكم تموج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح، ومنها ما فيه مد وجزر، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض، فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الأولى، فأجرى الله سبحانه وتعالى ـ وهو ذو القدرة التامة العادة بذلك، فكل هذه البحار الساكنة التي خلقها الله سبحانه وتعالى مالحة، لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الوجود بذلك، ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان، ولما كان ماؤها ملحاً كان هواؤها صحيحاً وميتتها طيبة، قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر: **أنتوضأ به؟ فقال: هو طهور ماؤه، الحل ميتته)** وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا ﴾ أي بين العذب والمالح ﴿ بَرْزَخًا ﴾ أي حاجزاً وهو اليبس من الأرض ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ أي مانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر، كقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾، وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

---

(١) تفسير الصابوني صفحة ٩٣٢ من تفسير سورة الفرقان

(٢) تفسير ابن كثير مجلد ٢ صفحة ٦٣٥.

التفسير العلمي للآية الكريمة:

حين أراد اللّه سبحانه ومن خلال وعده الذي وعد عباده بقوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

هيأ للبشرية ما يساعدهم على هذا الاكتشاف فجهز لهم ما يستطيعون الاستفادة منه باختراع آلات وأدوات جديدة في معرفة علوم الكون والأرض، فخَزِينُ النفط الهائل الذي أنار الحضارة فألهمهم باختراع الطائرة والسفينة والغواصة وجهاز التصوير والكاميرات والفيديو والسفن الطائرة كي تكون آلات مساعدة مع عقل الإنسان في سبر أغوار الفضاء والبحار واكتشاف كل ما هو مجهول وضمن مشيئة اللّه التي حددها لعباده. . . .

لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

ولا بد لي قبل أن أدخل في إعجاز الآية الكريمة أن أقدم شرحاً مفصلاً لمعاني مفردات وكلمات الآية لكريمة ثم أدخل في بيان إعجازها وفق ما اكتشفوه بعلم البحار وبيان ما البرزخ وما الحجر المحجور:

وهو : أي اللّه.

الذي : اسم موصول والمراد به (اللّه).

مرج : ذهاب للمياه ورجوع واضطراب وقال ابن عباس (أرسل وخلى).

البحرين : إشارة إلى البحر المالح والبحر العذب.

هذا : إشارة إلى البحر الأول العذب.

عذب : أى ماؤه صالح للشرب.

فرات : زائد في العذوبة والطعم السائغ.

وهذا : إشارة إلى البحر المالح.

ملح : أي مياهه مالحة.

أجاج : زائد في الملوحة لدرجة عدم استطاعة تذوقها.

وجعل : خلق ووضع.

بينهما : أي بين البحر العذب والبحر المالح.

برزخاً : حاجزاً من قدرته وعلمه.

وحجراً : مكاناً.

محجوراً : مستوراً أي مكاناً مستوراً عن أى اختلاط.

وقد بينا فيما سبق معنى كلمة البرزخ وقلنا إن معناها اللغوي حاجز وفاصل من قدرة اللَّه ومن علمه.



رسم توضيحي لالتقاء النهر بالبحر حيث يتبين المصب
والحاجز وهذا الأمر ينطبق على جميع أنهار الكرة الأرضية عند التقائها بالبحار

وأن هذا البرزخ مخلوق وموجود بأمر اللَّه سبحانه وتعالى ليس في زمن نزول القرآن منذ ١٤٢٦ سنة، وإنما... منذ خلق اللَّه الأرض أو منذ أن استقرت الأرض على حالتها التي هي عليها الآن، إذاً كل ما يقوله العلماء لا يزال تقديراً فقط... فالبرزخ هو حاجز مائي من نوع ثالث يختلف في خواصه عن البحر العذب، وقد تمت دراسته عن طريق علماء البحار خلال فترة طويلة من الزمن ولم يتوصلوا إلى

وجود حاجز مائي من نوع ثالث بين البحر العذب أي النهر وبين البحر المالح إلا بعد جهود مضنية ودراسات كثيرة جداً، وكثير من علماء البحار قدموا دراسات مائية عن هذا الموضوع.. لأنه موضوع مهم بالنسبة لعلماء البحار. فلدراسة نقطة التقاء البحر العذب أي النهر بالبحر المالح أهمية كبرى تختلف تماماً عن دراسة نقطة التقاء البحرين المالحين في قوله تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

لأن دراسة التقاء الماء المالح بالماء العذب كانت صعبة للغاية ـ فقد كانت دراستهم تدور حول نقطة مهمة وهي:

هل يؤثر البحر المالح بالبحر العذب أو العكس؟ وما مدى تأثير المياه العذبة لمجرد اختلاطها بالمياه المالحة والعكس.

والسؤال الأكثر أهمية الذي ورد للعلماء ببداية بحثهم كيف بقي البحر العذب «النهر» ماء عذباً خلال ملايين السنين ولم يتأثر بالمياه المالحة رغم أنه لا بد من لقاء بينهما عند المصب؟!

والحقيقة أن أعظم الدراسات المائية التي تمت كانت دراسة مصبات الأنهار، والمعروف أن البحار أعظم وأكبر حجماً بكثير من الأنهار، لذا كان تقرير العلماء المبدئي أن مياه البحار المالحة يجب أن تبتلع مياه الأنهار العذبة لصغرها وحقارتها أمام عظمة مياه البحار والمحيطات.

سؤال محير ومسألة أدهشت علماء البحار في بداية دراستهم العلمية لمصبات الأنهار. هذه الدراسة أجريت كثيراً قبل التوصل إلى الأدوات الراقية التي تساعدها في البحث. وقبل اختراع الكاميرات التصويرية الدقيقة، وقبل اختراع الفيديو، وقبل اختراع الغواصات المائية، وقبل ظهور الأقمار الصناعية التي خصصت لدراسة الأرض بحرها وأرضها وجبالها، ولقد كانت الدراسات كثيرة ومضنية وطويلة ومجهدة، لأن السؤال الذي كان يفرض نفسه على العلماء لماذا لا

تختلط مياه البحر المالح بالعذب وهي الأقوى والأوسع؟ وتصبح مياه الأنهار مالحة أو تميل إلى الملوحة، لأنه حسب المعطيات العلمية والقوانين المائية يجب أن يختلطا... والأقوى يؤثر في الأضعف والكبير يجب أن يبتلع الصغير أي أن مياه البحار العذبة «الأنهار» لا يمكن أن تؤثر في مياه البحار المالحة لأنها الأصغر ولكن التأثير... يكون من الأكبر في الأصغر وعليه حسب القانون الفيزيائي والجيولوجي يجب أن تصبح مياه الأنهار مالحة على مدى ملايين الأعوام، ولكن لا نزال نشرب منها ماء عذباً وعذباً فراتاً أيضاً [١].

لا إلّه إلا اللّه الخالق القادر العليم الخبير بيده الأمر من قبل ومن بعد فاللّه وحده الذي يعلم لماذا بقيت مياه الأنهار عذبة خلال ملايين السنين واللّه وحده يعلم متى ستكتشف البشرية هذا السر الإلّهي الذي بقي مخفياً عن البشرية حتى عصرنا الحاضر... فالإنسان بما لديه من قدرات عقلية جعله اللّه مكتشفاً... ولكن لم يجعله خالقاً... الإنسان مخترع للآلة التي تعينه على الاكتشاف والاطلاع، ولكن الإنسان ليس بخالق هذه المادة التي تعينه على تصميم وصناعة الآلة....

واللّه قد أشار في كتبه إلى دقائق الأمور ودقة الصنع وروعة الخلق وتكلم في آياته عن قدرات تفوق قدرة البشر ولو اجتمعت كلها، ولقد صدق اللّه في كتابه إذ قال:

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٣]

وذلك لأنه اللّه الذي يعلم السر وأخفى، فهو الذي خلق السماوات والأرض ويعلم ما فيهما وما بينهما وما يلج فيهما وما يخرج منهما.

فإذا كانت الذرة الواحدة والتي لا ترى بالعين المجردة وأجزاؤها

(١) راجع المحاضرات العلمية في «إعجاز القرآن الكريم» جامعة الملك فيصل.

في علم اللّه وقدرته فأين نحن من هذه القدرة؟

وصدق اللّه حيث قال:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٨]

أي بما في القرآن من علوم وحقائق وتشريع وفقه ولغة وأدب.

وأعود إلى الآية الكريمة....

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾.

ويجب أن أوضح نقطه مهمة جداً ففي الآية التي تكلم اللّه فيها عن البحرين المالحين في سورة الرحمن: ذكر اللّه كلمة «يلتقيان».

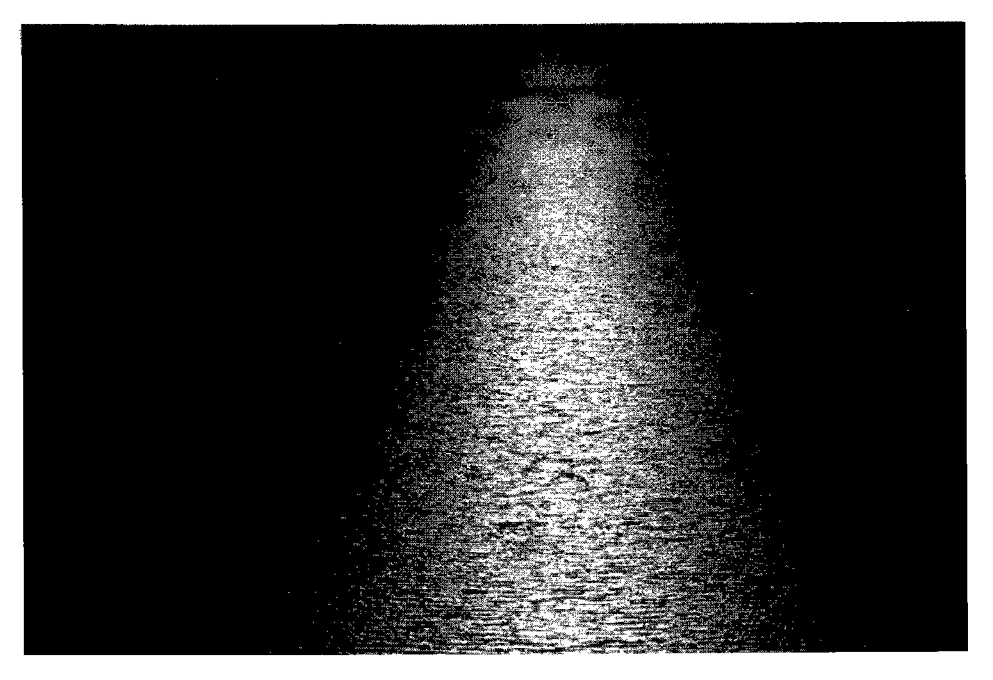
﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

نلاحظ أن في التقاء العذب الفرات بالمالح الأجاج لم يقل اللّه يلتقيان وفي التقاء البحرين المالحين قال ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ فلا ينبغي أن يتوهم أحد أن اللّه وضع «يلتقيان» في ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ولم يضعها في ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ لمجرد ناحية لغوية أو جمالية. إنما لم يقل يلتقيان في ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ لأن اللّه وضع ما بين البحرين المالح والعذب حاجزين: الأول: حاجز من نوع ثالث من المياه، والثاني: الحجر المحجور وهو مصب الأنهار، فإنهما لا يلتقيان لأن كلمة اللقاء لغة القرب الشديد، أقول التقيت وفلان أي أصبح ما بيني وبينه مسافة قريبة جداً، وهذا ينطبق على البحرين المالحين لأن الحاجز واحد. يا سبحان اللّه خلق فأبدع وقال في كتابه العزيز:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

[سورة النساء، الآية: ٨٢]



صورة التقطت من الجو. انظر كيف يشق النهر طريقه
عبر البحر دون أن تختلط مياهه بماء البحر قبل أن يصل إلى المصب

وهذا الحاجز موجود بعد المصب، يحجز مياه الأنهار أن تختلط بالمياه المالحة والعكس، وهذا هو السر الإلّهي، والقدرة الإلّهية العظيمة أنه جعل بين الماءين المالح والعذب حاجزاً، ولولا هذا الحاجز لأصبحت مياه الأنهار مع مرور ملايين السنين مالحة واستحالت الحياة على وجه الأرض، وربما مرت مئات الأعوام وآلافها والبشرية على الأرض لم يخطر ببالها حتى مجرد السؤال كيف استمرت مياه الأنهار عذبة رغم اختلاط جميع أنهار الأرض في مجراها الأخير بمياه البحار؟

ويرى العلماء في موضوع الحاجز بين النهر والبحر أن الحاجز هو نوع ثالث من المياه لا هو بالمالح ولا هو بالعذب، وعنده يتم تحويل المياه العذبة الداخلة إلى البحر إلى مياه مالحة عن طريق تحويله الحاجز، وأن الماء العذب عندما يصل إلى الحاجز يتحول من العذوبة إلى الماء الذي لا هو بالمالح ولا هو بالعذب والعكس أيضاً صحيح. هذه نظرية علمية أجريت عليها تجارب من قبل العلماء ووافق عليها الكثير ولكن بعض العلماء يرون

غير هذا حيث قالوا: إن مياه النهر عندما تصل إلى نقطة اللقاء مع البحر تصطدم بحاجز أفقي ورأسي، ومياه البحر أيضاً حين تصل إلى نقطة لقائها مع النهر فإنها تصطدم بحاجز قوي رأسي وأفقي يمنعها من الاحتكاك والتداخل مع المياه العذبة، ولاحظ بعض العلماء أن ماء النهر بعد أن يصل إلى مصبه ويصطدم بالحاجز الذي هو بعد المصب. . . ينحني ويعود ثانية إلى مجراه في النهر كما لاحظوا أن مياه البحر عندما تصل إلى منطقة الحاجز تنحني وتعود ثانية إلى البحر.

وقد سئل بعض علماء البحار القائلين بهذه النظرية لماذا تعود الأنهار ثانية إلى مجراها ولا تختلط بمياه البحر؟ فأجاب قائلاً: عشر سنوات ولا أجد جواباً على هذا السؤال، فعقب عليه أحد علماء المسلمين ذلك لأن الله سبحانه قال منذ ١٤٢٦ عاماً **(وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً)** (١)

ويفهم من جوابه أنه عجز عن فهم حقيقة عدم استطاعة مياه الأنهار الدخول في مياه البحار لأنه لم يلمس ما يمنع اختلاطهما، هذه نظرية قال بها بعض العلماء لأنهم وجدوا بعض تيارات المياه تنحني وتعود.

ولكن النظرية السائدة أن مياه الأنهار بعد أن تصل إلى مصبها تحاول الدخول في مياه البحار ولكنها تصدم بمياه الحاجز الذي هو نوع ثالث من المياه. . . وعنده يتم تحويل المياه العذبة إلى نفس نوعية مياه الحاجز.

فليس الخلاف على وجود الحاجز، فهذا أمر أقره جميع العلماء ولكن الخلاف أن بعض العلماء ـ كما قلت وجدوا أن تيارات المياه العذبة تنحني وتعود ثانية إلى مجراها بعد أن تصطدم بالحاجز الذي يمنعها من الاختلاط مع المياه المالحة التي تنحني وتعود، ومنهم من قال إن مياه النهر تدخل إلى مياه البحر وتظل تسير ولمسافة ربما تزيد على سبعين كم كلسان مائي يخرق مياه البحر وتبقى مياه النهر محافظة على عذوبتها ولا تختلط مع مياه البحر. . وهذا ما يكون من نهر الأمازون لغزارة مياهه فهو الأغزر بين أنهار العالم.

---

(١) أجرى هذه المحاورة الدكتور عبد المجيد الزنداني مع علماء بيئة وجيولوجيا ألمان وأمريكان.

هذا عن الحاجز، وماذا الآن عن الحجر المحجور؟ ولماذا لم يكتف الله بالحاجز فقط وما مهمة الحجر المحجور؟

وأول ما نقول: إن الله سبحانه وهو الخالق العليم ما خلق شيئاً باطلاً وما خلق شيئاً ليس له ضرورة ولزوم فكل شيء خلقه بقدر.

فإذا قلنا إن الحاجز ـ الذي هو البرزخ بين البحرين العذب الفرات والمالح الأجاج ضروري حتى لا تختلط المياه العذبة بالمالحة وتستحيل الحياة على الأرض. ولكن ما فائدة وجود حاجز بين بحرين مالحين في قوله من سورة الرحمن.

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ وهما بحران مالحان فإن الإجابة عن هذا التساؤل أن الله ما خلق شيئاً في الدنيا كلها سمائها وأرضها وبحارها ليس مفيداً، بل له مجال علمي من قدرته، وقد وصلنا إلى بعضها ونصل الآن بما هيأ الله لنا بإرادته إلى بعضها الآخر، ولكن هناك أشياء تقوم الساعة ولا نصل إلى جواب لها ذلك أن الله سبحانه قال:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فالروح في الجسد لا نراها ولا نحس بها ولا نعلم عنها شيئاً ولكن الذي نعلمه أنه لا حياة بدون روح.

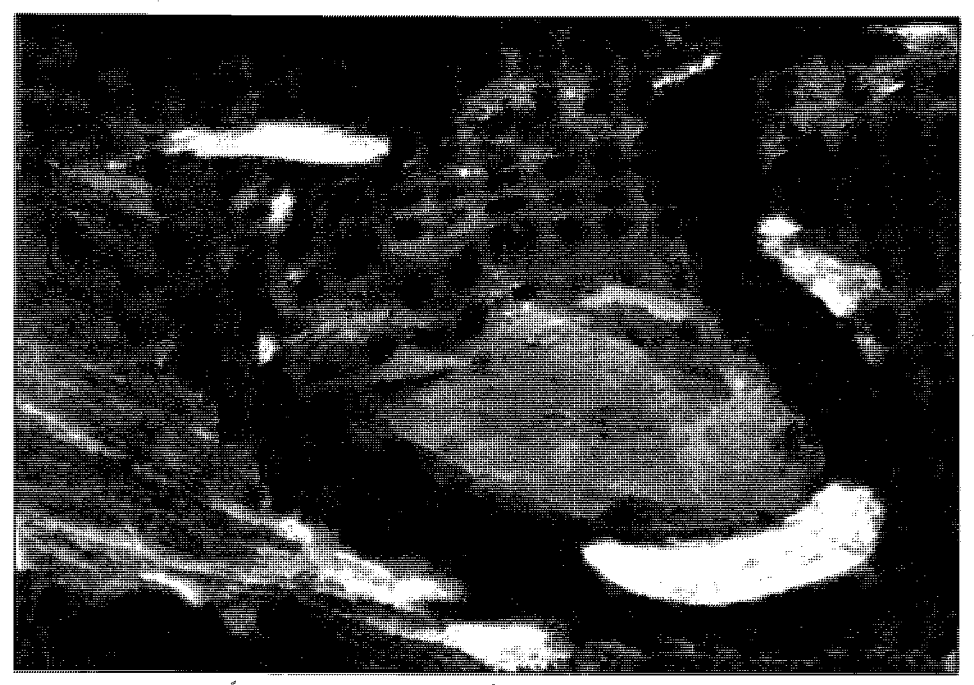
وهذا ينطبق على الحاجز الذي وضعه بين البحرين المالحين وربما لا نعلم سر وجوده مطلقاً وقد نصل إلى سر وجوده كاملاً في يوم من الأيام إذا أراد الله سبحانه، ولكن ما يخاطبنا به العلم الآن عن سرعة وجود الحاجز بين البحرين المالحين أن البحار قسمت أوطاناً وشعوباً كما قسمت اليابسة أوطاناً وشعوباً، وفي النهاية فإن أوطان وشعوب اليابسة تؤلف مجتمعاً إنسانياً واحداً. . . وهكذا البحار في النهاية تؤلف بحراً عاماً هائلاً احتوى على أجزاء لكل جزء منه أسراره الخاصة وطريقته في الحياة، وربما هذا لزيادة التنوع في كل شيء في الحيوانات المائية وفي الأعشاب وفي درجة الحرارة والملوحة والكثافة والمعادن والأحجار الكريمة فجعل الله في كل بحر أسراراً وحياة فنوَّع بقدرته الأنواع، وكلنا يعلم أن كثيراً من الحيوانات موجودة في بحر

وغير موجودة في بحر آخر، واللؤلؤ والمرجان والأعشاب والأسماك موجودة في بحر وغير موجودة في بحر آخر.

تنوُّع رباني حافظ اللّه سبحانه عليه بوجود الحواجز بين البحار... تماماً كما ينطبق على البشر ينطبق على عامة المخلوقات لقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

[سورة الحجرات، الآية: ١٣]



صورة التقطت من الفضاء. انظر إلى الأنهار كيف تشق طريقها جميعاً نحو البحر

وأعود إلى الحجر وهو مكان تنزل به مياه الأنهار فحجرها اللّه عن البحر وجعلها شيئاً منفصلاً تماماً عن البحر أي مكاناً معزولاً تماماً عن البحر معزولاً تماماً عن مجرى الأنهار يتسع ويضيق حسب قوة اندفاع مياه النهر، وسمي علمياً بمصب النهر أو مصبات الأنهار.

والمحجور: أي محجور على حياة أسماك خاصة لا تعيش في مياه البحار ولا تعيش في مياه الأنهار فهي محجورة في منطقة مصب الأنهار هذا

الحجر أو منطقة (مصب الأنهار) هي المنطقة الفاصلة أيضاً بين نهاية مجرى النهر والحاجز الذي وضعه اللّه خلف الحجر المحجور الذي يفصل بين مياه النهر والبحر.

وقد استعملت كلمة الحجر استعمالاً مادياً لكثير من الأشياء وسمي مكان عزل بعض المرضى المصابين لمرض خطير «الحجر الصحي» أي العزل الصحي. . . . ولذا فإن الحجر تعني (العزل) أو المنطقة المعزولة وأقول: حجرته في منطقة كذا أي عزلته في منطقة كذا. . .

إذاً: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

البرزخ: هو الحاجز

الحجر: هو مكان مصبات الأنهار

المحجور: أي المكان المعزول والمخصوص على حياة أنواع سمكية وحيوانية خاصة بمنطقة مصبات الأنهار.

يـا سبحان اللّه

هذا علم موجود منذ ملايين السنين، وموجود قبل أن يخلق أبونا آدم وقبل أن يخلق سيدنا محمد ﷺ هذا بعلم اللّه.

وهنا سؤالان ضروريان. . . يجب على كل ملحد أن يسألهما نفسه:

١ ـ أنه بالرغم من كل هذا العلم الجبار وكل هذه الأدوات المعينة في البحث لا يزال هناك خلاف بين بعض العلماء ليس عن الحاجز والحجر فهذا أمر فرغ العلماء منه وأقروه إقراراً كاملاً لا شك فيه ولا لبس، ولكن الخلاف قائم بأن تيارات الماء العذب تعود ثانية إلى الأنهار لوجود الحاجز والحجر، وأن الماء يحوّل عند الحاجز إلى نفس نوعية مياه الحاجز ثم يحوّل بعدها إلى مياه مالحة.

وكيف عرف بوجود الحاجز والحجر المحجور سيدنا محمد ﷺ وهو الرجل الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب. . . . فإذا كان العلماء بعلمهم وأدواتهم استغرقوا ردحاً من الزمن حتى اكتشفوا هذا الأمر فهل يعقل أو يصدق أحد أن أمياً يخبرك عن أعقد المشكلات العلمية ويحددها بزمن لا علم فيه ولا

أدوات ولا معرفة ولم يسبقه أحد من العالمين إليه، فالعقل يخاطبنا خطاباً أميناً أن هذا من عند العليم الخبير الخالق الذي يعلم سرائر الأمور كلها منذ أن خلقها اللّه سبحانه.

٢ ـ هل جاء سيدنا محمد ﷺ منطقة الحجر المحجور، منطقة مصبات الأنهار، وأجرى دراسات على أنواع الحيوانات المائية، ووجد أن حياة الأسماك عند منطقة الحجر المحجور «مصبات الأنهار» تختلف عن الأسماك التي تعيش في النهر وعن الأسماك التي تعيش في البحر؟!

وهل كان يملك مختبراً علمياً لمعرفة أنواع الأسماك ويحدد ويعرف الأنواع التي تعيش في الحجر المحجور.؟؟

والحقيقة أن علماء البحار ومعظمهم فرنسيون وألمان وأمريكان أولوا أهمية كبرى لدراسة هاتين النقطتين المهمتين في عالم البحار اللتين ذكرهما القرآن الكريم، وهم بدراستهم لا يقصدون ولا يعملون من أجل القرآن الكريم ولا يعلمون شيئاً عن القرآن أصلاً وليس لهم علاقة به، إنما جاءت دراسة هاتين النقطتين لما لهما من أهمية بالنسبة لحياتهم ومعيشتهم ولما تقدمه هذه الدراسات من فائدة عظيمة لبلادهم وحتى يضيفوا لعلومهم نظريات حديثة تستفيد منها أجيالهم وشعوبهم،ولكن نحن المسلمين الذين طال انتظارنا لنعرف حقيقة الآيات العلمية التي ذكرها اللّه سبحانه في القرآن تابعنا معهم ما بحثوا وما درسوا، لأننا نحن المؤمنين ومن خلال الآية القرآنية ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

نعلم أن المكتشف لآيات اللّه هم الذين لا يؤمنون به وهي مقصودة من اللّه كي تكون عليهم حجة بالغة أمام اللّه يوم القيامة، فلقد أراهم من آياته ومعجزاته وخلقه، ومع ذلك ظلوا أو ظل أكثرهم على شركهم وعدم إيمانهم باللّه الواحد الأحد، وأما نحن فإننا مؤمنون اكتشفنا أم لم نكتشف، فما قولك بعشرات الأجيال الذين من قبلنا هل خلعوا عنهم ثوب الإيمان باللّه الواحد الصمد، لأن تلك الآيات لم

يكونوا يعرفوا عنها شيئاً، ولم يكتشفوا إعجازها كما اكتشفنا نحن جيل القرن العشرين.[١]

فالحجج والبراهين وضعها اللّه للناس منذ خلق آدم عليه السلام وفي كل جيل يبعث اللّه لهم رسلاً مؤيدين من اللّه بكل الحجج والبراهين التي تثبت وحدانية اللّه سبحانه.

والحديث في هذا يطول، نذكر منه تأييد اللّه لموسى بالآيات العظيمة:

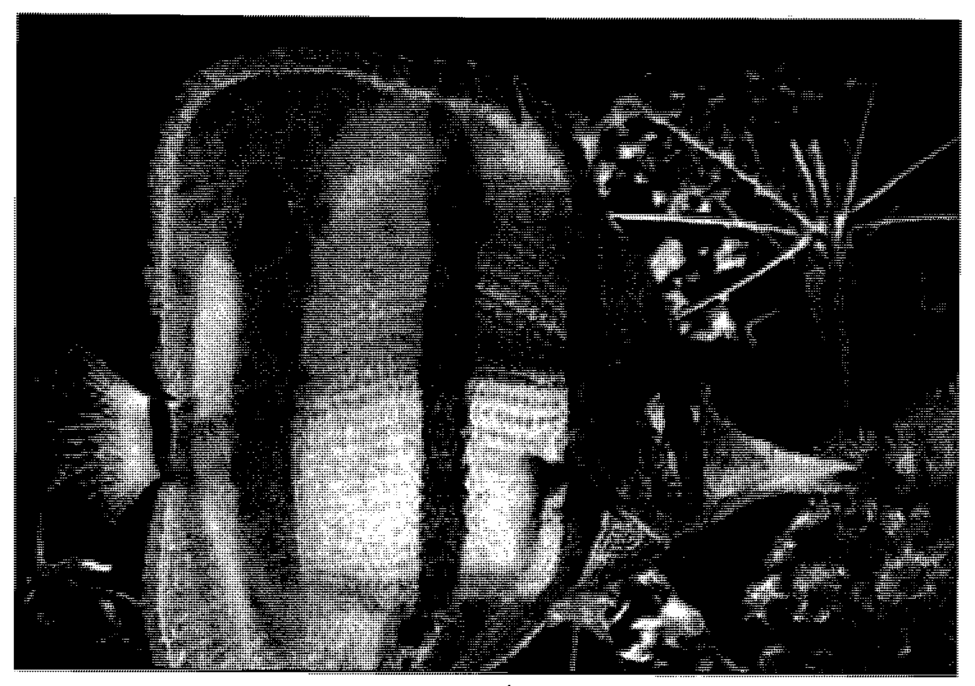
كفَرْقِ البحرِ فِرْقَتَين حينما عبر موسى وقومه البحر وأغرق فرعون وجنوده، وآيات ومعجزات سيدنا عيسى، وآيات سيدنا محمد ﷺ وأما جيلنا هذا الذي انقطع عنه الأنبياء فقد ترك اللّه بين يديه كل الإمكانيات ليرى قدرة اللّه بنفسه في كونه وأرضه وبحره وكأن هذا الزمن ليس بحاجة إلى أنبياء، فهم لم يعودوا في حاجة إلى معجزات الأنبياء، أليس لديهم علم الكون كله، وقد علموا قدرة اللّه فيه، وعلموا أن هذا الكوكب الذي نعيش فيه ليس إلا واحداً من آلاف البلايين من المليارات من النجوم والكواكب التي تسبح في الفضاء، وقد علموا أنه لا يمكن أن يكون خالق هذا الكون الهائل **(الذي لا يمكن أن تستوعبه عقولهم)** إلا إلّهاً واحداً أحداً لا شريك له ولا ولد، إنهم علموا وإن لم يعلموا فسيعلمون، ومن علم ولم يعمل بما علم فإن حسابه عند اللّه عظيم.

...... وأعود إلى البرزخ والحجر المحجور، فإن ما يبعث في النفس اليقين والإيمان أن نذكر التحليل العقلي فلو أن محمداً رجلٌ عادي غير مرسل لاكتفى بأن يقول بهذه الآية الكريمة من سورة الفرقان ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ دون أن يذكر الحجر المحجور أسوة بالآية القرآنية في سورة الرحمن ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ التي لم يكن فيها بين البحرين سوى البرزخ، ولم يكن فيها حجر محجور، فكيف اكتفى في آية سورة الرحمن «بالبرزخ» وزاد عليها في آية سورة الفرقان الحجر المحجور؟

---

(١) ومن أهم العلماء العالم الكبير «دودلي فوستر» الذي أولى دراسة التقاء البحر بالنهر أهمية كبرى بالإضافة لدراسته للشقوق والأخاديد في قاع المحيطات والبحار.

فمِن أين جاء سيدنا محمد ﷺ بهذا العلم الدقيق، والدقيق جداً وهو النبي الأمي؟ فأساتذة الأكاديميات العلمية البحرية بما لديهم من مختبرات تعمل على الكمبيوتر لا يزالون في دراسات مستمرة وربما لا تنتهي لمنطقة مصبات الأنهار، والحواجز البحرية، والنهرية، فالمنطق والعقل والفكر كله ينصب على أن القائل هو اللّه، وأن محمداً ﷺ، ناقل لكلام اللّه، وما جعل اللّه محمداً أمياً إلا ليكون كل ما يأتي به مرهوناً بأميته وإثباتاً لكونه من عند اللّه سبحانه، وأول ما قهر المشركين فصاحة وبيان القرآن العظيم، والناقل أمي، فأنىَّ لأمي بأسلوب كهذا، فهو بلسان العرب جميعاً، ومع ذلك جعلهم يهيمون إجلالاً وتقديراً لهذا الأسلوب الرائع ولكنهم أصروا على معاندتهم ومكابرتهم لمصالحهم وزعاماتهم الدنيوية.



وللحجر المحجور أسماكه وحيواناته الخاصة

* **فالنهر في هذه الآية الكريمة** حينما يصل إلى مصبه عند نقطة لقائه بالبحر المالح يكوّن من غزارة مياهه بحيرة (مصباً) تكبر وتصغر حسب غزارة

النهر، يلفها من جميع جوانبها البرزخ المائي الفاصل للبحر عن النهر.

* **فمياه نهر الأمازون مثلاً** تصنع مصباً لها يزيد عن مائة كيلو متراً لغزارته القوية جداً، أما مياه النيل فلا تصنع مصباً (حجراً محجوراً) يزيد في طوله كثيراً.

* **وما ينطبق على نقطة التقاء البحر** المالح والبحر العذب في رأس البر (نهر النيل والبحر الأبيض المتوسط) ينطبق على كل أنهار العالم التي تلتقي بالبحار.

* **وأي دراسة تمت على نقطة التقاء نهر وبحر** في قارات العالم الست وجدوا أن النتيجة واحدة ليس من فرق ألبتة.

* **لقد تم تصوير جميع مصبات الأنهار في العالم** (الحجر المحجور) عن طريق السفن الفضائية وهي التي أعطت الدراسات دفعاً قوياً جباراً واختصرت الزمن الدراسي ووجدوا أن جميع البحار ينطبق عليها قانون واحد هو قانون (الحجر المحجور).

* **أثبت العلم أنه لولا** وجود هذه الحواجز من قدرة اللّه بين البحار العذبة والمالحة لاستحالت الحياة على الأرض.

* **لقد سئل عالم البحار الكبير كوستو** عن الحاجز بين البحرين وعن الحجر المحجور.. فقال نعم لقد تم تصوير هذا وتوضيحه عن طريق السفن الفضائية.

* **ولقد سئلت بعثة ألمانية** عند باب المندب عن الحاجز بين البحرين فأجاب أحد العلماء نعم هذا صحيح وقد تم معرفته عن طريق التصوير من مراكب فضائية.

* **لقد جعل اللّه الحاجز** بين النهر والبحر بعد الحجر المحجور «المصب» لتتم عملية التحويل بعيداً عن النهر وحتى لا تتأثر المياة العذبة بأي تأثير ألبته (**سبحان اللّه!!**).

* **من أين جاءت هذه الأسماك** المحجورة على حياة هذا الحجر المحجور «المصب» دون غيرها من أسماك النهر والبحر ومن الذي يمنع دخولها وخروجها؟.

* **من الذي منع حيوانات البحر** أن تمر عبر الحاجز وتدخل منطقة المصب أو تدخل الحاجز «البرزخ» الموجود بقدرة الله.
* **من قسم هذه الأنواع الثلاثة** من المياه: الحجر المحجور «المصب»، ومياه البرزخ الحاجز، ومياه البحر؟ وأعطاها الأمر بعدم الاختلاط؟.
* **هب أن الطبيعة استطاعت** أن تفعل المستحيل وهيأت لبحر واحد ونهر واحد هذه الأوصاف؟، فمَن قام بعملية وضع الحواجز بين كل بحار الأرض، والحواجز والحجر المحجور بين أنهار الكرة الأرضية وبحارها؟ هل أتت مصادفة أم لابد من صانع يصنع وخالق يخلق؟.
* **قف عند نقطة التقاء بحر بنهر** فإنك لا تجد شيئاً وتظن أن الماء واحد، ولكن الله هو الواحد، كفانا التعب والبناء للحواجز فبناها بقدرته دون أن نعلم عنها شيئاً.
* **لقد ناقش بعض علمائنا في جامعة الملك فيصل** بالمملكة العربية السعودية علماء البحار الذين استضافوهم وناقشوا معهم علم البحر وذكروا لهم ما جاء به القرآن الكريم فمنهم من كان مستغرباً ومنهم من لم يقتنع بما يقولون، ومنهم من فغر فاه مندهشاً ومنهم من أعجبه القول آمن أو لم يؤمن.
* **علماء البحار من شتى أنحاء العالم** علموا بحقيقة وجود برزخ وحجر محجور، أي حاجز ومصب بين النهر والبحر وعلمهم هذا اكتشاف فقط لا يغير من الواقع شيئاً فلا هم يستطيعون فتح ثغرة لاختلاط النهر بالبحر ولا يستطيعون إلغاء المصب ولا يستطيعون تضييق مجرى الأنهار ولا هم بفاعلين أي شيء مع الحاجز الموجود بعلم الله منذ أوجد الله الأرض، فهم علموا فقط والقرآن علمنا منذ ١٤٢٦ سنة.
* **نحن وهم مشتركون في المعرفة**، وليس بيد أحد أن يغير من أمر البحار شيئاً، فالله هو الأول والآخر وبيده الأمر من قبل ومن بعد والله أعلم.
* وصدق الله حينما قال ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

ملاحظة:

يوجد في كلام علماء التفسير ما يفهم منه أنه لم يكونوا يفرقون بين الثلاث الآيات التالية: بسم الله الرحمن الرحيم،

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٩٣]

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٦١]

فيرون أن البحرين في المواضع الثلاثة هما البحر المالح والبحر العذب، وقد أجابوا عن قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ مع كون ذلك يخرج من البحر المالح وحده بأن المراد من مجموعهما فيكفي خروجه من أحدهما، كما قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾، والرسل إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن **(انظر ابن كثير في تفسير آية الرحمن ١٩ وفتح القدير للشوكاني في تفسير نفس الآية)** وأما عذب فرات وهذا ملح أجاج في إحدى الآيات دون باقيها فذلك لأن القرآن قد يفصل في موضع ما، ويجمله في موضع آخر.

تعقيب: إن تفسير الآيات العلمية يتم بتعاقب الأجيال وما خفي عن هذا الجيل من تفسير علمي لبعض آيات القرآن الكريم سيراها الجيل الذي يأتي بعدنا، بما تتوفر لديه من وسائل علمية جديدة.

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٥٣]

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]



ظلمات البحار

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٠]



ظلمات البحار

آية معجزة من آيات اللّه من سورة النور تصف في مشهد رائع جزءاً من أجزاء البحار الواسعة العميقة.

آية معجزة تعيش معها بعمق سحري مدهش في داخل البحر بل وفي أعماقه العميقة وعند مجاهله ومتاهاته التي لا تصلها يد إنسان إلا بجهد كبير، آية فيها تشبيه تمثيلي وربط فني مذهل ودقة في الوصف وروعة في الكلمات وانسياب لفظي رائع يصف أدق وأخطر مناطق البحر اللجي العميق. وهي مقارنة بين حال الكفار الذين يعيشون في ظلم وظلمات وبين حال هذا البحر اللجي الذي هو عبارة عن ظلمات بعضها فوق بعض.

واللّه أعلم بكل شيء سواء علمه بالنفوس وعلمه بالأشياء كلها التي خلقها ويقدم تحقيقاً عن حال الكفار الذين يعيشون في ظلمات وجهل تتراكم بعضها فوق بعض على أنفسهم الميتة، وصور تلك الظلمات التي يعيشها الكفار بمشهد مادي حسي ملموس وهو ظلمات البحر اللجي التي تكون من تراكمها بعضها فوق بعض ظلام دامس لا تستطيع العين أن تميز شيئاً يقترب منها لشدة حلكة السواد والظلمة.

وهذه الآية المعجزة العظيمة تجمع ما بين اللغة السلسة الجميلة والمعنى الواضح ودقة الألفاظ والمعاني، وأخيراً هذه الآية هي تقرير علمي رائع ووصف حي لمنطقة من البحر لم تصلها يد إلا في أواخر القرن العشرين وبعد أن ملكت هذه اليد ما يساعدها في الوصول إلى هذه المنطقة المخفية في وسط وأعماق البحار من أدوات وآلات وغواصات وملابس خاصة للغوص [١]. ولا

(١) ومن أول المكتشفين لحقيقة البحر اللجي المظلم العالمان ـ وليام بيب وأورنيس بارثون ـ لقد كان البحر العميق الذي اكتشفه العالمان مظلماً فعمق الماء يحجب أشعة الشمس حيث تتلاشى أولاً الأشعة الحمراء ثم تتبعها الخضراء تاركة أشعة زرقاء معتمة فقط وبعد عمق ٥٠٠ م يصبح البحر معتماً ولون الأسماك قاتماً فهي سوداء وأرجوانية قاتمة=

بد لنا من تقديم شرح مفصل لمعاني الآية القرآنية كلمة كلمة. قبل أن ندخل في عمق الآية ونقدم أحدث النظريات العلمية المكتشفة في مجال شرح هذه الآية العظيمة التي هي دليل قاطع على أن كل ما ذكر في القرآن الكريم فهو صحيح لم يستطيع العلم إلا أن يسجد إجلالاً وإكباراً لقائل هذه الآيات العظيمة في كتابه الجليل الكريم:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾

صدق اللّه العظيم

[سورة النور، الآية: ٤٠]

أو : حرف عطف.

كظلمات : الكاف للتشبيه ظلمات شدة السواد المعتم الحالك وهنا تشبيه للظلمات التي يعيش فيها الكافرون بظلمات البحر.

في بحر : المقصود بالبحر هنا البحر المالح الممتد الأطراف.

لجي : عميق وهذا لا يكون إلا في أواسط البحار.

يغشاه : يعلوه.

موج : ومعنى موج هو الحركة الدائمة لمياه البحار التي منشؤها التيارات الهوائية والمائية بالبحار وهو الموج الأول في الأعماق.

من فوقه : من أعلاه.

موج : موج آخر والمقصود بالموج الثاني هو الموج الذي على سطح البحار والتي تراه العين المجردة بخلاف الموج الذي يغشى ويعلو البحر الأول من الداخل وسيأتي تفصيله.

= وبنية أو شفافة وتوجد فقط عينات قليلة من الجمبري الأحمر الصغير. راجع كتاب المعرفة «البحار والمحيطات» للناشر تراد كيم سويرا جنيف ص ١٨ بالهيئة العامة للكتاب.

من فوقه سحاب: أي فوق الثاني الذي هو على السطح والسحاب هو الغيوم التي تنزل المطر.

ظلمات بعضها فوق بعض: وهنا كناية عن شدة الظلمات الحالكة السواد وكأنك في ليل أبدي سرمدي انكدرت نجومه.

إذا أخرج يده لم يكد يراها: أي أن الذي يقف عند هذه الظلمات في ذلك البحر اللجي وأخرج يده ليراها فإنه لا يراها، وهذا أيضاً كناية في التعبير عن شدة الظلمة الحالكة السواد. وقبل الدخول في الإعجاز العلمي لهذه الآية الكريمة لنستمع إلى قول المفسرين ثم نعمد بعدها إلى التفصيل العلمي وبيان الإعجاز الإلهي.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ قال قتادة ﴿ لُّجِّىٍّ ﴾ لهو عميق ﴿ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ * مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ * ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده، ولا يدري أين يذهب، بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب؟ قال: معهم. قال: أين يذهبون؟ قال: لا أدري. وقال ابن عباس رضي اللّه عنه ﴿ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ﴾ يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر، وهي كقوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾ الآية. وكقوله ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ الآية. فالكافر يتقلب إلى النار في خمسة من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات[١].

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير هذه الآية الكريمة:

أو أعمال الكفار تشبه الظلمات المتراكمة في بحر عميق، يغطيه موج، وفوقه موج آخر، وفوق الموج الأعلى غيم كثيف، ظلمات ثلاث أو أربع: ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الثاني، وظلمة السحاب،

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٢ صفحة ٦١١ تفسير سورة النور

وظلمة الليل وهي تشبه ظلمة الجهل، والحيرة، والرين، والختم والطبع على قلب الكافر، إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات، لم يكد يراها، وهي أقرب شيء إليه، ومن لم يجعل الله له هداية في قلبه، لم يهتد، أي من لم يوفقه لأسباب الهداية لم يكن مهتدياً. وهذه الظلمات على قلب الكافر ضد الأنوار في قلب المؤمن في الآية السابقة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ [١].

---

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٣٥٦ تفسير سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٠]

اللَّه سبحانه وتعالى يصف البحر اللجي وصف الخالق والصانع الذي خلق بيده وصنع بيده، وكيف أن هذا البحر اللجي يعلوه موج من فوقه موج، أي أن هناك في ظاهر الآية القرآنية موجين يعلو أحدهما الآخر، وكل البشرية تعلم أنه لا يوجد في البحار إلا موج واحد. لقد تعب المفسرون رحمهم اللَّه وأجهدوا إجهاداً كبيراً في تفسير هذه الآية القرآنية ولكنهم لم يصلوا إلى شيء «راجع القرطبي الجزء ١٢ ص ٢٨٤» والحقيقة أن هذه الآية من الصعب شرحها وتفسير كلماتها لأنه أحياناً إن لم تكن لك فكرة عامة عن الموضوع فلا تستطيع أن تفصل وتشرح الآيات، وكذلك إن لم تكن لديك فكرة عن معاني المفردات أو بعضها في آية فإنك لا تستطيع أن تصل إلى المعنى الكلي العام.

ففي هذه الآية حقيقة علمية رائعة، الوصول إليها أمر مستحيل بما لديهم سابقاً من معلومات عن البحار، وكثير من الآيات القرآنية التي نزلت على سيدنا محمد ﷺ كان من الصعب عليهم تأويلها، فكانت مرهونة بالتأويل أو الشرح أو التفصيل لزمن يحدده اللَّه بعلمه وقدرته، ومن الآيات القرآنية ما ظهر تأويله على المدى القريب من زمن سيدنا محمد ﷺ ومنها ما ظهر في زمن تلاه ومنها ما يظهر الآن وكثير سيبقى حتى يوم القيامة لقوله تعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾

[سورة يونس، الآية: ٣٩]

ولذا فإن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما نزلت الآية القرآنية: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٤٥]

لم يعرف تأويلها وبيانها، ولما كان يوم بدر سمع عمر رسول الله ﷺ يقول وهو يثب على رمحه (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فقال ساعتها: الآن عرفت تأويلها، فهناك كثير من الآيات القرآنية وربما تكون غير علمية لم تكن معروفة لديهم أو كان تأويلها مباشرة أمراً صعباً بالنسبة إليهم.

وأعود إلى الآية القرآنية الكريمة فاللَّه سبحانه وتعالى يصف لنا بحراً لجياً عميقاً ويقول: هذا البحر اللجي يغشاه أي يعلوه موج، فهذا وصف وإن لم نره فإننا على الأقل نستطيع فهمه. ولكن لما قال اللَّه سبحانه من فوقه موج، أي من فوق الموج الأول موج ثان. تعقدت المشكلة بالنسبة للمفسرين وعجزوا عن المتابعة وتفصيل وشرح حتى المعنى. لأنه هنا نكون دخلنا في باب علم الذي يرى الأشياء ولا نراها نحن.

فاللَّه سبحانه ساعة نزول هذه الآية القرآنية يعلم بعلمه لأنه الخالق أنه يوجد فعلاً موجان في بحر واحد يعلو أحدهما الآخر، ولكن لم يأذن اللَّه في معرفة الآية، وتفسيرها بعد، لأن اللَّه بعلمه يعلم متى تكتشف البشرية سر هذه الآية وحينما يهيئ لهم بإرادته ما يستطيعون به أن يكتشفوا ويعرفوا.

المفسرون القدامى رحمهم اللَّه حينما وقفوا أمام آية اللَّه في البحر

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

وحاولوا شرحها وتفصيلها، واللغة ساعدتهم على الأقل في بيان المعنى المراد، ولكنهم وقفوا عند كلمة (البرزخ) وهي لغة معروفة لديهم ومعناها الحاجز ولكنهم لم يتوصلوا حسياً ومادياً لمعرفة حقيقة

هذا البرزخ الحاجز واستطاعوا على الأقل إفهامنا المعنى المراد والمطلوب دون تحقيق علمي سليم ملموس لديهم. وأما الآية الكريمة من سورة النور: قال تعالى:

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٠]

لم يستطيعوا بيانها ولا شرحها بدقة لأن المعنى العلمي كان أقوى من شرح الكلمات لغة. وإن كانوا يعلمون أن كلمة يغشاه «يعلوه» ولكنهم ما استطاعوا شرحها فكيف يعلو موج موجاً آخر وهم لا يعلمون عن حقيقة تلك الظاهرة هذه شيئاً، فكل الناس يرون موجاً واحداً على سطح البحر.

لذلك كانت الآيات العلمية في القرآن الكريم تتعاقبها الأجيال في الشرح والبيان، لأن كل جيل يختلف عن الجيل الذي قبله بالدراية والفهم وفق ما لديه من معطيات حضارية جديدة مختلفة عما لدى الجيل السابق، وأما الآيات الفقهية والتشريعية فربما ظهر تفسيرها في جيل واحد على عدة أوجه لاختلاف ودراية الأشخاص أنفسهم في الجيل الواحد.

فقد نلاحظ أن آية تشريعية أو فقهية واحدة يختلف في تفسيرها في آن واحد عالمان كل واحد منهم يدلي برأيه حسب درايته وعلمه وما تعلّمه وما فهمه من علمه، وذلك بعكس الآيات العلمية لأنه في أصل الآيات العلمية الموضوع غير مفهوم للتفسير الكامل، لذا نجد اختلافاً في شرح الآيات العلمية أو بيانها من جيل إلى جيل ومن حقبة إلى حقبة وفق الاكتشافات، فالآيات القرآنية التي نحن بصدد بيانها من سورة النور ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٠]

تعاقب على شرحها وبيانها الأجيال ومع ذلك لم يصلوا إلى شرح مفصل واقعي حقيقي لها. وأما جيلنا هذا، جيل القرن العشرين وجيل أوائل القرن الواحد والعشرين، فقد تهيأت له أسباب عظيمة في

اكتشاف أمور علمية طال انتظارها بالنسبة لعلمائنا البررة الذين لم يملوا، ولم يكلوا سعياً وراء المعرفة والاكتشاف.(١)



رسم توضيحي للبحر اللجي. ويظهر في الصورة الموج الأول في الأعماق والموج الثاني على سطح البحر كما يظهر البحر اللجي والذي لا يعيش في أعماقه إلا حيوانات عمياء

(١) لقد نجح فريق الغواصين المؤلف من ديفيد دوبلتيس واشرجال وهوارد روز تشين في الدخول في أعماق البحر اللجي غرب المحيط الهندي وقد كانوا على ظهر السفينة «كنوز» ذات التجهيزات العلمية الراقية ولقد وجدوا أسراب السمك والحيوانات المائية في صفوف منتظمة تهيم فوق الموج الأول للبحر اللجي وهى تحاول الدخول في أعماقه ولكنها لا تستطيع ووجدوا أن حياة البحر اللجي مختلفة عن حياة البحر السطحي فأسماكها بلا أبصار ووجدوا حمماً وأخاديد وشقوقاً بركانية في قاع هذا البحر المظلم. راجع مجلة «العلم» العدد ٢٢٩ التي تصدرها أكاديمية البحث العلمي جمهورية مصر العربية.

وأما ما توصل إليه العلم من فترة وحتى الآن بخصوص هذه الآية القرآنية أنه في كل بحر مناطق يكون فيها البحر عميقاً ولجياً أي مياهه تزيد في ارتفاعها عن القاع ١٠٠٠م أي حوالي كيلو متر واحد وقد يصل إلى ١٠٠٠٠ متر ويزيد وهذه المنطقة هي التي وصفها القرآن بهذه الآية وكل منطقة أخرى من البحر فلا علاقة بهذه الآية بها وأول المكتشفين لهذه المنطقة العميقة من البحر يقولون: إنهم كانوا البحارة الإسكندنافيين واعتبروها مفخرة لهم وتباهوا بهذا الاكتشاف. **إذاً البحر اللجي عميق** ويزيد عمقه عن ألف متر إلى عشرة آلاف متر ويزيد، ويقول العلماء: إنه في هذا البحر العميق وعلى عمق ٢٠٠ م إلى ٥٠٠م يوجد موج داخلي وكأنك على سطح البحر تماماً، وهذا كان الاكتشاف الأول **وقد وجد هذا الموج واكتشفه البحارة القدامى الاسكندنافيون** وتتابعت الاكتشافات العلمية والدراسات البرية والبحرية والكونية وطبعاً إحدى هذه الأولويات العلمية هي دراسة البحار على جميع المستويات.

وإحدى هذه المستويات في الدراسة كانت دراسة تلك المنطقة البحرية العميقة. وبعد دراستها دراسة مستفيضة بما هيأ الله لهم من غواصات تستطيع أن تسبر أعماق البحار دون خوف ولا وجل، لأنها محمية من جميع الأخطار التي من الممكن التعرض لها. وهذه الغواصات أصبحت على درجة عالية جداً من التكنولوجيا الراقية الحديثة باختراع كاميرات التصوير التلفزيونية وكاميرات الفيديو ذات العدسات الدقيقة جداً.

هذه الغواصات اقتحمت تلك المناطق العميقة كثيراً وهذا ليس مقصوراً على دولة دون دولة، فمياه البحار كلها ما عدا شواطئ البلاد، دولية وليست إقليمية، فكان البحث متاحاً لأي دولة وفي أي مكان، وفعلاً اتضح لهم أن البحر العميق والذي ذكره القرآن بلفظ «اللجي» ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ موجود في أسفل البحر يفصله الموج الأول عن البحر السطحي.

بمعنى أن البحر العميق قُسِّمَ قسمين سطحي وسفلي ويفصل البحر الأول السفلي عن البحر العلوي «السطحي» موج كمثل هذا السطحي الذي نراه بأم أعيننا كما هو موضح بالشكل. ووجدوا أن البحر اللجي العميق

السفلي المفصول عن البحر السطحي بموج يختلف عن البحر السطحي أو العلوي في كل شيء.

. . . في الحرارة، وفي الكثافة، وفي نسبة الأملاح، وفي الحيوانات المائية بحران منفصلان، ما يعيش في البحر العلوي الذي له سطح نراه بأعيننا المجردة يختلف تماماً عما يعيش في البحر العميق اللجي، فحيوانات هذا غير حيوانات ذاك ومن فصائل مختلفة تماماً عنها، فأي إنسان عادي أو حتى مجموعة من الناس لا يمكن أن يخطر ببالهم مجرد خاطر أن هناك بحرين منفصلين في بحر واحد، ولا يمكن أن نصدق أن هذا السطح من البحر الذي نراه أن تحته وعلى عمق ٢٠٠ إلى ٥٠٠ م يوجد بحر آخر لا علاقة له ببحر السطح المرئي للعين.

ولذا فعلاً تعب علماؤنا الأولون جداً في تفسير آية البحر هذه من سورة النور فلم تكن عقولهم تدرك الحقيقة العلمية التي ظهرت هذه الأيام كيف يكون هناك بحران؟. أحدهما فوق الآخر ولكل واحد منهما خصائص معينة تختلف عن الأخرى، والحقيقة أننا نعطيهم العذر في عدم التوصل إلى شرح مفصل مكتمل لهذه الآية، فإذا كنا نحن أهل القرن العشرين لا نزال لا نتقبل هذه الحقيقة العلمية رغم أننا رأينا وسمعنا وفهمنا وعلمنا كل الحقائق.

والمهم في الآية القرآنية أن اللَّه يشبّه ظلمة البحر هذه الكثيفة بظلمات يعيشها الكفار، فكيف تم هذا التشبيه الإلٓهي؟ ومن أين أتت أولاً هذه الظلمات الكثيفة لهذا البحر الذي شبّهه اللَّه سبحانه بالظلمات المتراكمة فوق بعضها بظلمات الكفر؟.

يقول العلماء: إن الناظر للكرة الأرضية من فوق أي الناظر لها من الطائرة أو من مركبة فضائية **يجد أن السحاب يغطي معظم البحر** سواء في الصيف أو في الشتاء ولا توجد منطقة تستطيع أن تنظر إليها في الكرة الأرضية إلا في المناطق اليابسة، وماذا يعني هذا؟ يعني لو أن طائرة تطير فوق سطح البحر اللجي ومن فوق السحاب وأنت فيها فإنك ترى شمساً ساطعة ونوراً واضحاً ولنفرض **أن** هذه الطائرة أرادت الطيران من تحت السحاب بين السحاب وسطح البحر فماذا ترى؟ ترى نفسك فجأة وقد أصبحت في منطقة

مظلمة ظلاماً خفيفاً وقد ضاع النور الذي كنت تراه وأنت تطير فوق السحاب، يعنى هذا أن المنطقة التي تقع بين السحاب والموج السطحي للبحر مظلمة قليلاً لعدم استطاعة الشمس الدخول بحرية إلى هذه المنطقة لوجود السحاب الذي يعتبر حاجزاً قوياً لدخول أشعة الشمس الكاملة.



السحاب دائماً يظلل سماء البحار اللجية ونادراً ما تخلو سماء البحار اللجية من السحاب لذلك تشكل هذه السحب منطقة الظلام الأولى في البحار اللجية

إذاً نحن في منطقة الظلمات الأولى التي هي فوق الموج الثاني السطحي، وأما ما تبقى من أشعة الشمس القليلة النافذة عبر السحاب فإنها تحاول الدخول في البحر السطحي ولكنها تدخل بمستوى ضعيف يعكسها أيضاً الموج الثاني المتحرك على سطح البحر.

فلو أنك أتيت بكوب ماء وسلطت عليه الأشعة فإنك ترى أن قاع الكوب منير، فإذا قمت بتحريك الكوب حتى يصير سطحه مموجاً متحركاً فإنك ترى أن قاع الكوب أصبح أقل إنارة عندما كان السطح ثابتاً غير متحرك، ويفهم من هذا أن البحر السطحي أيضاً عكست عنه الأشعة المتبقية من أشعة الشمس النافذة من خلال السحاب لوجود الموج فأصبح البحر

السطحي العلوي مظلماً على أثر انعكاس الأشعة ودخولها بكمية قليلة جداً.

إذاً البحر السطحي الذي يعلوه الموج الثاني هو على السطح ونراه بأعيننا والذي يصل عمقه من ٢٠٠ إلى ٥٠٠ م أصبح مظلماً ولكن ليس بالظلام الحالك، وذلك ببعض الأشعة النافذة من سطحه وهذه الأشعة القليلة النافذة والموجودة في البحر السطحي لا بد لها من الانتشار على قلتها وتعمل على الدخول عبر الموج الأول الذي يعلو سطح البحر اللجي ولكنها تصطدم بحاجزين يمنعانها من الدخول تماماً.

قلنا فيما سبق: إن سطح الماء إن كان ثابتاً غير متحرك فهو يساعدك على نفاذ الضوء والأشعة ولكن إن كان له حركة كحركة الموج فإنه يعوق الأشعة من الدخول والنفاذ ولا يدخل منها إلا القليل كما حدث في البحر السطحي فإن موجه أثّر كثيراً في دخول كمية الأشعة القليلة فما نفذ منها إلا القليل، فهذه الأشعة القليلة النافذة عبر البحر السطحي ليس لها من القوة في النفاذ والدخول للبحر اللجي السفلي فلا يبقى منها أثر يذكر علاوة على حاجز آخر قوى جداً يعمل على عدم دخولها وهو أن أسماك البحر السطحي تراها هائمة وبكثافة كبيرة جداً فوق البحر اللجي تحاول الدخول إلى البحر اللجي، ولكنها لا تستطيع **فتشكل أسراباً هائلة تغطى الموج الأول للبحر اللجي** فتصبح حاجزاً قوياً جداً لعدم دخول بقية الأشعة الضعيفة المتهالكة، لذا فإن البحر اللجي تنعدم فيه أية أشعة أو ضوء ولو بمقدار ١٪ لوجود الحاجزين المانعين للأشعة القليلة، حيوانات البحر وموج البحر اللجي لذلك يصبح البحر اللجي مظلماً ظلاماً دامساً.

فالله سبحانه حينما يقول ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ فهذه الظلمات جمع وليس مثنى أو ظلمة واحدة.

١ ـ ظلام البحر اللجي الكامل المطلق.

٢ ـ ظلام البحر السطحي شبه الكامل.

٣ ـ ظلام البحر الواقع بين السحاب وسطح البحر الثاني الذي هو على السطح.

فأنت أمام ثلاث ظلمات شديدة حالكة تختلف بالنسبة والدرجة ولكنها

ثلاث ظلمات بعضها فوق بعض، كما وصف القرآن الكريم بمنتهى الدقة.

وأنت أيها الإنسان إن كنت وسط هذه الظلمات وأردت إخراج يدك ورفعها إلى القرب من وجهك فإنك لا تراها أو لا تكاد تراها، وهنا تعبير رائع عن شدة الظلام والحلكة القاتمة السوداء وهذا تشبيه تمثيلي رائع كما أن في التعبير كناية عن شدة الظلمة.

والتعبير الإلٓهي الرائع: ﴿ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ ﴾ يغنيك عن التكرار لكلمة السواد الحالك في ظلمة البحر، إذاً نحن أمام اكتشاف علمي في عالم البحار أصبح معروفاً لدى أهل العلم ولكثير من المتعلمين والباحثين وإذا أوجزنا فإننا نقول:

١ ـ إن هناك في أواسط البحار مناطق عميقة لجية.

٢ ـ إن معظم البحار دائماً مغطاة بسحب؛ تكثر هذه السحب عند نقطة البحار العميقة.

٣ ـ العلم أقر بوجود موج داخل البحار العميقة وهو نقطة فاصلة ما بين البحار العميقة والسطحية.

٤ ـ الحياة السمكية ودرجة الكثافة والحرارة تختلف في البحر اللجي عن البحر العلوي السطحي.

٥ ـ العلم اعترف بوجود موجين أول وثان في البحار العميقة.

٦ ـ أثبت العلم أن منطقة البحر اللجي ظلام في ظلام تبدأ من الأعلى ويزداد الظلام كلما تعمقنا في البحر اللجي. ووصفوا هذا الظلام بأنه ظلام حالك دامس [(١)].

٧ ـ أثبت العلم أن البحر اللجي معزول عن البحر العلوي ومختلف عنه في كل شيء فلا نور فيه. ظلام في ظلام، حيوانات عمياء دون إبصار، وهو مختلف عن العلوي ولا علاقة معه وكأنك تعيش في بحر آخر، من دخل هذا البحر اللجي وليس بيده ضوء من مصباح وليس مربوطاً بحبل قوي يشده عند الخطر لإخراجه فقد الأمل في العودة إلى الحياة. تماماً

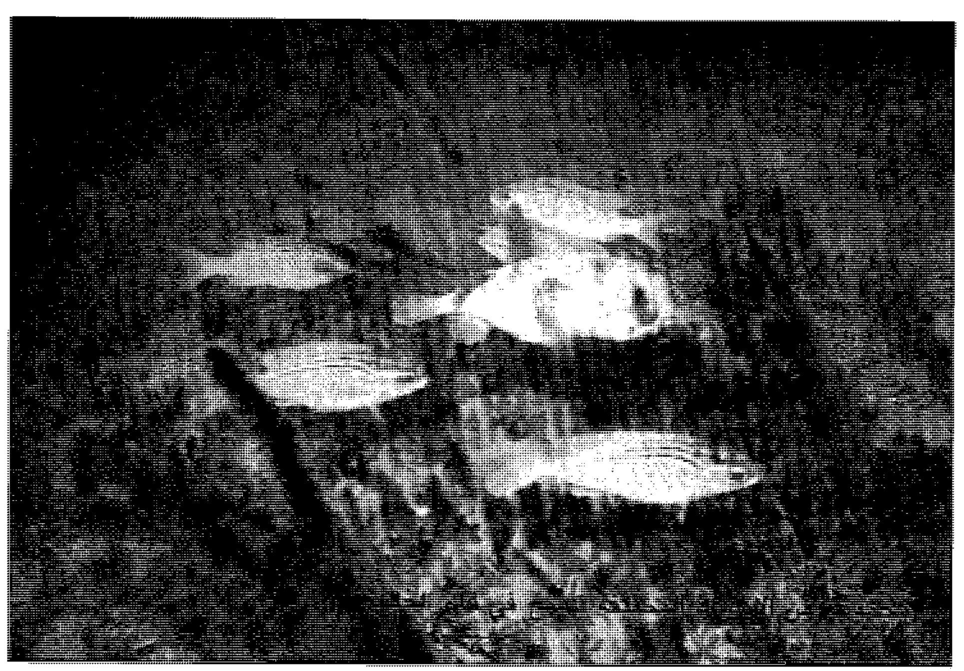
---

(١) راجع كتاب «كل شيء عن البحار» (فرديناند لين).

وكأنك في وسط صحراء في ليل بهيم انكدرت نجومه وبقي الليل عليك سرمداً فهل لك أمل في «نجاة أو حياة»وهكذا البحر اللجي ليل سرمدي دائم انكدرت وانطفأت نجومه.

إذاً العلم وافق ما جاء به القرآن الكريم وفي نفس الوقت أثبت القرآن الكريم صحة ما اكتشفوه لأننا، نحن المؤمنين، نعلم تماماً وقبل أن يكتشفوا سر البحر اللجي وأن ما جاء به القرآن هو الحق والصواب لأنه من عند اللّه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٨٢]



صورة لأسماك تعيش في البحر اللجي
والتي قال عنها علماء البحار أنها عمياء لا تبصر وسط هذا الظلام الدامس

وإن لم نكن نملك الوسائل لمعرفة حقيقة البحر اللجي ولكننا نملك إيماناً قوياً بأن القرآن الكريم ـ كما قال اللّه تعالى ـ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٢]

وأما ماذا في هذه الآية العظيمة بالنسبة إلينا نحن البشر سواء المؤمن أو المكابر المعاند؟.

١ ـ هذه الآية العظيمة.... وضعها اللّه سبحانه وتعالى لتكون حجة إيمانية على البشر، لأنه يعلم أنها ستكتشف في يوم يحدده اللّه بقدرته وعلمه وذلك كما يقول اللّه سبحانه.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

ومعنى سيريكم آياته فتعرفونها، أي إنها لم تكن ترى من قبل ولا ترونها الآن ولكن سترونها مستقبلاً. وهكذا سائر الآيات العلمية التي اكتشف العلم الحديث ما فيها من إعجاز.

وإن عرفتموها ولم تؤمنوا بها فهي حجة قوية عليكم حينما تقفون أمام اللّه يوم القيامة للعرض والحساب.

٢ ـ لا يستطيع أحدنا أن يتخيل أن بشراً عادياً مهما أوتي من الذكاء الخارق والنادر أن يصف هذا الوصف ويقوم بهذه المقارنة وهذا التشبيه البلاغي المذهل بين الظلمات التي يعيشها الكفار والمشركون وبظلمات بحر لجي عميق حتى لو كان تشبيهاً لغوياً فقط. أو تركيباً بلاغياً للبيان والإيضاح.

فالتركيب البلاغي في هذه الآية لا يمكن أن يكون من بشر ألبتة ولو أوتي جوامع الكلم.

وفي زمن رسول اللّه ﷺ جاء من ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب فقد زعم أن قرآناً يأتيه من السماء ـ وفصاحة المدعي للنبوة كبشر عادي تشبه فصاحة سيدنا محمد ﷺ كبشر عادي ومع ذلك ما جاء به مسيلمة كلغة فقط ولا علاقة له بأي علم، فقد اعتمد على اللغة والألفاظ فقط في ادعاء النبوة فدفن لساعته وقتل شر قتلة لأنه من عند غير اللّه.

٣ ـ محمد ﷺ رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب وهذا لا جدال فيه ولا خلاف وقد أتى بحقيقة واقعة، فمن أين له هذا التركيب الجمالي الرائع والتشبيه الذي يعجز عنه عباقرة اللغة، فهل تصدق أن رجلاً أمياً في عصرنا يأتيك

بكتابة أدبية رائعة يحوز بها إعجاز الجميع ويقول هذه من عندي وأنت تعلم أنه أمي، إن أول ما يفعله عقلك حينئذ الرفض المطلق لما يقول وتقول حتماً إنه غير صادق وإن هذا كلام أحد غيره.

٤ ـ آية تتحدث عن أعقد نقطة في البحر ولم يستطيع العلم والعلماء تفصيل الحديث عن هذه النقطة إلا منذ فترة قريبة جداً ومعهم كل ما ابتدعته البشرية من أدوات صناعية رفيعة المستوى وغواصات متينة جداً تستطيع أن تغوص وتدخل في مجاهل البحار اللجية. مجهزة بإضاءة قوية جداً وبكاميرات لها أرقى أنواع العدسات.

فكيف تحدث عنها رجل أمي لا يملك شيئاً في وقت لا اختراعات فيه ولا أدوات ولا غواصات ولا كاميرات بل جهل علمي مطلق على كافة مستويات الناس وفي كل دول العالم آنذاك قويها وضعيفها غنيها وفقيرها.

٥ ـ وتكملة الآية القرآنية الكريمة ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ وهنا تأكيد من اللّه مرة أخرى على ظلمات البحر اللجي لأن النور بيد اللّه فمن لا يحظى بنور اللّه فتكون له الظلمات التي هي كظلمات البحر اللجي.

٦ ـ نحن المؤمنين نستبشر بهذه الآيات العظيمة والعلمية لأن كثيراً من الجهلة يدعون أن دين الإسلام دين متخلف لا أثر فيه لحضارة أو علم وكيف ذلك وكثير من آيات اللّه في القرآن الكريم يتحدث فيها اللّه عن خلقه لأشياء ويتحدث فيها عن البحر والأرض والفضاء الكوني وعن نشأة الإنسان وخلق الكون، ويطلب منا أن نتعلم ونعلم، وقد فرق بين المتعلم والجاهل بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٩]

* ولكن لماذا أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يكشف للبشرية في هذا العصر عن بعض سر ما خلق وهذا السر حجبه عن البشرية آلافاً من الأعوام....؟

* لأن الكون والدنيا أصبحا في طريقهما للزوال وما بعثة سيدنا محمد ﷺ ومجيئه خاتماً للنبوة إلا إنذاراً بقرب نهاية الكون، لقوله عليه الصلاة والسلام:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه** (١).

* الله عز وجل يريد وقبل أن تقوم الساعة أن يضع الحجة القوية أمام المنكرين والجاحدين لقدرته كي تكون عليهم سبباً وحجة عند الحساب والعقاب.

* وعد الله الذي لا يخلف وعداً ولا ميعاداً فقد وعد أنه سيرى عباده آياته وقدرته وعلمه بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

ولقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

* وذلك أيضاً لتكذيب بعض المشركين والكفار وبعض الذين لا يؤمنون بوحدانية الله الوحدانية الحقة فتراهم جميعاً كانوا يكذبون القرآن الكريم ولا يزالون.

فالله بإرادته كشف وسيكشف معجزاته لهؤلاء لأنهم كذبوا قبل أن يعلموا ويعرفوا، وذلك لقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾

[سورة يونس، الآية: ٣٩]

فلأنهم أسرعوا بالكفر والتكذيب ولم يصلهم تأويل وشرح القرآن وبيانه.

* الله لا يريد من البشر رزقاً ولا يريد منهم أن يساعدوه فإن الله غني عن العالمين ولكن يريد منهم الإيمان والطاعة وأن يعطوه حقه وقدره، ولذا أراد الله وبعد أن وصلت البشرية إلى أعداد هائلة أن يظهر تأويل وبيان آياته في القرآن الكريم كي تقوى العقيدة الإيمانية وتدل على قدرة الله العظيمة في الكون، هب أن موظفاً أو عاملاً في شركتك أعطيته الأمن والأمان من ملبس ومسكن وراتب جيد ثم قلت له إن أحسنت في عملك

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

فلك نصيب من الربح وتعده وتوثق هذا العهد، ورآك تحافظ عليه وترعى شؤونه وتساعده في أزماته، وإن سافر في مهمة تحفظ زوجه وأولاده وترسل من يخدمهم، وإن مرض عدته وسألت عنه وإن أحسن أحسنت إليه، وإن أخطأ أرشدته، وفوق هذا تعلمه وتثقفه، وبعد هذا كله خانك وأنكر هذه النعمة وهذا العطف، واتفق مع أحد العملاء على إقامة شركة لتحطيم شركتك فما سيكون عقابه عندك؟

ونحن البشر، ككل، خلقنا اللَّه وعلمنا وضمن لنا الغذاء والماء والصحة والقوة ووعدنا بالجنة ووثق عهوده وأقسم عليها ودلنا على معجزاته وقدراته وأرانا من آياته العظيمة التي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها في الكون والأرض والبحار، أرانا آياته رأي العين كالآية التي نحن بصدد تفسيرها: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾ وبعد كل هذا فإن خلقاً كثيراً لا يؤمنون ويشركون باللَّه سبحانه وكثير منا لا يحفظ عهده، ولا يؤدي شكره وحمده، فماذا سيكون عقابهم عند اللَّه سبحانه وتعالى؟.

وقبل أن أختم الحديث عن هذه الآية العظيمة من سورة النور لا بد أن أوضح ما المعجزة في هذه الآية الكريمة.

بالنسبة للَّه سبحانه وتعالى ليس هناك ما يعجزه فإن اللَّه يقول للشيء كن فيكون فليس هناك ما يسمى معجزة عند اللَّه.

فكلُّ كونِ اللَّه سماؤه وأرضه وبحره لا تشكل عند اللَّه شيئاً لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

وبالنسبة إلينا هذه الآية معجزة المعجزات وإثبات عظيم وقوي على ربوبية اللَّه الواحد الأحد [١].

---

(١) قال المستر براون وهو أحد رجال وعلماء البحرية البريطانية لأحد علماء المسلمين هل ركب نبيكم البحر؟ قال: لا قال: فمن علمه علوم البحار. قال العالم المسلم ماذا تريد من هذا السؤال؟ قال المستر براون: لقد قرأت في كتاب الإسلام آية لا يعرف أعماق ما فيها إلا من أوتي علماً واسعاً في علوم البحار ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾ انظر حوار بين الحق والباطل ص٧ ـ ١٠

لأن هذه الآية وبما وهبنا الله من عقل لا يمكن أن تكون من رجل أمي كرسول الله ﷺ فإنها تتحدث عن حالة تقع في أعماق البحار لم تصلها البشرية إلا هذه الأيام بما ملكوا من أرقى الأدوات والصناعات، أليس هذا إثباتاً لنبوة سيدنا محمد ﷺ التي لا شك فيها وإثباتاً قوياً على أن القرآن منزل من عند الله، فتفصيل الآية وبيانها وموافقة العلم لها موافقة تامة يثبت أن هذا الكلام لا يأتي إلا من الخالق نفسه ومن القادر المقتدر الذي لا إلّه إلا هو عالم الغيب والشهادة.



البحر المسجور

قال تعالى :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ * وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ * وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾

صدق اللّه العظيم

[سورة الطور، الآيتان: ١،٦]



بسم الله الرحمن الرحيم

إنها آية عظيمة من آيات اللَّه ومعجزة من معجزات اللَّه سبحانه أنزلها على لسان نبيه ورسوله محمد ﷺ.

إنها إحدى الحجج والبراهين التي أقرها اللَّه سبحانه وتعالى لعباده وهذه الآية تدخل ضمن وعد اللَّه سبحانه لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

واللَّه بعلمه يعلم أن هذه الآية سيكتشف إعجازها حينما يحين الوقت الذي يريده اللَّه وتصل البشرية إلى علم يؤهلها لكشف تلك المعجزة الإلٓهية. ولابد لي قبل أن أدخل المدخل العلمي لهذه الآية الكريمة من أن أشرح كلماتها تفصيلاً، ثم أنتقل إلى شرحها جملة وبعدها أذكر ما جاء به العلم المعاصر لنقارن تلك الاكتشافات التي هيأها اللَّه سبحانه للبشرية بقدرته وإرادته بهذه الآية الكريمة.

* **والطور**: الواو واو القسم، الطور جبل موسى عليه السلام الذي كلمه اللَّه عليه، أي أقسم بجبل الطور.

* **وكتاب مسطور**: الواو واو العطف. كتاب مسطور هو القرآن الكريم أي وأقسم بالقرآن الكريم، لأن المعطوف على قسم قسم مثله.

* **في رق منشور**: اللوح المحفوظ الذي سطرت به المقادير.

* **والبيت المعمور**: الواو واو العطف، البيت المعمور بيت في السماء السابعة مقابل للكعبة المشرفة يحجه في كل يوم منذ أن خلقه اللَّه سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه أبداً.

* **والسقف المرفوع**: الواو واو العطف، السقف المرفوع / السماء / التي رفعها اللَّه بما فيها بقدرته.

* **والبحر المسجور**: الواو واو العطف وهي واو القسم، البحر المسجور، البحر المتلئ المشتعل ناراً.

هذه الآية الكريمة من سورة الطور وفي أولها يقسم اللّه سبحانه وتعالى خمس مرات متتاليات لتأكيد الواقع بعدها، وما أقسم اللّه في آية خمس مرات متتاليات إلا في هذه الآية الكريمة، وذلك لجلالة الحدث الذي يقع بعد هذا القسم لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾

وهنا يجب أن أتوقف عند ملاحظتين اثنتين تتعلقان بقسم اللّه تعالى:

١ ـ إن اللّه سبحانه لا يقسم إلا بشيء عظيم بالنسبة للبشر.

٢ ـ إن اللّه سبحانه لا يقسم بشيء غير موجود.

ـ ومن هنا نفهم أن اللّه سبحانه وتعالى حينما أقسم بكل ما أقسم به شيء عظيم موجود.

والطور: وهو جبل موسى وهو موجود.

وكتاب مسطور: وهو القرآن الكريم وهو موجود.

والبيت المعمور: وهو بيت تحجه الملائكة في السماء وهو موجود.

والسقف المرفوع: وهو السماء وهي موجودة.

والبحر المسجور: البحر المشتعل ناراً وهو موجود.. ولكن أين؟

وكأن اللّه سبحانه وتعالى يقول: وأقسم بالبحر المشتعل ناراً ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ والتفسير لهذه الآية المعجزة في زمن البعثة المحمدية أمر مستحيل فلا العقول مستعدة لفهم هذه المعجزات ولا العلم موجود لبيان معاني بعض الآيات القرآنية.

لذا توقفت الأقلام والآراء عن الخوض في تفسير هذه الآيات وهي كثيرة جداً حتى لا يقعوا في المحظور في التفسير فتكون عليهم نقمة عظيمة وليست نعمة، ولا شك أن الأوائل في الإسلام كانوا حريصين على التقوى والامتثال... هذا في زمن حاضر بعثة سيدنا محمد ﷺ فماذا عن الجيل

الذي تلا رسول اللَّه ﷺ بعدما افتتحت الأمصار ودخل في الإسلام كثير من المجوس والنصارى وتداخلت كثير من الثقافات، وبرز كثير من العلماء البررة الذين وهبوا حياتهم للدين والقرآن وحديث رسول اللَّه ﷺ في جمعه وشرحه وتفصيله.

والحقيقة أن علماء تلك الفترة من زمن الإسلام ـ وأقصد العصر العباسي ـ تعمقوا في علوم الدين، وبرز كثير من العلماء الذين شرحوا وفصلوا وأدلوا برأيهم في كثير من النواحي الدينية، ولكن هذا بقي مقصوراً على علوم الفقه والتشريع والتفسير واللغة، ونظروا إلى القرآن كلغة وأوسعوه شرحاً وتفصيلاً وأبدعوا وأظهروا جلال القرآن في أسلوبه ولغته وجمله وترابطه والتحام معانيه **ومع كل هذا لم يتوقف بعض علماء هذه الفترة عن بيان بعض الآيات العلمية والإدلاء بآرائهم** فيها بما اكتسبوه عن الصحابة والتابعين. وإن كان البيان قليلاً يسيراً، ولكنهم حاولوا بما لديهم من قدرات وإمكانيات، والجدير بالذكر أن عصر الخلفاء الراشدين كان مهتماً بتثبيت الإسلام والدولة والقضاء على الفتن والمرتدين والعصر الأموي كان اهتمامه الأول الفتوحات والانتصارات وما برز العلماء والدارسون إلا في العصر العباسي بعد أن استقرت الدولة وقويت شوكتها وأصبحت الدولة الإسلامية الحاكمة والآمرة والأقوى بين دول العالم.

وأعود إلى الآية العظيمة ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾....

كل علمائنا فيما مضى كانوا يقولون: ما دام اللَّه قد أقسم بالبحر المسجور... البحر المشتعل ناراً... إذاً فهو موجود ولكن أين يا ربي؟

كان بعضهم يسأل الرحالة والبحارة والتجار هل رأيتم في سفركم وترحالكم بحراً مسجوراً تشتعل فيه النار؟ فيكون الجواب بكلمة لا. ثم نراهم أخيراً يوصون الجيل الذي يليهم بالمتابعة والبحث ويذكرونهم بقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فإنهم يعلمون تماماً أن اللَّه وعد وأنه لا يخلف وعده، وأنه سيأتي اليوم الذي يوضح لنا العلم ويشرح ويبين لنا معجزة اللَّه في البحر المسجور ولكن

حتى يأذن اللّه سبحانه وتعالى وقبل أن أدخلَ المدخل العلمي في تفسير الآية الكريمة لنسمع ما قاله بعض المفسرين حول هذه الآية الكريمة.

يقول ابن كثير في تفسيره:

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ قيل الموقد، يقال سجرت التنور، وقيل إنه البحر المملوء ماءً متموجاً، وقيل هو بحر معروف في السماء يسمى **(بحر الحيوان)**

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

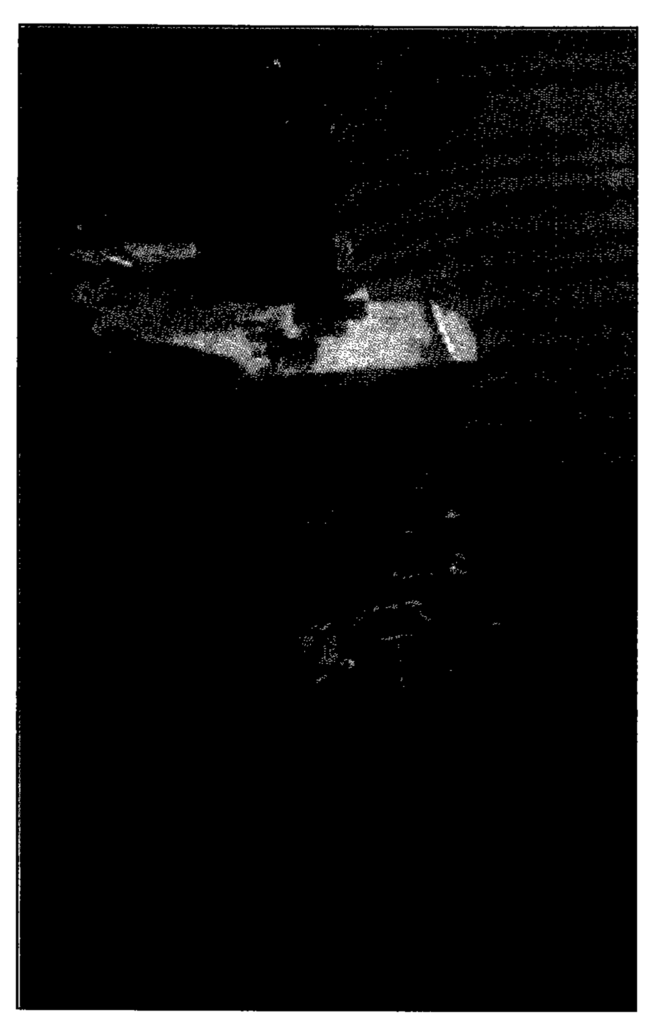
﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ أي والبحر المسجور الموقد ناراً يوم القيامة، كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.

التفسير العلمي والبحر المسجور:

ولما أراد اللّه سبحانه وتعالى أنْ يتحقق وعده بأنه سيري الظالمين قدرته وعلمه الذي لا يحيطون بشيء منه إلا بما يريد ويشاء وحينما أراد اللّه أن يضع الحجة أمام المليارات من الناس، أراد بقدرته أن يهيئ لهم أدوات يحسنون صنعها ليكتشفوا ويعلموا قدرة اللّه سبحانه وتعالى، وتكون عليهم الدليل والحجة حينما يقفون أمام اللّه الخالق البارئ العليم القادر يوم القيامة.

وجاء الوعد الإلّهي ووصلت البشرية بفضل اللّه إلى بعض العلوم التي تؤهلها لكشف تلك الآيات العظيمة. . . .

غواصة ألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية تعبر البحر الأحمر ورغم أن هذه الغواصة لم تكن متقدمة قياساً لتلك الغواصات الحديثة جداً. لكنهم رأوا أمام أعينهم في قاع البحر «**أخاديد**» تخرج منها الحمم ولاحظوا أنهم كلما اقتربوا من باب المندب عند النقطة الفاصلة بين البحر الأحمر والمحيط الهادي ازدادت تلك الأخاديد وزاد طولها حتى أن بعضها يصل إلى عدة أمتار تخرج منها ألسنة اللهب. وطبعاً كانوا يحيدون في مسارهم عن تلك الأخاديد حتى لا تصاب غواصتهم بعطب أو عطل. وذلك من خوفهم، وكانت تلك ظاهرة غريبة لم يسمعوا عنها أبداً، هذا أول ما اكتشف، وطبعاً أكاديمية العلوم الألمانية درست هذه الظاهرة.



إحدى الغواصات العلمية التي تمخر عباب البحر والبحار اللجية العميقة وتساعد على اكتشاف المجهول من أعماق المحيطات والبحار اللجية العميقة

ولكن العلوم مع نهاية الحرب العالمية الثانية أي منذ خمسين عاماً لم تكن على المستوى الراقي التي هي عليه الآن، وربما درس الأمر كظاهرة طبيعية لم تكن لها تلك الأهمية العظمى في ذلك الحين رغم أنهم رأوا هذه الأخاديد أيضاً في بعض البحار الأخرى في العالم أثناء جولاتهم البحرية.

وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية تفرغت البشرية بعدها إلى الإعمار والبناء والعلم فتقدمت العلوم تقدماً سريعاً ومبهراً.

ومن الطبيعي أن كثيراً من دول العالم أصبحت تمتلك غواصات حديثة جداً تجوب أعماق البحار في كل بقاع الأرض، ولم تعد عملية البحث

مقصورة على دولة دون دولة، وتسابقت دول العالم في الاكتشاف والاطلاع وسبر أغوار السماء وأعماق البحار وأولوا الأرض والبحر دراسات كبيرة جداً رصدوا لها مليارات الدولارات، وأصبحت الدول تتسابق في ما بينها على الاكتشاف والاطلاع وكلٌّ يحاول أن يظهر للعالم أنه الأول في العلوم الكونية والأرضية والبحرية وكل يسعى لكسب المزيد.

وفيها طبعاً تزايدت دراسة تلك الأخاديد والشقوق التي تخرج منها النار في قاع البحار بواسطة أحدث الغواصات والأدوات الراقية جداً التي ركبت فيها أدوات التصوير والتكبير والتقريب والكمبيوتر والتسجيل.



أحد البراكين الهائلة في قاع البحر الأحمر. انظر إلى الشقوق والتصدعات في قاع البحر وكل البحار والمحيطات تسجر بالنار في قاعها

ووجدوا أن كثيراً من البحار توجد فيها أخاديد وشقوق تخرج من قاع البحار تم تصويرها تصويراً دقيقاً وتصويرها على شرائط فيديو، وتمت دراستها دراسة مستفيضة، ماذا تستفيد البشرية من هذه الظاهرة العلمية وعلاقة تلك الأخاديد بباطن الأرض وخروج الحمم والبراكين والمنفثات الطبيعية للأرض؟ حتى يتم المحافظة على استقرار الأرض، . . . إلخ من النظريات

العلمية الحديثة، **ومنها قام له العالمان الروسيان «أناتول سجابفيتش» عالم جيولوجيا، و «يوري بجدانوف» عالم أحياء وجيولوجيا وبالاشتراك مع العالم الأمريكي المعروف «رونا كلنت»** فقد غاصوا جميعاً وهم على متن الغواصة الحديثة ميرا[١] وصلوا إلى نقطة الهدف على بعد ١٧٥٠ كم من شاطئ ميامي وغاصوا على بعد ميلين من السطح حيث وصلوا إلى الجحيم المائي ولم يكن يفصلهم عنه سوى كوة من الأكرليك وكانت الحرارة ٢٣١ م وذلك في واد على حافة جرف صخري وكانت تتفجر من تحتهم الينابيع الملتهبة حيث توجد الشروخ الأرضية في قاع المحيط وقد لا حظوا أن المياه العلوية السطحية الباردة تندفع نحو الأسفل بعمق ميل واحد فتقترب من الحمم البركانية الملتهبة والمنصهرة فتسخن ثم تندفع محملة بالقاذورات والمعادن الملتهبة، وكان هؤلاء العلماء الثلاثة يعتقدون أن ظاهرة الحمم البركانية الملتهبة والشقوق الأرضية ظاهرة طبيعية في المحيط الهادي والبحر الأحمر إلا أنهم تأكدوا أخيراً وبعد غوصهم أن هذه الظاهرة موجودة في كل البحار والمحيطات تكثر في مكان وتقل في مكان.

---

(١) عن أكاديمية البحث العلمي (جمهورية مصر العربية)

البحر المسجور

عند بداية هذه الاكتشافات البحرية استغرب العلماء هذه الظاهرة الغريبة بوجود أخاديد تخرج منها النار والدخان في أعماق البحار، لأن هذه الاكتشافات البحرية كانت تتوافق تماماً مع الاكتشافات الأرضية وكان كل من علماء جيولوجية الأرض وعلماء البحار يعملون معاً وفي نفس اللحظة وكل في اتجاه علمي خاص به.

ولما تقدم العلم وكثرت النظريات العلمية التطبيقية، ووجدوا أن تلك الحمم والبراكين والصدوع والشقوق الموجودة على سطح الأرض مهمتها جميعاً حفظ توازن الكرة الأرضية، وبما أن البحار تشكل أربعة أخماس الكرة الأرضية، وهي الجزء الأكبر من الأرض، فمن الطبيعي أيضاً وجود صدوع وشقوق وأخاديد في قاع البحار مهمتها أيضاً التنفيث عن تلك الحمم التي تغلي في أعماق الكرة الأرضية [١].

عرفت البشرية وبعد تجارب كثيرة جداً وعلم ومعرفة واختراعات وأدوات وأقمار صناعية وتلسكوبات كبيرة دقيقة وغواصات. . . . بوجود هذه الأخاديد النارية وبعد جهدٍ وعلم عرفت أيضاً أن هذه الأخاديد ضرورية جداً لأنها هي التي تحمي الأرض من الانفجار والغليان، وهي التي تنفث عن باطن الأرض الذي يشكل حمماً بركانية تغلي غلياناً تريد الخروج من مكانها الضيق، ولكن اللّه سبحانه جعل لها نفاثات طبيعية لتهدئ من غليانها ومن ثورتها الهائلة، نعم لقد علموا سر وجود تلك الأخاديد بعد عشرات من السنين كانوا فيها دائبين مجدين في البحث والدراسة.

ولكن هذه الأخاديد التي تسجر البحر رأوها فقط حينما اكتشفوها، أما هي فموجودة منذ ملايين السنين منذ أن خلق اللّه سبحانه الأرض، نعم إنها

---

(١) راجع كتاب المعرفة «البحار والمحيطات» الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة.

موجودة فإن كان العلماء قد اكتشفوا هذه الأخاديد الآن فلا ينكر ولا يجحد فضلهم ولكنها بقدرة اللّه سبحانه موجودة منذ خلق اللّه الكرة الأرضية.

إذاً اللّه هو العالم الأول والآخر وبما أن اللّه يعلم بهذا منذ الأزل وأخبر به نبيه محمداً ﷺ منذ ١٤٢٦ سنة حيث لم تكن العلوم قد اكتشفت، و كانت البشرية تعيش قمة الجهل العلمي.

يا سبحان اللّه. وكما قال تعالى:

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

ولولا وعد اللّه الذي لا يخلف ميعاده بقوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

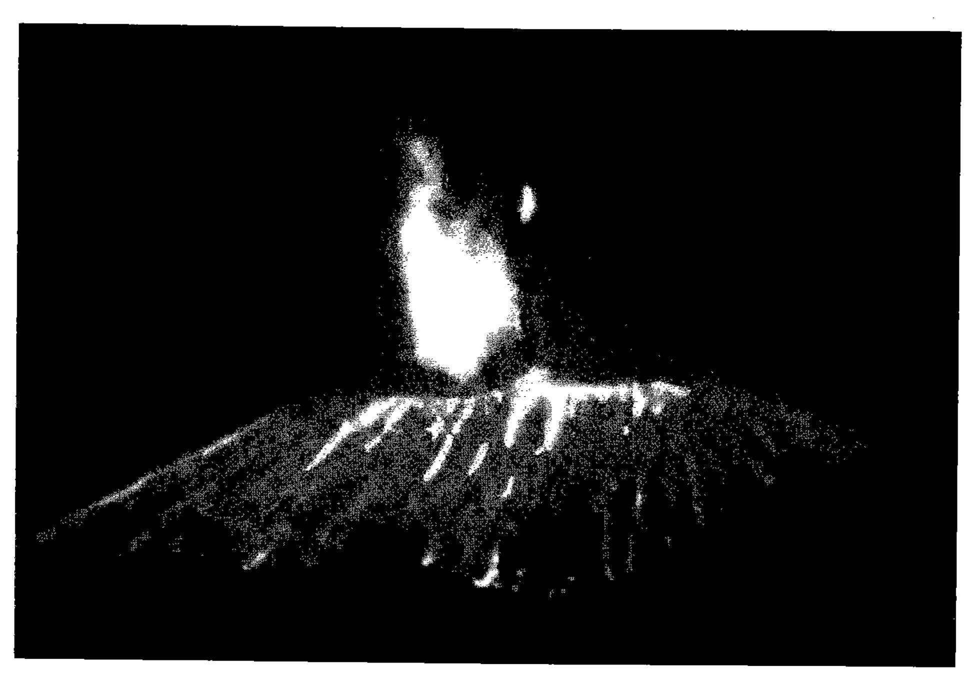
لَما علَّمهم وساعدهم حتى يتوصلوا إلى اختراع تلك الأدوات التي تساعدهم في الاكتشاف والاطلاع.

والذين اكتشفوا تلك العلوم واكتشفوا تلك الأخاديد التي تخرج من قاع البحار ورأوها وصوروها لا يعلمون شيئاً عن القرآن الكريم! ولا يعلمون أن اللّه سبحانه وتعالى أقسم بالبحر المسجور في كتابه الكريم منذ ١٤٢٦ سنة أي البحر الذي تخرج من قاعه الحمم، والقسم في هذه الآية تأكيد مطلق من اللّه سبحانه وتعالى على وجود البحر المسجور الذي تخرج من قاعه أخاديد النار، وهذا القسم بوجود البحر المسجور الذي يعلم اللّه سبحانه أن البشرية ستكتشفه في يوم من الأيام هو حجة قوية وقاطعة على المكتشفين للدلالة على عظمة اللّه سبحانه، والدلالة على صحة القرآن الكريم كي يؤمنوا به ويصدقوه، وإن لم يفعلوا فقد بين اللّه لهم أنه الحق، وأن كتابه حق وأن رسوله محمد ﷺ حق. فالإنسان اكتشف فقط الشيء الموجود بقدرة اللّه ولا علاقة له بهذا ولا حول له ولا قوة فلا تستطيع البشرية كلها لو اجتمعت على إغلاق تلك الأخاديد الملتهبة وفتحها، فعلمنا محدود.

وهذه الأرض التي نعيش عليها و٨٠ ٪ من العلوم التي تتجه إلى معرفة

الأرض والبحار وأسرارها ستقوم الساعة ولا نعلم من أمرها إلا ما شاء اللّه، وسيبقى الكثير خافياً على البشرية.

نعم إن جميع البحار تسجر، واكتشفوا أن التسجير يختلف من بحر إلى بحر يقوى في مكان ويضعف تقريباً في مكان كفتحات البراكين على الأرض اليابسة موجودة في كثير من مناطق العالم وهي ليست مقصورة على مكان دون مكان، وإن كانت تكثر في مكان كما في اليابان، وأيضاً تكاد تنعدم في مناطق كثيرة من العالم، وتقدير وجودها يعود إلى الخالق، فلا أحد يعرف أين مواقع الانفجار البركاني في داخل الأرض وفي أعمق أعماقها ولا أين يشتد غليان وانصهار الحمم في باطن الأرض.



بركان هائل في قاع المحيط الهادي كما صورته الغواصة إلفن. انظر إلى قدرة اللّه وكيف تجتمع النار مع الماء في قاع المحيطات والبحار!!

وما ينطبق على الأرض اليابسة ينطبق على البحر فقد وجدوا أن أكثر بحار العالم تسجيراً هو البحر الأحمر لأن الأخاديد التي تخرج منها النار تمتد من شماله حتى جنوبه بطول البحر الأحمر من السويس حتى باب المندب، ولا حظوا أن تلك الأخاديد والفتحات والشقوق تزداد كلما اقتربنا من

الجنوب باتجاه باب المندب عند مدينة عدن «حضرموت» عند المنطقة الفاصلة ما بين البحرين المالحين البحر الأحمر والمحيط الهادي، والتي تمت دراستها دراسة مستفيضة من قبل البعثات العلمية من شتى أنحاء العالم كالبعثة الألمانية التي أقرت بوجود حاجز مائي من نوع ثالث يحجز مياه البحرين الأحمر والهادي من الاختلاط، وذلك بتقرير ومناقشة تمت في جامعة الملك فيصل بجدة بين علماء ألمان وغيرهم متخصصين في علم البحار كأمثال العالم **(الفريد كرونر)** أشهر علماء الجيولوجيا الذي قال: «**إن الوسائل العلمية الحديثة الآن يمكنها وبكل وضوح إثبات ما قاله محمد ﷺ وأعتقد أن ما أخبر به محمد ﷺ لا يمكن أن يكون إلا بوحي من اللّه**».

إذاً علماء البحار أقروا بوجود حاجز يفصل ما بين البحرين عند منطقة اللقاء في باب المندب تم تصويره بالسفن الفضائية تأكيداً للدراسة الأرضية التي حاولوا فيها كثيراً، وقالوا: إن ما زادنا تأكيداً وجود هذا البرزخ بين أي بحرين، التصوير الفضائي عن طريق المراكب والسفن الفضائية، وكلما أقرأ عن هذه الاكتشافات العلمية أتذكر علماءنا رحمهم اللّه الذين بذلوا جهداً عظيماً في معرفة وتفسير كثير من الآيات العلمية، ولكن كان تفسيرهم يعتمد على ما يحيط بهم من قدرات محدودة رغم أن الإيمان القوي يصدق هذه الآيات فكان يلفهم بدفء ويعطيهم حرارة الانبعاث الصادق.

نعم فكثير من مفسري القرآن الكريم **كالسيوطي في تفسير الجلالين والزمخشري والفخر الرازي** كانوا إذا ما مروا بهذه الآيات يحاولون تفسيرها قدر ما يستطيعون وفق ما لديهم أو ما يقدرون عليه، وليس هذا عجزاً منهم أو قلة معرفة ولكن لم تشأ الإرادة الإلَهية.. في زمنهم كشف هذه الآيات لعلم يعلمه اللّه، فاعتمدوا في تفسيرها على المعاني اللغوية عسى أن توصلهم إلى شيء، ولكن المشكلة كانت ليس بمعرفة ما معنى البحر المسجور فقد قالوا عنه البحر الذي تشتعل فيه النار، رغم أن السيوطي في تفسير الجلالين قال عن البحر المسجور: البحر الممتلئ بالمياه وقال غيره: إنه بحر في السماء.

وقالوا عن البرزخ في قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ إنه حاجز موجود بقدرة اللّه ولكن.... ليست المعرفة بشرح اللغة

فشرح المفردات أمره يسير، ولكن المهم معرفة ما هو البرزخ كحقيقة ومادة ملموسة وهذا ما اكتشفه العلم الآن والحمد للّه، وتقدير زمن المعرفة تقدير من اللّه سبحانه وتعالى.

والبحر الذي أقسم اللّه به لأهميته موجود فعلاً لأن اللّه لا يقسم بشيء غير موجود ولا يقسم إلا بعظيم، والأخاديد وفتحات النار وتسجير البحر رأيناه رأى العين وعرض على أجهزة التلفاز في كثير من دول العالم وكانت عروضاً رائعة تصور قدرة اللّه في أعماق البحار والحمد للّه أننا رأينا بعض قدرة اللّه بأنفسنا، وأتاح اللّه لنا هذا من خلال ما هيأ لعباده في الأرض من صناعة أدوات تصوير وغطس لتقر أعيننا وتفرح بصدق كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، نعم ستأتي آيات اللّه فنعرفها كما وعد اللّه وكما حقق اللّه النصر للروم من خلال وعده للمؤمنين الذين حزنوا على انتصار الفرس على الروم في زمن رسول اللّه ﷺ يقول تعالى:

﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

[سورة الروم، الآيات: ١ ـ ٤]

فأخبرهم اللّه عن المستقبل القريب. وصدق اللّه وعده وها نحن يصدقنا اللّه وعده: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وهذه آيات اللّه على لسان نبيه محمد ﷺ النبي الأمي يرونها بأعينهم فإن لم يؤمنوا بها فهي الحجة عليهم لإدانتهم يوم القيامة.

وإذا درسنا هذا الموضوع: موضوع البحر المسجور وحقيقة وجود الأخاديد والفتحات التي تخرج منها النار والدخان واللهب التي أصبحت علماً واقعاً. مدروساً ومصوراً والتي ذكرها القرآن فإننا نعيش مع الحقيقة من خلال هذه الحقائق.

١ ـ هل كان محمد ﷺ الناقل للقرآن الكريم أستاذاً محاضراً في علم البحار ليدلي بهذه المعلومات العلمية الصحيحة.

٢ ـ الأخاديد موجودة في قاع البحار بعمق يصل أحياناً إلى عشرة كيلو مترات فكيف وصل محمد ﷺ إلى هذا القاع ليخبرنا عن تلك الأخاديد من النار ويعلمنا أن هناك بحراً مسجوراً.

٣ ـ فالعلم يقول: إن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى عمق أكثر من ثلاثين متراً، وإذا حاول الإنسان أن ينزل أكثر من ذلك فإن غاز النايتروجين في الدم يفور كما تفور زجاجة المياه الغازية، وذلك من ضغط الماء على الجسم، وعليه فإن الدم يخرج من كل فتحة في الجسد ويكون الموت المحتم خلال دقائق من جراء التمزق الجسدي.

٤ ـ هل كان في زمن سيدنا محمد ﷺ أدوات غوص وغواصات تسير في قاع البحار لتخبرنا بالبحر المسجور ويقسم به تأكيداً لوجوده.

٥ ـ إن التاريخ يؤكد أن سيدنا محمداً ﷺ لم يركب البحر أبداً، ونحن نقول هب أنه ركب فإنه لن يستطيع أن يرى أكثر من سطح البحر فكيف يخبرنا عن قاعه إن لم يطلعه اللَّه سبحانه.

٦ ـ هل كان في زمن سيدنا محمد ﷺ علماء متخصصون في علم البحار ليأخذ منهم هذه المعلومة عن البحر وقاعه، بل إنهم كانوا يعيشون في جهل مطلق بعيداً عن أي نوع من أنواع العلوم الحضارية التي نعيشها الآن.

٧ ـ يقولون إن أكثر الأمم حضارة وعلماً ورقياً في زمن بعثة سيدنا محمد ﷺ وساعة نزول القرآن الكريم كانت مصر ومع رقيها وحضارتها كان إذا فاض النيل زينوا له أجمل فتاة في مصر وألقوها في قاعة عسى أن يهدأ غضب ملك أو إلّه النيل على حد زعمهم، جهل على جهل وعلم وحضارة تعتمد على الخرافة فأنّى لهم بالبحر وعلومه وسطحه وقاعه.

٨ ـ إذا كانت أرقى الشعوب بهذه العقلية والعلوم في ذلك الوقت من بعثة سيدنا محمد ﷺ فمن أين أتى هذا النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب بتلك العلوم البحرية، وأية علوم إنها علوم لا يمكن معرفتها إلا إذا اجتمعت لها أمم وقدموا لها كل ما يملكون.

٩ ـ ثم إنهم قالوا عن سيدنا محمد ﷺ إنه رجل يدّعي العلم، ثم ها نحن

أمام أعظم نظريات العلم الحديث في الكون والأرض والبحر أيدت جميعها ما ذكر في القرآن وأشار إليه من آيات علمية لها علاقة مباشرة في السماء والأرض والبحار، وليس من نظرية واحدة خالفت ما ذكر القرآن فأين إذاً ادعاء محمد ﷺ بهذه العلوم.

١٠ ـ ثم إن سيدنا محمداً ﷺ لو كان رجلاً عادياً غير مرسل وادعى النبوة فلا يمكن مطلقاً أن يزج نفسه بالكلام عن الآفاق والأرض والبحار ولا يمكن أن تخطر على باله ولا يمكن أن يسبق عصره بآلاف السنين، فهل يستطيع أحدنا رغم كل هذه العلوم الجبارة في عصرنا هذا أن يتكلم عن علم وقدرة تكتشفها البشرية مجتمعة بعد ألف أو ألفي عام فتكون صحيحة وبمنتهى الدقة، فالمنطق يقول: لا ولكن المنطق في موضوعنا هذا يقول: نعم لأن المتحدث بهذه الآيات هو اللّه سبحانه الذي خلق بنفسه وقدر بنفسه وهو الذي يعلم غيب السماوات والأرض.

ويحضرني في موضوع البحر المسجور حديثان لرسول اللّه ﷺ يتحدث فيهما عن بعض علامات يوم القيامة أو قرب يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى الشام» (١).

عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ستخرج نار من أرض عدن قبل القيامة، قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللّه؟ قال: عليكم بالشام» (٢) وقال: حديث حسن صحيح.

وقبل أن أدخل في تفصيل وبيان الحديثين لابد لي أن أقول: لو أن محمداً ﷺ يتكلم من ذاته دون إلهام ووحي من اللّه وليس هناك تنزيل ولا قرآن ولا جبريل فهل يعقل أن يتكلم ﷺ بهذا الأسلوب؟ ويأتي بأحاديث تثير العجب والشك؟ فلقائل أن يقول: ما لمحمد ﷺ وما لمدينة عدن تخرج نار

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث ٢٠١١

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح رقم ٢٢١٧

منها أم لا تخرج! فهذا لا يفيد دعوته بشيء إن كان غير صادق وإن كان محمد ﷺ غير صادق ـ وحاشا للرسول أن يكذب ـ فلابد أن يتحدث فقط عن الحياة المادية التي أمامه، ليكون المسيطر على مقدرات الناس والعمل من خلال ما يعلمون فقط ليكسب منهم أكثر ويتمتع هو بحياته الدنيا لأن ساعتها لا يكون له علاقة مع اللّه في شيء.

إذاً فالحديث يشير إلى أن ناراً تخرج من قاع أرض عدن تحشر الناس إلى بلاد الشام، والنار التي تخرج من الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بصرى الشام، وهذان الحديثان يشيران أن تلك النار ستكون قوية جداً أو ملتهبة وتصل في ارتفاعها إلى آلاف الأمتار في السماء، وذلك كي يصل نورها إلى آلاف الأميال إلى بصرى الشام، وقطعاً النار التي تحشر الناس من اليمن إلى الشام هرباً منها ومن لهيبها لابد أن تكون قوية جداً وهذه حتمية منطقية عقلية.

. . . . ونعود إلى أخاديد النار في البحر المسجور التي تزداد كثيراً جداً كما قال علماء البحار عند باب المندب والمدينة الواقعة على رأس باب المندب هي عدن. . . . إذاً عدن تقع عند نقطة ازدياد النار في البحر الأحمر ولنربط الآن بين القرآن الكريم وأحاديث رسول اللّه ﷺ فاللّه سبحانه وتعالى يخبرنا في القرآن الكريم في سورة الطور عن البحر المسجور وقد اكتشفناه ورأيناه بما هيأ اللّه لنا من علم.

والرسول ﷺ يتحدث عن نار تخرج من أرض عدن لقوتها وارتفاعها تحشر الناس إلى بلاد الشام.

نفهم من حديث رسول اللّه ﷺ أن هناك وتحت مدينة عدن ناراً هائلة ولكنها كامنة تنتظر أمر ربها بالخروج، وبما أننا اكتشفنا هذه الأخاديد في قاع البحر والملاصق لمدينة عدن فإن الحديث مع الآية القرآنية بينهما تقارب كبير، إذاً النار التي ستخرج من أرض عدن موجودة بعلم اللّه، فمن أخبر سيدنا محمداً ﷺ عنها وكلنا يعلم أنه في زمن سيدنا محمد ﷺ لم يكن علماء ولا علم عن طبقات الأرض ولا شيء عن جيولوجية الأرض ألبتة، والعلم لا يعتمد في قوله على مجرد التخمين والحدس ولكنه يعتمد على الرؤية

الصحيحة والدليل القاطع؛ بما أن سيدنا محمداً ﷺ لا يملك الدليل العلمي القاطع الملموس والمحسوس على حديثه هذا بخصوص عدن والنار التي تحتها. فلابد أن يكون الكلام من لدن عليم علَّمه وخبير أخبره وحكيم أرشده وآتاه الحكمة وفقهه في القول والعمل.

وصدق اللَّه حينما قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾

[سورة النجم، الآيتان: ٣، ٦]

فمن علّمه؟ علّمه القادر المقتدر، اللَّه الذي عنده علم كل شيء.

ولنعد الآن إلى علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا في عصرنا هذا عصر بداية القرن الواحد والعشرين وبعد ١٤٢٦ سنة من حديث رسول اللَّه ﷺ نعود إلى هؤلاء العلماء الذين أشبعوا طبقات الأرض دراسة وتحليلاً في أنحاء الكرة الأرضية بما يملكون من أسباب العلم والقوة والأدوات الجبارة في معرفة الأشياء. وأعظم الاكتشافات العلمية خلال الربع الأخير من القرن العشرين هي السفن الطائرة والمركبات الفضائية التي قدمت للإنسان أكبر خدمة علمية ظهرت على الأرض.

ولنسمع ما يقوله علماء الجيولويا. يقولون:

إن مدينة عدن تعيش فوق بركان هائل من النار قابل للانفجار في أي لحظة.

لذا فإن بعض علماء الجيولوجيا ينصحون سكان مدينة عدن بمغادرتها خوف الانفجار الهائل الذي ينتظر وقوعه في أية لحظة.

اللَّه أكبر، اللَّه أعلم، اللَّه أقدر، اللَّه عنده العلم من قبل ومن بعد، فإن هذا النبي الأمي أخبرنا عن علم طبقات الأرض دون دراسة جيولوجية ولا أدوات ولا أقمار ولا مراكب فضائية.

فهل خبر أساتذة الجيولوجيا وعلم طبقات الأرض ما قاله نبينا محمد ﷺ عن عدن وعن بركانها وعن النار التي تخرج منها حتماً منذ ١٤٢٦ عاماً.

إنهم لم يخبروا ولم يعلموا ولكننا نحن المؤمنين المسلمين نربط ما

يكتشفون بما عندنا من كتاب اللّه وحديث رسوله الكريم ﷺ.

والسؤال من أين علم سيدنا محمد ﷺ أنه ستخرج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر؟ نعم علمه اللّه وأنطقه الذي عنده علم كل شيء.

هل يشهد أحد أو يؤكد أنه كان يوجد في زمن النبي محمد ﷺ أي علم ولو كان يسيراً عن الأرض سواء سطحها أو باطنها؟

طبعاً لا يوجد ولو كان موجوداً لسمعنا به وظهر وما سكت عنه التاريخ.

علوم طبقات الأرض من أدق العلوم وأصعبها وهي التي لا تزال مستعصية في كثير من جوانبها على العلماء ولا يزال البحث رغم دقة كل الآلات التي اكتشفوها في بدايته.

مع هذا فإن رسول اللّه ﷺ يخبرنا عن باطن أرض تصل إلى مئات الأمتار أن فيها ناراً عظيمة ستظهر في زمن يريده اللّه، إنه علم إلّهي عظيم لم يكتف بإخبارنا عن النار التي في جوف عدن ولكنه يحدد متي خروجها، إنه سيكون قبل يوم القيامة علم على علم ومعرفة كاملة من قدرة إلّهية كاملة.

كتاب اللّه يخبرنا عن البحار المسجورة ورسول اللّه ﷺ يخبرنا عن الأرض المسجورة التي تنتظر أمر اللّه بالخروج. خبران تمَّ اكتشافهما للبشرية وأثبتا صحة القرآن الكريم وصدق رسول اللّه ﷺ.

ربط اللّه العلم بالقرآن الكريم الذي حكم عليه أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وربط العلم برسوله سيدنا محمد ﷺ الذي قال عنه اللّه عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ وأكد على صحة كل ما يقوله رسوله ﷺ بقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾

[سورة الحشر، الآية: ٧]

لأنه تعالى يعرف أن رسول اللّه ﷺ لا يتكلم في أي موقف من المواقف سواء كانت شرعية أو فقهية أو علمية بالخطأ أو بعض الخطأ. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾.

وقبل أن أختم حديثي عن البحر المسجور وعن النار التي تخرج من أرض عدن لابد لي أن أقول وأعيد:

إن أكثر المحطات التلفازية الفضائية عرضت في برامج لها عن عالم البحار صور تلك الأخاديد والفوهات والفتحات التي يخرج منها لهب ونار ودخان وكأنها تسجر البحر أيضاً استعداداً ليوم القيامة كما قال تعالى في علامات يوم القيامة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾(١)

[سورة التكوير، الآية: ٦]

ولقد تم تصوير هذه الأخاديد والفوهات النارية عن طريق الكاميرات الحديثة الموضوعة في غواصات مائية مخصصة للعلم والعلوم.

(١) للسير «جيمس جينز» الأستاذ بجامعة كمبردج قولٌ مشهور عن محمد ﷺ يقول «إن الأمور العلمية التي كشفت عنها دراستي ومشاهدتي خلال خمسين سنة من أنبأ محمداً بها».

تسجير البحار

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة التكوير، الآية: ٦]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾

إنها آية من آيات اللّه المعجزات من لدن عليم خبير يعلم سر الخلق بدايته ونهايته، فإن كانت هناك آيات في قدرة اللّه في البحار فقد أظهرها اللّه لخلقه ونفذ وعده الذي قال فيه:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وقد أوضحت وفصلت آيات اللّه في البحار وكيف تم معرفتها عن طريق العلم، والاكتشاف وضمن إرادة اللّه سبحانه.

وأما هذه الآية الكريمة من سورة التكوير التي يتحدث فيها اللّه سبحانه عن علامات وأمارات يوم القيامة، وهي علامات عظمى تحدث قبل يوم القيامة بقليل يوم لا ينفع نفس إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل، يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [سورة التكوير، الآيتان: ١، ٦]

آيات عظيمة جداً يخبرنا اللّه سبحانه وتعالى ماذا سيحدث مستقبلاً؟ وعند قيام الساعة من انفجار كامل للكون؟، وانفلات قانونه المحكوم بقدرة اللّه سبحانه وتفكك للهندسة الإلَهية الرائعة التي تضبط السماء ونجومها والأرض وجبالها وبحارها، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من الخالق نفسه ولا يمكن أن يكون من عند رجل حتى لو جمع فيه ذكاء عقول أهل الدنيا كلها من أول رجل إلى آخر رجل ومعهم الجن أيضاً، إنه تقدير مستقبلي عظيم. وحينما يتكلم الإنسان عن شيء فإنه لا يستطيع تجاوز عقله أولاً وبيئته ثانياً. فلا يستطيع أن يخبر بأكثر مما يحيط به وفي ساعتها فقط ولا يستطيع أن يتجاوز أصابع يده في الرأي لا أن يمتد به الخيال فيخبر عما هو أكبر من قدرته وطاقته ويتناول بتقدير كيف تلف الشمس ويذهب ضياؤها وتتكدر النجوم ويختفي لمعانها، وأن البحار

ستشتعل بالنيران وتحشر الوحوش وتكشط السماء.

وأنا كمسلم حينما أقرأ هذه الآيات أعلم تماماً أنها من عند اللّه لأني إنسان، ولي عقل وأعلم أن عقلي لا يستطيع أن يتجاوز حجمه وقوته، وأعلم أني لا أستطيع أن أخبر ما سيحدث غداً ضمن بيتي وليس ضمن العالم ومن هنا تأكدت أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من عند محمد ﷺ وأنه لابد أن يكون من عند عليم حكيم.

تفسير الآية: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.

وإذا: شرطية حذف فعل الشرط لوجود ما يدل عليه (سجرت).

البحار: جمع بحر أي كل البحار.

سجرت: اشتعلت والاشتعال لا يكون إلا بالنار.

هذه الآية قلنا: إنها تقدير مستقبلي من اللّه تعالى عما سيحدث في البحار لحظة قيام الساعة أو قبلها بقليل. نعم هذه الآية العظيمة ليس فيها سر إعجازي اكتشف أمام أعيننا في هذه الأيام كمعرفة البرزخ في قوله تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

أو كمعرفة الحاجز والحجر المحجور في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

لأن هذا سيحدث في آخر الزمان وقد يكون بعد آلاف الأعوام وذلك في علم اللّه سبحانه وتعالى ولكن هناك إشارات علمية تقول إن هذا سيحدث في يوم ما ومؤكد الحدوث وذلك لسببين:

١ ـ أن جميع البحار يوجد في قاعها أخاديد من النار تخرج من قاع البحار.

وتقل في بحر وتزيد في بحر وهذا ما ذكرته عن البحر المسجور وقلت: إن البحر الأحمر بالذات تطول فيه هذه الأخاديد وهي ممتدة من شماله حتى جنوبه، وقد يزيد طول بعض الأخاديد على بضع كيلومترات، وهذه حقائق لم تعد خافية على أحد فقد تم تصويرها وعرضت على أجهزة التلفزيون في شتى أنحاء العالم. ويعني هذا أن البحار تسجر الآن على البطيء وحينما يأتي أمر اللّه تزداد هذه البحار تسجيراً بأمره وتقوى هذه الأخاديد حتى تستطيع بقدرة اللّه إشعال البحار جميعها وتسجيرها قاطبة.

٢ ـ سورة التكوير تبدأ بقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ومعنى كورت أي تكورت والتفت على بعضها فهي تكور وتصغر ثم يذهب ضوؤها ويختفي، أما علماء الكون جميعهم فيقولون إن الشمس سيأتي عليها يوم سواء كان بعد مليون سنة أو مليار سنة ينتهي فيها غاز النيتروجين وعليها تصبح شمسنا بلا ضوء وحرارة ويصبح كوكبنا معتماً لا فائدة منه ولا حياة عليه.

هذه الواقعة قائمة لا حول منها وإن كان الخلاف حول وقت حدوثها. المهم العلم يقول: إن البحار ستشتعل بالنار والسبب الشمس، أما كيف؟ فإنهم يقولون: إن الشمس حينما ينتهي غاز النيتروجين منها تنتهي فيها الحرارة الهائلة تدريجياً وعند لحظة الانطفاء الكامل تتوهج توهجاً هائلاً ثم تخمد نهائياً وعند حالة التوهج الهائل تعطي حرارة على الأرض أضعاف ما عليها الآن وعليه فإن البحار ستشتعل جميعاً، وضربوا لها مثلاً «أنك لو أوقدت شمعة وراقبتها حتى النهاية فإنك تجد أن الشمعة عند اللحظة الأخيرة تتوهج توهجاً زائداً وتعطي أضعاف النور والحرارة ثم تنطفي» وهذا الرأي العلمي يدل على أن الشمس ستكون سبباً في اشتعال البحار وستكون الشقوق والأخاديد البركانية والحمم في قاع البحار سبباً آخر في اشتعال البحار، والله أعلم.



بركان كبير يخرج من قاع البحر الأحمر يشتعل بالحمم. فكيف إذا أمر الله يوم القيامة كل البحار والمحيطات أن تسجر؟



تفجير البحار

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ * وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ * وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾

[سورة الانفطار، الآيات: ١ ـ ٣]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

[سورة الانفطار، الآيتان: ١، ٣]

ثلاث آيات معجزات مستقبلية أكد العلم وقوعها لا محالة فنحن أمام آيات إلّهية معجزات ستقع في المستقبل، وذلك بعلم اللّٰه أخبرنا اللّٰه بوقوعها واللّٰه أصدق القائلين.

والذي لا خلاف فيه أن العلم أكد تأكيداً مطلقاً أن لكل شيء نهاية بدءاً من الذرة ونهاية بأعظم النجوم حجماً وعمراً، والتأكيد أتى من قانون الفناء فإن جميع العلماء متفقون أن فيزيولوجية الخلق تحمل عوامل الفناء عند بدء الخلق فما خلق اللّٰه شيئاً إلا وضع فيه قانون فنائه المحتم لا محالة وقد جعل اللّٰه هذا القانون يطول ويقصر حسب قاعدة الفناء في هذا الشيء فالإنسان يعيش ما بين ٦٠ ـ ٩٠ عاماً والنجم يعيش ما بين ١٠٠ مائة مليون عام ومليار عام وبعض الحيوانات تعيش خمسة أعوام، وبعض الحشرات أياماً، وبعض المخلوقات ربما تعيش دقائق وما يهمنا أن أي خلق معه قانونه ومدة فنائه، ونعود إلى الآيات الثلاث:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾:

فاللّٰه سبحانه وتعالى وبعلمه بالمستقبل كله يخبرنا ويعلمنا أن هذه السماء ذات الحبك، هذه السماء المتينة القوية جداً المحروسة بقانون إلّهي لا يغفل عنه ولا ينام سيأتيها الأمر بحل عرى الترابط والتلاحم من اللّٰه سبحانه فتنشق هذه السماء وتنفطر، ومعنى تنشق أي تخرج عن قانونها وترابطها بالجاذبية الإلّهية وتتلقى الأمر من خالقها بالانفلات من قانون الربط والجذب ثم تنشق السماء وتفتح أبوابها المغلقة المحكمة بأمر اللّٰه فتنزل الملائكة من أرجائها كما يأمر اللّٰه وذلك يوم القيامة حين تحشر الإنس، والجن، والوحوش ثم تلفهم الملائكة بأطواق محكمة بإرادة اللّٰه ثم تطوى السماء وما

فيها من نجوم هائلة وكواكب بكف الرحمن لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

يا سبحان اللّه!!

فمن أين لمحمد ﷺ النبي الأمي بأن يتكلم في قانون الفناء ويتحدث بهذه القدرة والعلم عن عرى وترابط السماء وانشقاقها؟.

﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾:

وهذه الآية الكريمة إعجاز عظيم ندركه تماماً من التعبير العلمي الصحيح وكأن محمداً ﷺ أحد أكبر علماء الفلك على ظهر هذه الأرض، وفي سورة التكوير قال اللّه تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ وفي سورة الانفطار يقول عن الكواكب ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾

فكيف علم محمد ﷺ الفرق بين الكواكب والنجوم ليخاطبنا عن النجوم بأنها ستنكدر وعن الكواكب ستنتشر؟.

هذا التفصيل والتحديد لا يأتي إلا من لدن عليم حكيم بيده مقاليد السماء وعنده العلم بحقيقة النجم وحقيقة الكوكب فهو الذي خلق، فيعلم الفرق بين الاثنين.

فالنجم: أو ما يسمى بالشمس هو المضيء أي أن النجم عبارة عن كرة عظيمة ملتهبة بذاتها ترسل الحرارة الهائلة والضوء اللامع.

والكواكب: هي عبارة عن كرة معتمة تضيء بنور النجم «الشمس» المرسل لها منه، لذا فإن اللّه سبحانه وتعالى حينما حدثنا عن النجوم في نهاية الحياة أخبرنا بأنها ستنكدر أي تنطفئ وتنتهي أي يذهب ضوؤها وتخمد حرارتها. وأما حين حدثنا عن الكواكب فقد قال: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ أي بعثرت وتناثرت وانفلتت من قانون الجاذبية المحكومة به ولم يقل «وإذا الكواكب انكدرت» لأن الكواكب لا ينبعث منها نور ولا حرارة وطبعاً هذا لا يمكن أن يكون إلا من عند العليم الحكيم الذي يفرق ما بين النجوم والكواكب.

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ :

وهذه أيضاً حقيقة واقعة يتوقع العلم حدوثها عندما تسجر البحار وتنفلت من قانونها عندما تصبح كل الأشياء خارجة عن القانون بأمر من اللَّه وتختلط كل الأوراق، ومنها تنفلت البحار من قانونها، وذلك لأن الحياة الأرضية تكون قد انتهت ولا داعي لوجود مثل هذه القوانين فهي موضوعة لاستمرار الحياة على الأرض، فحينما تتوقف الحياة على الأرض لم يعد وجود الأشياء وانضباطها ضرورياً، فالجبال التي هي أوتاد الأرض تطير وتصبح كالفراش المبثوث، والنجوم تنكدر والكواكب تنتثر والبحار تفجَّر والإنسان لم يعد يستطيع الاعتذار لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾

[سورة الرحمن، الآيتان: ٣٧، ٣٩]

وأما عن الفرق بين قوله تعالى في علامات الساعة: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

فالآية الأولى يحتم اللَّه اشتعال البحار كلها الأبيض والأحمر والأطلسي والهادي والأسود والأدرياتيك وغيرها بالنار فتصبح كتلة نارية هائلة جداً وقد فصلت ذكرها فيما سبق.

وأما قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

فهي تحوي معنى كل شيء واللَّه أعلم فكلمة (فجرت) لها معان كثيرة غير كلمة (سجرت) التي لا تحمل إلا معنى الاشتعال بالنار.

أقول تفجرت الأمور: أي انفلت قانون انضباط الأمور واختلط الحابل بالنابل.

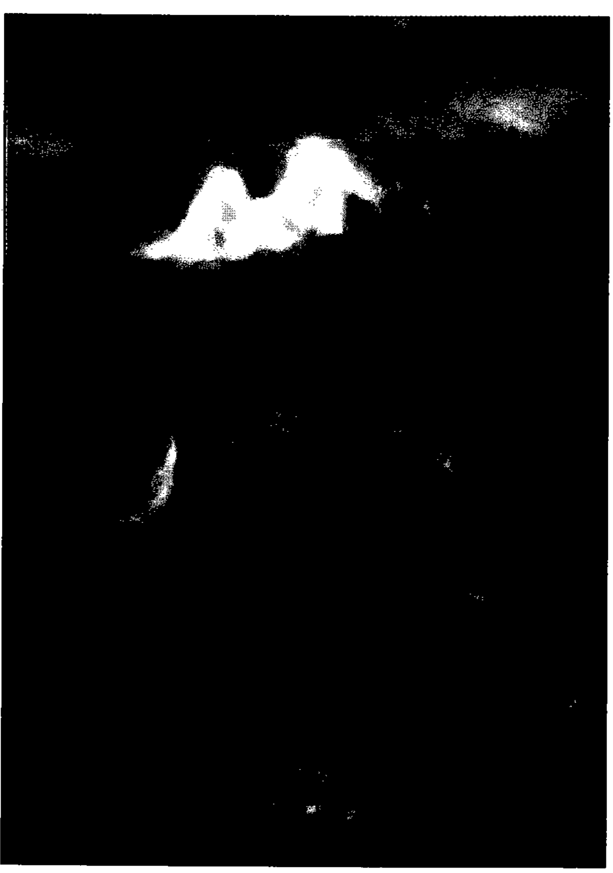
وأقول تفجرت القنابل: أي انفلت انضباطها الموضوع من صمام الأمان وأحدثت خراباً ودماراً وفتكاً.

وأقول الانفجار الكبير: وهذا اصطلاح استعمله العلماء لحظة نشوء الكون فحدث انفجار وانشطار هائل في كتلة هائلة أي خرجت هذه الكتلة عن هدوئها وتفجرت.

وتفهم من هذا أن كلمة ﴿ فُجِّرَتْ ﴾ أي خروج البحار من قانونها الوضعي المحكومة به الآن لاستمرار الحياة على الأرض. ولحظة انفجارها

يتم ضياع القانون في وجود حواجز بين البحار المالحة ووجود الحواجز بين البحار العذبة والمالحة فتختلط مع بعضها وتصبح المياه العذبة مالحة والمالح يختلط مع العذب وتدخل مياه البحار مع بعضها وتصبح أمواجه كالطود العظيم أو كالجبال الشامخات وتموت الحيوانات التي تعيش في البحار التي سخرها اللَّه للإنسان وتصبح ساعتها الحياة مستحيلة في البحار وفي اليابسة.

والعلماء في هذا الموضوع غير معارضين بل أكثرهم يؤيد اشتعال البحار وانفجارها، إذاً ما جاء به القرآن من إعجاز ـ وإن كان عن المستقبل ـ فهو محتم الوقوع، واللَّه أعلم.



انفجار هائل وسط المحيط الأطلسي التقط من الفضاء.. انظر كيف تتفجر البحار فكيف إذا جاء أمر اللَّه سبحانه ﴿وإذا البحار فجرت﴾

الحاجز بين البحار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النمل، الآية: ٦١]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

صدق اللّه العظيم.

[سورة النمل، الآية: ٦١].

صدق اللّه حينما قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾، والحمد والشكر أوجدهما اللّه تعبيراً من العبد لخالقه الذي يعطي عباده وييسر لهم كل سبل الحياة الرضية الهانئة، والمقابل هو الحمد والشكر للّه، لا أن نجحد كما جحد بنو إسرائيل نعمة ربهم ثم نتخذ إلّهاً آخر نعبده...

أربع معجزات إلّهية في هذه الآية العظيمة...

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي أن اللّه بقدرته وعلمه هيأ لنا نحن البشر هذه الأرض وجعلها لنا سكناً وقراراً، والسكن يجب أن يكون آمناً، كما تأمن على نفسك في بيتك وتأخذ بأسباب الحيطة والحماية من أي اعتداء وهجوم عليك من الخارج فتصنع النوافذ وتشبكها بالحديد وتصنع الباب وتجعل عليه قفلاً محكماً.

واللّه سبحانه حينما أراد أن يجعل هذه الأرض قراراً وسكناً لعباده فلابد من توفير سبل الحياة رحمة بخلقه جميعاً، فقد جعل اللّه للأرض غلافاً جوياً يحمي الأرض وساكنيها من هجوم الشهب والنيازك المدمرة من السماء وجعل في الأرض رواسي **(جبالاً)** من أجل أن لا تميد الأرض وتفقد توازنها، وجعل فيها الماء والبحار وخلق الزرع والأشجار وأمن البشر من فتك الحيوانات المفترسة، وما خلق اللّه من داء في الأرض إلا وله دواء وترك للإنسان حرية التفكير والتأمل بما هيأ اللّه له من سبل الأمن والأمان، وفوق هذا أرسل لهم الرسل لتعلمهم وتهذبهم وتعيدهم إلى الطريق الذي شذوا عنه.

فاللّه لم يخلق عباده للعذاب والشقاء والجوع والحرمان، ففضل اللّه علينا عظيم، بل أمَّنهم في حياتهم وهيأ لهم في هذه الأرض كل الوسائل المريحة من أجل الحياة لتكون رضية هنية.

فالحياة مستحيلة على سطح القمر أو الزهرة أو المريخ لأن اللّه لم يجعل تلك الكواكب قراراً وسكناً لأي من الخلق فلم يعط الأمن والقرار لتلك الكواكب.

وأكبر الدلائل أنك ترى من الصور المرسلة من السفن الفضائية لتلك الكواكب آثار الدمار الناتج عن هجوم النيازك والشهب وأجساماً غريبة، وأول هذه الحماية القوية للأرض المميزة تماماً عن باقي الكواكب هذا الغلاف الجوي المحيط بالأرض والذي يحميها من أي خطر داهم.

﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا ﴾.

وهذا فعلاً لا يأتي من الطبيعة البلهاء فالأنهار يجب أن يكون مجراها خلال الأرض اليابسة لتوفر وتؤمن سبل الحياة لأهل الأرض.

فالأنهار هي أحد الأسباب الرئيسة في استمرار الإنسان على الأرض فلولا وجودها لانعدمت الحياة على الأرض، فمن أين يسقى الزرع؟ ومن أين تشرب الحيوانات؟ وكيف يعيش الإنسان من دون ماء يأتي إليه دون جهد وتعب يحيطه في مسكنه كما تحيط الأنهار بسكان أهل الأرض؟

والقدرة الإلّهية نلمسها في عملية عكسية. فماذا لو أن مياه الأنهار التي تجري في الأرض مالحة ومياه البحار هي العذبة فلو كان الصانع هي الطبيعة كما يقول الملاحدة ألا تخطئ هذه الطبيعة؟ فإذا كنا نحن البشر وبما نحمل من عقول وتفكير نخطئ في اليوم مرات ومرات أفلا تخطئ الطبيعة وتجعل الماء الذي يجري في الأنهار مالحاً؟!! طبعاً هذا ممكن وأكيد.

فجريان الماء في اليابسة أكبر منَّة وفضل من اللّه على عباده ـ فلنحمده ونشكره ـ وحاشا للّه أن نعبد سواه فهو الخالق المستحق للحمد والشكر على الدوام.

﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ ﴾.

وهنا نبت راسخ ثابت، وقبل أن أدخل في موضوع الرواسي أيستطيع

أحدنا أن يبني بيتاً أو عشاً أو حتى خيمة دون أن يجعل لها أساساً متيناً يحمي هذا البناء من السقوط؟ وكم من البيوت والبيوت الشامخات سقطت وهوت. . . لمجرد ضعف أساسها وتأسيسها؟.

وهكذا الأرض لا يمكن أن تثبت وتستمر ملايين السنين لولا هذه الجبال التي جعلها الله أوتاداً تحمي الأرض من الميد والاهتزاز.

وهنا معجزة خالدة سطرها وسجلها القرآن منذ ١٤٢٦ عاماً على لسان سيدنا محمد النبي الأمي.

قال تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾

[سورة النبأ، الآيتان: ٦، ٧]

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣١]

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾

[سورة النمل، الآية: ٦١]

سيدنا محمد ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب وهو بعيد تماماً عن جيولوجية الأرض، وليس هو فقط ولكن كل من عاش في زمنه، فهم لا يعلمون شيئاً عن الأرض والبحار والجبال والنجوم التي تحدث عنها القرآن الكريم.

فإذا كان العلم لم يكتشف إلا في هذا القرن أن الجبال هي أوتاد الأرض؟ ولولا الجبال لاستحالت الحياة على الأرض، فالجبال هي المثبتة للأرض، وهي الحافظ الأمين للكرة الأرضية.

نعم، ولقد وجدوا أن أي جبل على الأرض له قاعدة مثليه تماماً تحت الأرض، فالوتد الذي ذكره القرآن هو تحت الأرض تماماً وحينما نريد أن نثبت وتداً لنصب خيمة فلابد أن يكون نصفه الأول تحت الأرض ونصفه الثاني فوق الأرض أو ثلثاه لإتمام عملية الثبات الكلية.

فلو أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام جاء في عصرنا هذا وجاء بهذه العلوم وذكرها في القرآن لقلنا: إن سيدنا محمداً ﷺ لم يأت بشيء لأن هذا معروف لدى العلم والعلماء، ولكن سيدنا محمد ﷺ جاءت رسالته ونزل

إليه القرآن في زمن أهله أبعد عن العلم بالكون والأرض وفي كل شيء.

ولذلك لا يمكن أن يكون هذا الكلام إلا من عند اللّه العالم العليم الذي يعرف أساس الخلق أوله وآخره قديمه وحديثه...

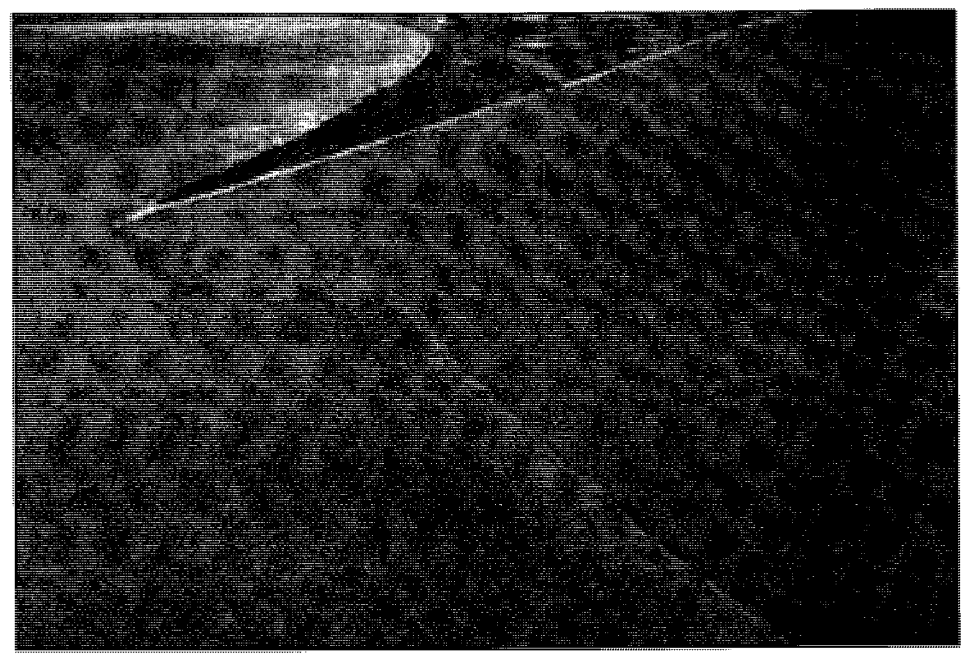
﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾

ولقد سبق الحديث عن معنى الحاجز وأنه قدرة عظيمة من اللّه سبحانه وقد وضع اللّه حاجزاً بين أي بحرين على سطح الكرة الأرضية وليس من شيء خلقه اللّه سبحانه وتعالى إلا وله مدلول عظيم في معرفة الخلق وأساسه، فلا يمكن أن يكون هناك حاجز بين البحرين لمجرد وجود حاجز، فلابد له أن يكون خيراً عظيماً لخلق اللّه، فاللّه وحده يعلم ماذا يعني وجود حاجز، وقد بدأ العلم يعرف سر وجود الحاجز بين البحرين المالحين وذلك للمحافظة على بيئة أي بحر له خواصه المعينة ومعادنه وحيواناته ومرجانه وأعشابه، وربما يكون في الخلط بين البحرين استحالة الحياة في البحار لأنواع كثيرة من الحيوانات والمعادن والمرجان تماماً كما يحدث على الأرض، ففي كل أرض بيئة معينة وحيوانات معينة، وزراعات معينة، فالبطيخ الأحمر لا يعيش في البلاد الباردة، كما أن حيوان البطريق لا يعيش على خط الاستواء، وكذلك في البحار فلكل بحر حياته الخاصة، فصل اللّه بينهما بحاجز من قدرته وهو نوع ثالث من المياه لا يسمح بدخول مياه أي بحر إلى مياه البحر الملتقى به، فاللّه لم يجعل الحاجز حائطاً فولاذياً فهذا عيب في الخلق، ولكن قدرة اللّه والمحافظة على جمال الطبيعة جعلته حاجزاً من نوع ثالث من المياه، وهذا سر الإعجاز والعظمة والقدرة المتناهية، **سواء بين البحرين المالحين أو بين البحر المالح والنهر العذب،** محمد ﷺ رجل عادي بشر مثلنا لا تستطيع عيونه أن تخترق مداها وتكشف أسراراً عظيمة وخاصة أنه يعيش في بيئة صحراوية قاحلة قاسية لا حضارة فيها ولا علم، فالعلم الآن وتعاون البشر كلهم في الأرض وبما وهبهم اللّه من علوم لا يزالون في بداية الطريق، ولولا الأقمار الصناعية لما عرف تماماً سر الحواجز بين البحار رغم التقدم الهائل التكنولوجي فيما سبق وكانت كلها دراسات غير مؤكدة.

ورغم كل هذا الفضل العظيم وهذه القدرة الإلّهية فإنا نرى أن أفراداً وأقواماً يجعلون مع هذا الإلّه العظيم إلّهاً آخر لجهلهم وعنادهم وكفرهم ويجحدون حق اللّه وقدرته، وصدق اللّه تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾

[سورة الحج، الآية: ٧٤].

واللّه أعلم.



﴿وجعل بين البحرين حاجزاً أإلّه مع اللّه﴾ هذه منطقة التقاء البحرين المالحين الأطلسي والمتوسط. انظر إلى ماء الحاجز التي تختلف عن مياه الأطلسي والمتوسط. . ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾



الفصل السادس

١ ـ مداد البحر.

٢ ـ البحار ومفاتح الغيب.

٣ ـ معجزة الفُلك التي تجري في البحار بأمر اللَّه.

٤ ـ الماء العذب والملح الأجاج في البحار والأنهار.

٥ ـ كلمات اللَّه ومداد البحار السبعة.

٦ ـ البحر والطود العظيم.

مداد البحر

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾

[سورة الكهف، الآية: ١٠٩]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ صدق اللّه العظيم.

[سورة الكهف، الآية: ١٠٩]

آية قرآنية تمثل القدرة الإلَهية وتقرئنا الجواب بأن علم اللّه لا ينتهي. ولقد مثل اللّه لنا البحر في مقام هذه الآية حتى تستطيع عقولنا إدراك المعنى المراد، فالبحر وما فيه لا يمثل أمام قدرة اللّه وعلمه شيئاً، ولكن بالنسبة لنا هو قدرة وعلم متناه، وليس أمامنا نحن البشر على الأرض ما هو أكبر وأعظم من البحر إذا أردنا أن نشبه أو نعبر عن شيء عظيم وكبير.

لذا ضرب اللّه مثله به حتى ندرك الفكرة وتصل إلينا.

الذي يريد اللّه أو يوصله لنا فهو الإشارة أن قدرة اللّه وعلمه لا طاقة



﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾

لعقولنا بها، فمهما حاولنا أن نتكلم عن قدرة اللَّه وعلمه سنجد أنفسنا أخيراً لا نصل إلى ما يستحقه من الإجلال والتعظيم.

ونحن البشر على الأرض نستعمل الحبر «المداد» إذا أردنا العلم والكتابة لذا جعله اللَّه لنا مثلاً مضروباً. . . والرسالة أو الكتاب الذي نريد أن نؤلفه أو نكتبه نحن البشر بالمداد «الحبر» مهما بلغ حجمه فإنه لا يستهلك أكثر من قارورتين من المداد.

فماذا يكون لو كان البحر مداداً؟ كم يكون عدد الكتب التي نستطيع أن نكتبها بهذا المداد الذي حجمه حجم البحر؟ . . هذا لا يمكن بل هو بالنسبة لنا يدخل في المستحيل.

و«كلمات» التي وردت في الآية القرآنية تعني «علم اللَّه» ومثَّل اللَّه علمه بكلمات لأن الكلمات هي التي تعبر عن العلم، فالقراءة والكتابة والعلم مصدرها الكلمات فعبر اللَّه عن سعة علمه بلفظ «كلمات».

ففي الآية إعجاز لغوي مذهل وفيها ربط فني رائع بين الكلمات والمعنى وتحس أنك أمام معنى لا يصل إلى العقول إلا بهذا التشبيه فكلمات الآية متصلة اتصالاً هندسياً متين البيان.

فاللَّه سبحانه وتعالى في هذه الآية ترك الإنسان يعيش في ذهول من قدرة اللَّه وسعة علمه ويشعر أنه ضعيف جداً أمام الخالق الذي لا ينتهي كونه ولا ينتهي علمه، وما التحصيل العلمي واللغوي الذي يصل إليه الإنسان إلا تحصيل دنيوي من أجل الحياة لا أكثر وبأمر من اللَّه وقدرته، لقوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

والآية الكريمة واضحة وصريحة وكأنها تقول: أيها البشر لو أنكم اجتمعتم جميعاً وكنتم على قلب رجل واحد ووضعتم أقلامكم كلها على بساط البحث والكتابة وكان وراءكم مداداً للكتابة لا ينتهي فإنكم لن تصلوا إلى قدرة وعلم اللَّه وإليك دليل على ما أقول:

إننا في أوائل القرن الواحد والعشرين وهناك منطقة ذات مساحة هائلة في السماء لونها أسود لا أثر فيها لكوكب أو نجم يضيء، ظن علماء الفلك

أنها منطقة في الكون الفسيح خالية تماماً من أي نجوم ومجرات وأقروا هذا واستراحوا ولكن لما صنعت أمريكا منذ عامين التلسكوب الفضائي الضخم وأسمته «**هابل**» ثم أطلقته على مركبة فضائية في السماء فإذا به يرسل لهم صوراً توضح لهم أن هذه المنطقة الهائلة الاتساع في السماء والتي ظنوا أنها خالية تماماً من أية كواكب ونجوم ومجرات... فيها من المجرات الكونية التي لا يعلم عددها إلا اللَّه.... وأقربها للأرض تبعد عنها / ٧٠٠ / سبعمائة مليون سنة ضوئية، وأما أبعدها ففي علم اللَّه... فأين نحن من كلمات اللَّه وعلمه وقدرته؟ وكلما اكتشفت البشرية شيئاً وجدت بعد فترة من الزمن شيئاً جديداً آخر وهكذا... حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

وهذه الآية ليست تحطيماً لعقول البشر وتحديداً لمسيرتهم في العلوم والابتكار، فنحن أيضاً خلفاء في أرض اللَّه سبحانه بما وهبنا اللَّه من عقل وحكمة، ولقد فضلنا اللَّه على كثير من خلقه تفضيلاً. قال تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

ولكن هذا بيان عظيم من اللَّه لإيضاح قوته وقدرته وعلمه وعظيم ملكه الذي لا تدركه عقولنا التي لها طاقة محدودة مرسومة ضمن آلية رسمها اللَّه لنا لا نحيد عنها أبداً... فليست قدرة اللَّه هي التي وصلنا إليها أو عرفناها بعلومنا واكتشافاتنا.... وظن بعض الناس أنهم وصلوا إلى قدرات يستطيعون بها أن يتحكموا في الأرض أو في السماء وكيف ذلك، ومنذ عامين قال العلماء إنهم وجدوا مجرات لا يمكن حصرها أو عدها أقربها إلينا يبعد سبعمائة مليون سنة ضوئية، وسيطالعنا عالم آخر بعد مائة عام ويقول إنهم ـ أي العلماء ـ وجدوا أن هذه المجرات كلها لا تشكل أمام هيكل مجرة واحدة مكتشفة شيئاً فإنها تتسع للجميع وهكذا كأني أسمع وأرى هذا الخبر بعد مائة عام.

فإذا كانت الجنة التي أعدها اللَّه سبحانه لنا عرضها كعرض السموات والأرض فأين نحن من علم اللَّه وقدرته.

إن هذه الأرض التي نعيش عليها هي واحدة من مليارات المليارات من الكواكب والنجوم، التي تسبح في الفضاء.. فهل تستطيع البشرية وبكل ما تملك وحتى بعد آلاف الأعوام أن تشكل وتبني كوكباً واحداً مثل الأرض وتجعله يسبح ضمن جاذبية السماء؟... فإذا كنا لا نستطيع ولن نستطيع... فلسنا بشيء أمام كلمات اللّه وقدرته. واللّه أعلم.

البحار ومفاتح الغيب

قال تعالى:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٥٩]



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا .... ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٥٩]

آية فيها علم الأولين والآخرين ولا يحيط بعلم هذه الآية الإنس والجن والملائكة ولا حتى الملائكة المقربون.

إنها آية فيها السر الأعلى الإلّهي الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه وإن أزاح الستار قليلاً عن بعض علمه رحمة بالبشرية وإن لم يفعل لتركنا نعيش في ظلام قاتل يفتك بعضنا بعضاً دون أن نعلم سر الوجود أو سببه.

وما رأيت في القرآن الكريم آية تماثلها قوة ورهبة وعظمة إلا قوله تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٨]

وكلمة مفاتح كلمة لها مدلولات كبيرة جداً وهي مجازية ولا تعني المفاتح كمفاتيح ولكن تعني أن اللّه عنده العلوم كلها والأسرار كلها والأوامر كلها والقدرة كلها، ولا يعلمها إلا هو أي اختصها لنفسه ولم يطلع عليها أحداً من الملائكة أو الإنس وحتى هذا أيضاً رحمة من اللّه لعباده لأننا غير مؤهلين ولا مهيئين ولا أجسادنا وعقولنا تستطيع أن تتحمل غيب اللّه وعلمه، فهناك الكثير حتى من علوم الدنيا وغيبها لو أطلعنا اللّه عليها لفسدت حياتنا وضاق صدرنا وتعبت نفوسنا وعشنا نهارنا في مقت وحزن وتشاؤم مستمر. ومع كل ذلك... فإن عقولنا

لا يمكن أن تتحمل غيب اللّه وعلمه ولا يمكن لعقولنا أن تتجاوز مداها الذي رسم اللّه له حدوده، ومهما أوتينا من العلم فهو ضمن الحدود المفروضة على عقولنا حتى لو بلغنا بعض أسباب السماء فإنا لا نملك شيئاً من قدرة اللّه وعلمه فأرضنا والمجموعة الشمسية كلها لا تشكل كما قال العلماء إلا حبة رمل واحدة في صحراء مترامية الأطراف.

ثم يقول اللّه ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ وعلم اللّه ليس نظيراً لما أوتينا نحن من علم فإننا نعلم ما في بيتنا وما في سوقنا وما تراه أعيننا لكن علم اللّه أعظم وأكبر مما تتخيل عقولنا الصغيرة.

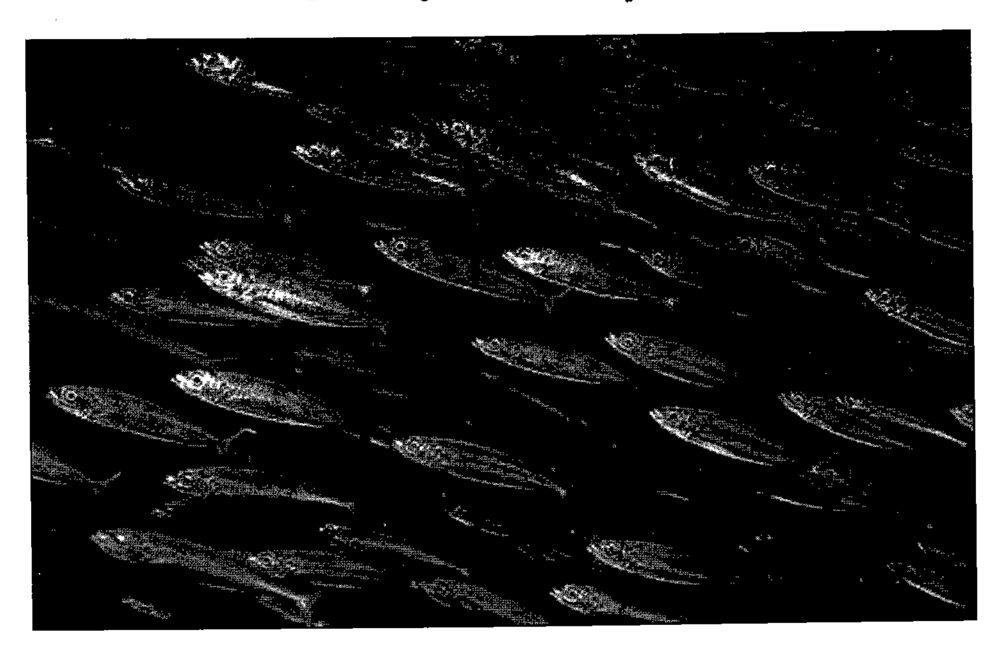
فالبر واسع كبير فيه ما لا تراه أعيينا وما نراه لا يشكل بالنسبة لعلم اللّه شيئاً، وهذا باب كبير، نأخذ منه على سبيل المثال النبات كيف ينمو ويموت وكيف تدخله الأغذية بمقدار وبوزن محكم، والحيوان الذي يعيش بدون عقل ويرسل اللّه له رزقه بقدر معلوم، والديدان والحشرات التي تعيش وتنمو حتى في باطن الصخور والحجور ولا نعلم عنها شيئاً، ويعلم الأرض التي هي بحاجة إلى ماء وما بها من خلق اللّه في ظاهرها وباطنها ومقدار حاجتها بحيث لا يقل فتموت الأحياء، ولا تزيد فيكون الدمار والهلاك، كل شيء بقدر. فإذا كان البر اليابس قد حدد اللّه علمه بذاته فكيف يكون البحر؟

البحر الذي بقي في علم المجهول حتى وقتنا القريب وكانت البشرية لا تعلم عنه سوى القليل الذي لا يذكر كتعاملهم معه عبر سطحه وفي أماكن محدودة فقط وكانوا يعيشون على ما يطرحه لهم البحر على شواطئه من حيوانات بحرية وحينما تطوروا قليلاً استطاعوا أن يستعملوا الشباك في صيد بعض حيواناته الخفيفة والصغيرة الحجم.

ولما شاء اللّه أن يُري عباده بعض علمه هيأ لهم الأسباب ليروا عظمة اللّه وقدرته، فاستطاعت البشرية أن تصنع السفن الكبيرة والغواصات والكاميرات وملابس خاصة للغوص ودخلوا في مجاهل البحر، وكلما ازدادوا علماً وتعمقوا في دراسة أعماق البحار تأكدوا ثانية وأنهم لا يزالون في بداية الطريق.

وآية اللّه ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ توحي بأن علم اللّه في البحر كبير جداً، ولا يمكن أن نصل إلى شيء منه إلا القليل، وما نراه اليوم وما اكتشفه بعض علماء البحر الذين أمضوا حياتهم في دراسة البحار أشياء تبهر وتذهل العقل.

لقد اكتشفوا مئات الألوف من الحيوانات البحرية كل له نظامه، حياته، غذاؤه، وطريقته في المعيشة والحياة، ومنها الكبير الذي يبلغ الأطنان ومنها الصغير الذي لا يتجاوز جرامات قليلة.



مليارات بل مليارات المليارات من الأحياء المائية كل واحدة منها
يعلم اللّه سبحانه مستقرها ومستودعها ويعلم ما في البر والبحر

ولقد اكتشفوا أن في البحار ودياناً وجبالاً وأنفاقاً تبهر العقول وتؤكد على قدرة الخالق العظيم، الخالق القادر، الخالق المقتدر.

ولقد اكتشفوا أن لكل بحر نظامه وحياته وماءه وحيواناته وجواهره ومجاهله العميقة.

ولقد اكتشفوا أن ما بين البحار حواجز تمنع اختلاط البحار بعضها ببعض حتى لا تفسد حياة البحار. ولقد اكتشفوا أن ما بين البحار والأنهار

حواجز وحجراً محجوراً، وعلموا أن هذا الحاجز قد وضعه اللَّه حتى لا تصبح حياة الأنهار مالحة عبر مئات الألوف من السنين، وذلك إن حدث لصارت حياة الإنسان على الأرض مستحيلة.

ولقد علموا أن في البحار أغذية للبشرية إن أحسنوا استخدامها فإنها تكفيهم وتؤمن حياتهم على الأرض.

ولقد علموا أن أنواع الكائنات الحية في البحار تزيد في تنوعها عن حياة البر اليابس.

ولقد أكدوا أن في قاع البحر براكين وأخاديد تخرج منها النار وعلموا أن هذه البراكين والأخاديد متنفس للحمم والبراكين الهائلة في قاع الكرة الأرضية. ووجدوا أن في قاع البحار شقوقاً وصدوعاً تعمل على موازنة الكرة الأرضية. وعلموا أن في البحر قوى مسيطرة ومهيمنة على أجزاء كبيرة وهي الآمرة والحاكمة ضمن مجالها. كالحيتان العظيمة وسمك القرش وغيرها من الحيوانات الكبيرة.

وكل ما علموه لا يمثل شيئاً أمام علم اللَّه فكل ما يسبح في البحار رزقه على اللَّه ولا تستطيع البشرية أن تؤمن رزق نوع واحد كالحيتان مثلاً.

وأين نحن من دقائق الأمور لمخلوقات تعيش في خفاء عن أعيننا في مجاهل لا يعلمها إلا اللَّه؟ فسر الخلق يكمن في كل شيء صغيره قبل كبيره، فأين البشرية من متاهات البحار وأنفاقها ووديانها وما يعيش فيها؟ أين هم من ظلمات البحار؟ هل ما تستعمله البشرية من ضوء ينبعث من فانوس بيد الغواص يكتشف مجاهل البحار؟ والذين تراهم يهزون الحبال التي ربطوا بها لسرعة إخراجهم قبل الاختناق والموت، وأين الغواصات من أن تدخل تلك المجاهل المحصنة بالصخور والجبال والتي لا تستطيع حتى من مجرد الاقتراب منها خوف التحطم والضياع؟. ومع كل هذا فإن عندي أن دودة في البحر لا يتجاوز طولها ملليمترات أعظم من واد في بحر أو جبل في بحر لأن عظمة الخلق تمكن في متابعة تلك الدودة وتأمين سبل حياتها ورزقها

والحفاظ عليها من الهلاك وتوالدها من بيضها وحفظ هذا البيض وهذا النسل.

وأما قوله تعالى ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ فهذا شأن آخر وعلم آخر وقدرة أخرى.

إنها كلمات من عند الله لا يستطيع قلم مهما أوتي صاحبه من العلم والذكاء أن يعطي التعبير الصحيح والمدلول الواضح لهذه الكلمات التامات. فما أعظمك يا ربي. كيف أعبر عن آياتك وكلماتك؟! وهل نحن مؤهلون أن نقف أمام كلماتك ليكون لنا شرف التفسير والبيان لعظمتك وجلال قدرتك.

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ كلمات فيها العلم الإلّهي وقدرة القادر تعجز أمامها العقول وتخشع القلوب، فهل تستطيع البشرية كلها لو اجتمعت أن تحصر وتعد ورق شجر غابة واحدة من تلك البقاع الفسيحة في الأرض.

أوضع الله سبحانه حفيظاً على كل ورقة؟ أم هي مسجلة عنده: خلقها وحياتها ومماتها في اللوح المحفوظ؟ أم أرسل الله الملائكة ليعدوها ويحصوها ويعطوها زمناً في خلقها وحياتها ومماتها من أمر الله وقدرته؟ أم هي في علم الله الذي يرقب كل ورقة من شجرة على هذه الأرض؟! فياويلنا من مراقبة الله لنا، فماذا عنا نحن البشر وكيف سنقف أمام الله للحساب وهو يعلم السر وأخفى و يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[سورة ق، الآية: ١٨]

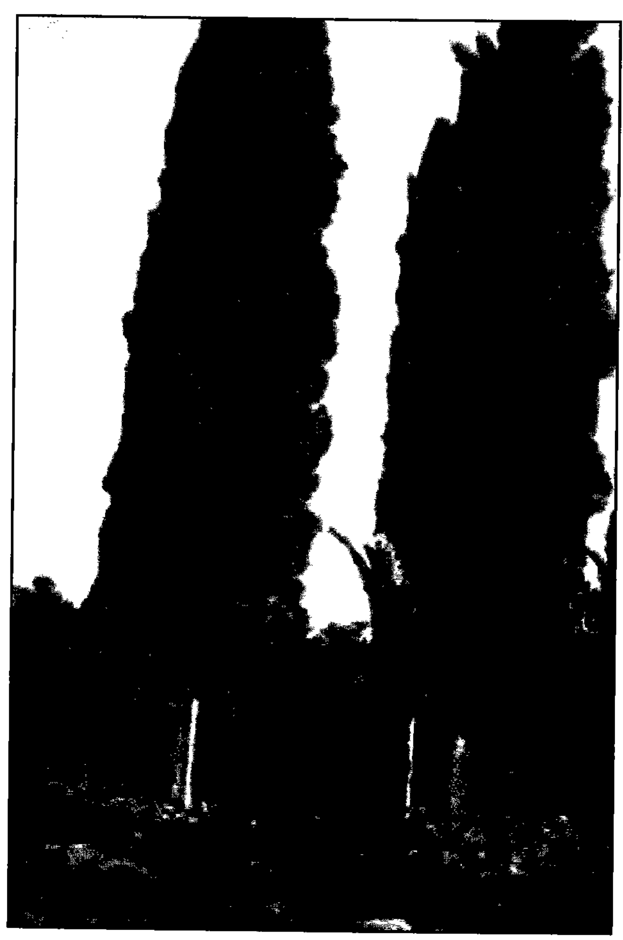
يا سبحان الله! رحمتك وعفوك يا ألله.

فَوَاللّه إني لعلى قناعة أن أقلامنا جميعاً تقف عاجزة أمام التعبير الإلّهي العظيم في هذه الكلمات ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ فهي سر الأسرار وعلم علام الغيوب وقدرة ولا تكون إلا من إلّه قادر مقتدر يفوق عقولنا وتخيلاتها وتصوراتها لمكنون الأشياء. وصدق الله حيث قال: ﴿ لَا

يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٣]

والله أعلم.



﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ رغم أن في إحدى الشجرتين ما يزيد على مائة ألف ورقة ورغم أن هذه شجرة من بليارات المليارات من الأشجار في الأرض إلا أن كل ورقة يعلم الله سبحانه ولادتها وموتها وسقوطها

معجزة الفُلك التي تجري في البحر بأمر الله

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٢]



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
[سورة الجاثية، الآية: ١٢]

. . . . القرآن الكريم كله معجز وآياته معجزات تنوع فيها الإعجاز. . . ولكن من الآيات الكريمة ما تستوقفك حقاً وقفة مطولة تسأل فيها لماذا؟ وكيف؟ وما يقصد بذلك اللّه سبحانه منزّل القرآن الكريم وآياته؟.

وقد قدمت في آيات كثيرة أن اللّه سبحانه عندما يبدأ الآية الكريمة ـ (اللّه الذي) أو (ومن آياته) أو (هو الذي) ـ فيعني هذا أن القادر في معنى هذه الآية الكريمة هو اللّه سبحانه وحده وليس سواه، وأن في معنى الآية الكريمة إعجاز إلّهي قد لا ندرك كنهه أو معناه وقتئذ ولكن نعلم أن في الآية إعجاز كبير كقوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾
[سورة الجاثية، الآية: ١٢]

أو كقوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾
[سورة الشورى، الآية: ٣٢]

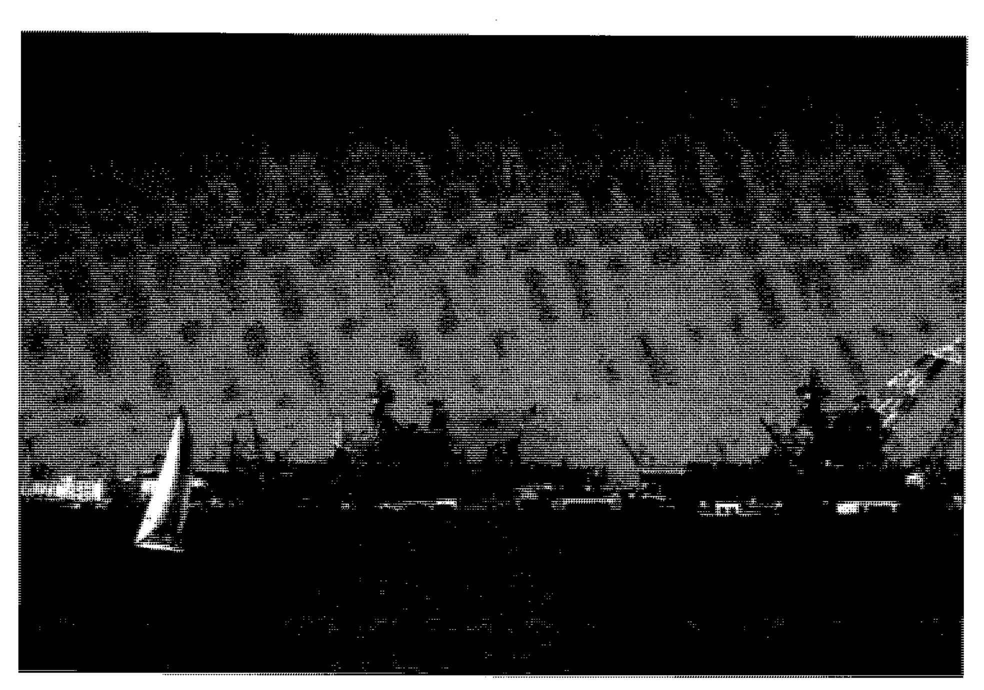
وقد تعددت الآيات الكريمة التي يذكر فيها اللّه سبحانه قدرته وعلمه في تسيير السفن أو القوارب أو البواخر العملاقة التي تمخر عباب البحر. . والمعنى أن اللّه سبحانه أوجد قانوناً في البحر من خلاله تستطيع تلك السفن أن تسير في البحر. . ولولا هذا القانون لما استطاعت السفن أن تسير في البحر أو المحيط واعتبر اللّه ذلك من آلائه ونعمه على عباده من البشر. يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣١]

وكل ذلك رحمة اللَّه سبحانه في عباده.. فالبحر والمحيطات تشكل ٧١٪ من مساحة الكرة الأرضية، واليابسة التي تعيش عليها البشر لا تشكل سوى ٢٩٪ من مساحة الكرة الأرضية، وهذه اليابسة ليست موصولة مع بعضها في مكان واحد من الأرض بل هي متباعدة،وانفصلت أجزاء كبيرة منها فشكلت القارات كقارة أستراليا، وقارة أميركا الشمالية، وقارة أميركا الجنوبية، وهكذا وبينها جميعاً أبعاد طويلة قد تزيد عن آلاف الكيلومترات... فكيف يكون انتقال البشر من هذه القارة إلى تلك ويفصل بينهما محيط عظيم أو بحر كبير قد تتجاوز مساحته عدة آلاف من الكيلومترات.. هنا جاءت رحمة اللَّه سبحانه بعباده لتبادل المنافع كقوله تعالى:

﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٦٤]



آلاف السفن تسير في البحر كالأعلام وكلها تجري في البحر بنعمة اللّه

فلا بد للإنسان من الانتقال بين هذه القارة وتلك، فقد خلقنا اللَّه

سبحانه شعوباً وقبائل لنتعارف ونتبادل الخبرات والمنافع لنبتغي من فضل اللّه، يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

[سورة الحجرات، الآية: ١٣]

فلا بد من وسائل تنقل الناس بين أصقاع الأرض وعبر المحيطات والبحار... فكانت هذه السفن التي تنقل الناس عليها لتحقق منافع الناس ومنها التعارف وتبادل المنافع كما أراد اللّه سبحانه.

هذا من ناحية... ومن ناحية أخرى فإن اللّه سبحانه خلق في البحر ما لا يعلمه إلا هو من أنواع الأسماك والحيوانات البحرية، واللؤلؤ والمرجان وغيرهما من المعادن والبترول والغاز في العصر الحاضر... فلولا أن اللّه سبحانه جعل قانوناً في البحر تستطيع فيه القوارب والسفن من السير على الماء واستغلال ما في هذه المحيطات والبحار من رزق عظيم أودعه اللّه سبحانه حيث إن علماء البيئة والبحار توصلوا حتى اليوم إلى وجود أكثر من مليون نوع من الأسماك في المحيطات والبحار والأنهار غير الآلاف من الأنواع من الحيوانات الأخرى.. فسبحان اللّه الكريم الذي أودع في هذه البحار هذا الرزق العظيم.

يقول تعالى:

﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ * بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٩، ٣١]

ومن الآيات الكريمة يتبين لنا أن هناك رزقاً كبيراً وتُستخرج من البحار المالحة والعذبة ﴿ لَحۡمٗا طَرِيّٗا ﴾ إشارة إلى الأسماك والحيوانات البحرية

﴿ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ وكذلك ﴿ ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ فالحلية واللؤلؤ والمرجان للبس والزينة.

.... فهذه نعم اللَّه وحده القادر عليها ومقدّرها سخرها للإنسان كما سخر كل ما في هذه الأرض والسماوات للإنسان.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

نعم سخر لنا من فضله كل ما في السماوات والأرض، وأعطانا من النعم ما تظهر لنا، وما أخفي عنا اللَّه أعلم به، تغفل عنه الناس لقلة علمها وقدرتها على فهم هذا النعم العظيمة.

وقبل أن ندخل المدخل العلمي لتفسير هذه الآية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٢]

لنستمع ما قاله المفسرون حول هذه الآية الكريمة وغيرها والتي قدمت عنا في نصوص تسيير الفلك في البحر بأمر اللَّه، ونعمة اللَّه، وفضل اللَّه، فجعلها آية من آياته الكريمة.

يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآيتان: ١٢، ١٥]

اعلم أنه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل إلا بسبب تسخير ثلاثة أشياء (أحدها) الرياح التي تجري على وفق المراد (ثانيها) خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك (ثالثها) خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص

فيه، وهذه الأحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر، فلا بد من موجد قادر عليها وهو اللّه سبحانه وتعالى، وقوله ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ معناه إما بسبب التجارة، أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان، أو لأجل استخراج اللحم الطري[1].

التفسير العلمي لهذه الآية الكريمة:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِىَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٢]

.... الإنسان رغم ذكائه وفكره وعقله المميز وتفضيل اللّه سبحانه له على كثير ممن خلق اللّه، ورغم كل ما توصل إليه اليوم من علم فاق الأجيال السابقة بمئات المرات، ورغم هذه الاكتشافات العظيمة إلا أنه يبقى مخلوقاً ضعيفاً لا يملك حيال أمر الكون والأرض والبحار والأنهار ولا حتى حيال أمره شيئاً..... فأي واحد منا خلق فوجد نفسه أمام حياة لها نظامها وموجودات لها قوانينها. وخلق متنوع له حياته ودورته لا يملك له تغييراً ولا حياة ولا موتاً وليس له أي دور في وجودها ونظامها... وهذه موجودة من أن خَلَق اللّه أول إنسان على الأرض وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها... ولد أحدنا وكبر وأصبح شاباً فوجد من فوقه الشمس تشرق وتغرب منذ ملايين السنين، وما ملك هو ولا أحد غيره من أمرها شيئاً، وكذلك وجد القمر، وكذلك وجد الهواء، وكذلك وجد الماء والأنهار والبحار والبحيرات والمحيطات، والجبال والوديان، والغابات، والحيوانات إلخ...... من الخلق الذي لا يعد ولا يحصى، وكلها لا يملك من أمرها شيئاً، حتى نفسه فلا يملك من أمرها شيئاً، فهو لا يملك لنفسه خلقاً ولا موتاً ولا بعثاً.. ولا يملك لجسده من أن يغير من نظامه شيئاً فهو بحاجة إلى طعام وشراب وأكسجين وماء، وغذاء إلخ... وهكذا وجد الإنسان كل شيء أعد له مسبقاً من خالق خلَق ونظّم ورتّب وجهّز كل شيء بقدرته وعلمه وجعل لكل شيء خلقاً وقدراً وسبباً بنظام رائع لا تجد فيه فطوراً، ولا خللاً، ولا ضعفاً.

---

(١) تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب الجزء ١٤ صفحة ٢٦٣

يقول تعالى:

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٤٩]

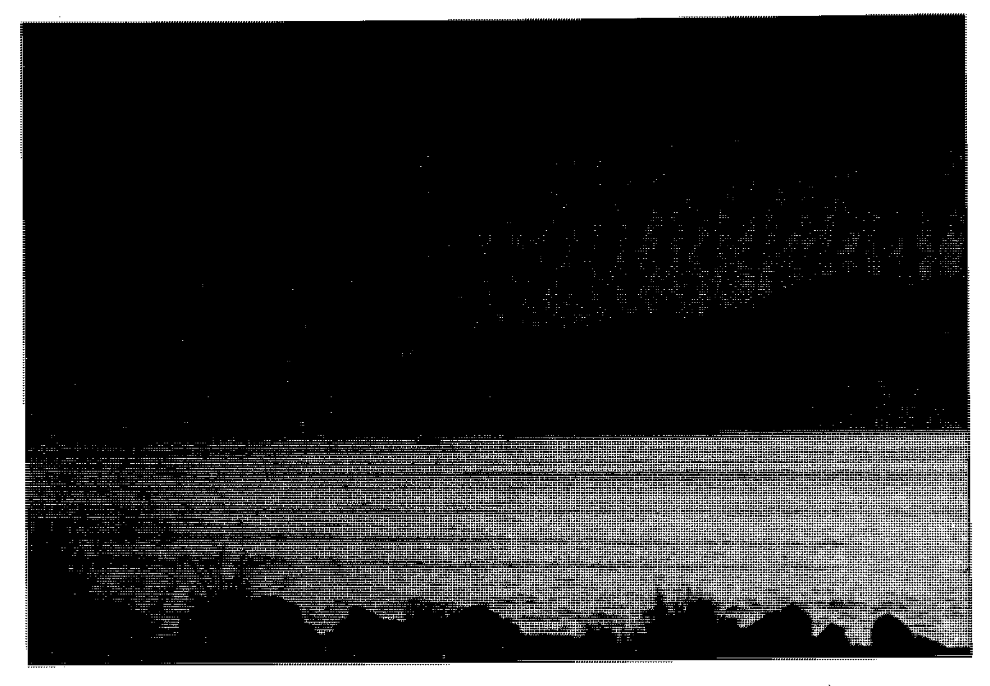
ومن هذا الخلق المنظم هذا العالم الكبير من المحيطات والبحار والأنهار، فقد جعل اللّه سبحانه لها جميعاً قانوناً يخدم في النهاية الإنسان هذا الكائن الضعيف في جسده القوي في عقله وفكره، الذي يوصله إلى الحق إلى اللّه سبحانه الخالق المدبر المتصرف بخلقه وما خلق.... ففي كل الآيات التي أوردناها عن عالم البحار هي دلائل قدرته وعظيم علمه فلماذا قال تعالى عن الفُلك أنها تجري بأمره، وهي من نعمته وآياته.. نعم فإن العلم بين لنا هذا.. بين لنا إعجاز اللّه سبحانه في تسيير تلك السفن والبواخر والقوارب على سطح الماء في البحار وكيف جعلها تطوف ولا تغرق وتسير ولا تغوص في أعماق البحار بغير رجعة ولا عودة.

فماذا يقول العلم والعلماء عن هذه الظاهرة العلمية؟؟......

... إن كل جسم غاطس في الماء يتلقى من الأسفل إلى الأعلى دفعاً عمودياً قائماً مساوياً لوزن الماء المزاح المعادل لحجم هذا الجسم... فإذا حملت شيئاً ثقيلاً وليكن مثلاً خمسين كيلو من الحديد وغطست معه إلى الماء تشعر أن نصف وزن الخمسين كيلو قد تلاشى..... وكلنا في يوم فعل مثل هذا في البحر وكأن قوة تدفعه إلى الأعلى، وهذا الأمر بحكمة قانون جعله اللّه سبحانه في خاصية الماء، ماء المحيطات والبحار، وهو (إن قوة الدفع نحو الأعلى تساوي وزن الماء المعادل لحجم هذا الجسم) ولولا هذا القانون لما أمكن لأحد منا أن يركب البحر، وهذا القانون بسببه تسبح الأسماك والحيوانات البحرية، ولولا هذا القانون قانون القوة الدافعة لما وجدت في البحر سمكة واحدة.. فالأسماك تسبح في البحر لأن وزنها أقل من وزن الماء الذي أزاحته بانغماسها في الماء.

وهذا القانون، القوة الدافعة، إضافة إلى القانون الذي وضعه اللّه

سبحانه في خاصية الأخشاب حيث جعل اللّه كثافتها أقل من كثافة الماء مما جعل القوارب والسفن والبواخر العظيمة، التي يزيد وزنها على ما يقرب من مليون طن تمخر عباب البحر وتشق لها طريقاً في البحر إما للصيد وإما للسفر وإما لنقل البضائع وتبادل المنافع.. فهل هذا بالعشوائية أم بنظام إلّهي دقيق خلق كل شيء مقدر تقديراً إلّهياً، فسبحان اللّه الخالق المبدع الذي أتقن كل شيء خَلَقه.



فسبحان مسيرها بما ينفع الناس في معيشتهم

الماء العذب والملح الأجاج في البحار والأنهار

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ١٢]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ١٢]

اختلاف البحرين العذب الفرات والملح الأجاج آية من آيات اللّه سبحانه وتعالى، ومن يقتدر على هذا الأمر إلا الخالق القادر الذي بيده الأمر كله، فمنة اللّه في هذا منة عظيمة وفضل لا يعدله فضل.

ومعجزة اللّه الخلقية في أن فصل البحار المالحة عن العذبة بحواجز مائية من نوع ثالث من المياه قد سبق وتكلمت عنها في عدة آيات قرآنية في أول الكتاب.

ولكن في هذه الآية يتحدث اللّه: عن قدرته وفضله بأن فرق بين المياه فجعل منها العذب الفرات مما نشربه وتشربه دواب الأرض ونسقي به الزرع والشجر والحرث، وجعل منها العذب والملح الأجاج الذي جعله اللّه بقدرته بحاراً ومحيطات وخلق في هذا الماء المالح ما شاء ونوّع في الخلق، وجعل البحر آية من آياته. وبعد أن تطور العلم وعرفنا ما في البحار من دلائل علم اللّه وقدرته، أدركنا عظمة الخالق فيما خلق وصنع، ومن عظمة هذا الخلق أن جعل لنا في البحر منافع كما لنا في النهر منافع، وجعل في كلا الماءين المالح والعذب حياة نستفيد منها، فنَوَّعَ بقدرته أنواع الحيوانات المائية الطرية واللذيذة الطعم وأساغ طعمها لبني البشر، فلم يجعل طعمها علقماً بل جعلها لنا غذاء وطعاماً وفوق كل هذا ما نستخرجه من البحر من حلية نلبسها ونستفيد منها، وما أكثر أنواع الحلي؟ فاللؤلؤ والمرجان وأنواع أخرى كانت لنا زينة واستخدمناها قيمة مادية نتداولها.

ومن رحمته تعالى أن جعل الفلك تمخر عباب البحار فتساعد الإنسان

في الوصول لبغيته وطلبه الرزق والطعام داخل هذا الماء الذي جعله اللّه لنا عوناً وخيراً، فما أكرمك يا ربي، أعطيت فأجزلت العطاء، وتكرمت علينا حتى خجلنا من أنفسنا وأنعمت حتى لم نستطع الشكر الحق.

فالحمد لك يا ربي والشكر لك على ما أعطيت وأنعمت فيا ليت شكري وحمدي يكفي نعمك وفضلك وكرمك.

واللّه أعلم.



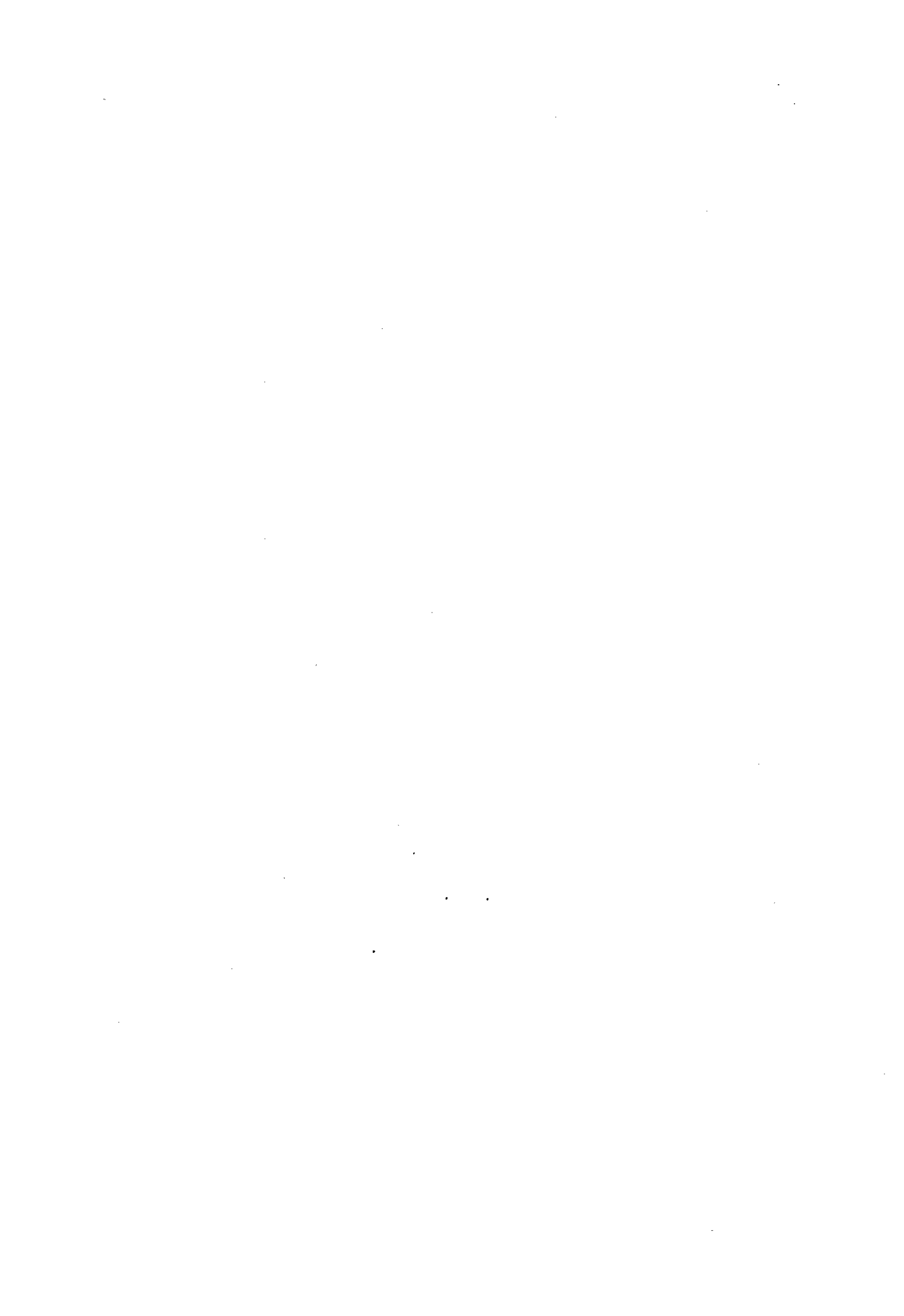
أنواع لا حصر لها من الأسماك في أعماق البحار والمحيطات
والأنهار وأعداد بالمليارات وكلها سخرها لنا اللّه سبحانه لنأكل لحماً طرياً ومستساغاً

كلمات اللّه ومداد البحار السبعة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٧]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ **صدق الله العظيم**.

[سورة لقمان، الآية: ٢٧]

إن من أعظم ما في هذه الآية القرآنية الكريمة أنها بحر زاخر مليئة بالكنوز والدرر والياقوت.

ولا أتصور أن يد وعقل بشر تستطيع أن تلم بالمراد من هذه الآية الكريمة فهي قلعة محصنة. . . . الاقتراب منها يعني: الاستعداد لفهم مرادها، فكل كلمة فيها ياقوتة نفيسة فيها سر عجيب في الخلق والقدرة والمعنى، وهذه الآية العظيمة تعني الكمال المطلق للواحد الأحد. . .

فإن القدرة الإلّهية. . . في هذه الآية لا يمكن أن تعرف أو توصف فالبشرية بما ملكت من أسباب القوة والقدرة في أوائل القرن الحالي لم تستطع أن تتعدى حدوداً مرسومة لها من اللَّه، ولا تزال تبحث في الأرض وفي النفس ولم تصل إلا للقليل، وكأنها في بداية طريق صعب وشاق لأن علم اللَّه ليس له حدود، وكلما تصل إلى شيء ما تجد نفسك أمام أشياء جديدة أخرى، وهكذا حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها. . .

فإذا كان أقرب نجم لنا خارج حدود المجموعة الشمسية التي نعيش ضمنها يبعد عنا أربع سنوات ونصف سنة ضوئية. . . وضمن إمكانيات البشر المتاحة لا يمكن الوصول إليه أبداً. . . وما مجرتنا التي فيها مجموعتنا الشمسية إلا واحدة من آلاف المليارات من المجرات التي تسبح في كون وقدرة اللَّه اللامتناهية فكيف نصل إلى كلمات اللَّه وعلمه وقدرته. . . فهذه الآية تصوير رائع وكناية عن قدرة اللَّه التي لا يمكن لعقولنا الصغيرة إدراكها فقط وليس لمسها وما نلمسه من قدرة اللَّه حتى الآن لا يتعدى حدود معيشتنا وحياتنا.

فقد صور اللّه لنا في هذه الآية سعة علمه وعظيم سلطانه وافترض أن البشرية كلها مجتمعة تريد أن تبحث في قدرة اللّه وعلمه وقد جهزت لهذا البحث أقلاماً تصنع من كل شجر الأرض. . . وكم قلماً تصنع من شجرة واحدة؟

وكم عدد شجر الأرض؟

والبحر مداد «حبر» يمد هذه الأقلام التي صنعت من كل شجر الأرض.

وكم قارورة «مداد». . . يصنع البحر الواحد؟. . . .

وكم كتاب يكتب من قارورة مداد. . واحدة؟

ولم يكتف اللّه عند الحد من التصوير الذي يفوق حد تخيل العقل، إنما زاد في المثل المضروب إنكم أيها البشر إذا انتهيتم من الكتابة لمعرفتي ومعرفة قدرتي وقد انتهى مداد البحر الأول، فإليكم ببحر ثان واستعملوه كمداد وإن لم يكفِ فاستعملوا الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع. . . .

وماذا بعد؟ إنكم لن تصلوا إلى شيء من قدرتي وعلمي فهل تحطمت عقول البشر؟ نحن خلفاء في الأرض وفضلنا اللّه سبحانه على كثير من خلقه. . . ولكن قدرة اللّه لا تنتهي وعلمه لا حدود له وجبروته وعظمته ورحمته وخيره عظيم، وله ملك وغنى لا حدود له، هذه الآية ليست تحطيماً لنا. . . إنما هي عظمة الواحد القاهر الأحد، إنها آية تسجد لقائلها عقولنا وقلوبنا وأرواحنا وكل ذرة من أجسادنا وتجعلنا نتيه في بحر الحب الإلّهي وفي بحر الكرم الإلّهي وفي بحر العطاء والرحمة فلندخل في ملك اللّه وعطائه فقد قال اللّه في حديث قدسي:

«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص مما عندي. . . إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أدخل البحر» (١)

فأين نحن من عظمة اللّه وقدرته وسعة ملكه.

واللّه حريص أن يعرف نفسه لخلقه حتى يعلموا من هو المعبود. . . .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ١٢]

وما خلق اللّه السماء والأرض وهذا الكون الواسع إلا لنتفكر ونتدبر ونعلم قدرة اللّه من خلاله، وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

فاللّه عزيز حكيم وقادر ومقتدر وقوي متين....

فما أعظمك يا ربي وما أكرمك يا خالقي فأنت خلقتَ وصورت وأحسنت وأبدعت فلك العتبى حتى ترضى.



أشجار الدنيا بآلاف المليارات والبحار والمحيطات ٧١٪ من مساحة الأرض
فلو أن الأشجار أقلام والبحار مداد ما توصلتم إلى علم اللّه وقدرته فهو شديد المحال

البحر والطود العظيم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

[سورة الشعراء، الآية: ٦٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ **صدق اللّه العظيم.**

[سورة الشعراء، الآية: ٣٦]

آيات اللّه سبحانه وتعالى ومعجزاته آتت للبشرية قاطبة منذ أن خلق اللّه آدم وحتى يوم القيامة.

ومن آياته المعجزات ما أظهرها اللّه لعباده قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ ونزول القرآن الكريم، وفيها آياته المعجزات أظهرها لعباده في زمن حاضر البعثة المحمدية، وحين نزول القرآن، ومنها ما أرجأها إلى أزمانٍ اللّه يعلمها ويعلم ميقاتها. وآية اللّه: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أتت معجزتها في زمن سيدنا موسى عليه السلام ورأوها بأعينهم وشاهدها عشرات الآلاف من البشر وهي حقيقة مطلقة مذكورة عند اليهود والنصارى في كتبهم، والتاريخ لا ينكرها مطلقاً كقوله تعالى في قصة أبرهة الحبشي: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾

[سورة الفيل، الآيتان: ٣، ٤]

فهذه حقيقة مطلقة لا يستطيع تكذيبها أحد من العالمين، لأنها حقيقة واقعة رآها عشرات الآلاف من الناس وأيدتها كل كتب التاريخ، ونحن نعلم أن أقوى الحقائق في التاريخ التي يتداولها الناس عبر أجيال وكل جيل ينقلها للجيل الذي يليه فتثبت لدى محققي التاريخ، وتعد عندهم أقوى شاهد على صحة الخبر، ولذا فإن فرق البحر قسمين وجعل اللّه بقدرته طريقاً لموسى وقومه حتى يعبروا حقيقة واقعة لا شك فيها ولا لبس..

وهنا المعجزة والقدرة الإلّهية العظيمة.

يقول كل علماء الأرض من علماء جيولوجيا وفيزياء وعلماء الأرض والبحار إنه لا يوجد قانون فيزيائي وجيولوجي يستطيع أن

يوقف الماء على جنبيه لو كان قدراً يسيراً لا يتجاوز المتر.

إذاً، اللّه بقدرته تجاوز قانون الماء وفلق البحر إلى جهتين ووقف ماء كل جهة كجبل شامخ كالطود يفرق خوفاً وهولاً من اللّه ممتثلاً لأمر اللّه سبحانه لا يستطيع أن يعود إلى مجراه القديم حتى يأمره اللّه سبحانه.

وهذا الحدث العظيم وقع حينما فرَّ موسى وقومه بأمر اللّه سبحانه وتعالى هرباً من فرعون وجنوده، فشق اللّه لهم البحر فرقتين فعبر موسى وقومه ولحقهم فرعون وجنوده فأغرقهم اللّه سبحانه وتعالى: لأن توبة فرعون لم تكن صادقة وإنما خادع بها، لأنه وجد نفسه يكاد يغرق هو وجنوده فلما اتجه إلى اللّه وقال آمنت برب موسى وهارون وآمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل، ولكن اللّه أغرقه وأنجاه ببدنه لأنه يعلم أنه كافر ومنافق كذاب.

وصدق اللّه حيث قال:

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾

[سورة غافر، الآية: ٤٦]



سبحان الذي شق هذا البحر العظيم على يد موسى فعبر منه قومه بسلام

الخاتمة

. . . آيات اللّه سبحانه في البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات كثيرة جداً، وربما تكون أكثر بكثير من آياته على الأرض اليابسة، التي لا تشكل سوى خمس المساحة من كامل كوكب الأرض. . . . . . لذلك أكثر مجاهل البحار والمحيطات لا تزال عصية على علماء البحار والبيئة له والجيولوجيا، فالدخول في أعماق البحار اللجية ليس بالأمر السهل. . والقارئ تبين له أثناء الحديث عن آيات اللّه في البحار وخاصة الآية الكريمة كما يقول تعالى:

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٠]

ومن خلال رحلتنا مع عالم البحار الذي قدمناه في هذا الجزء، تبين لنا أن هناك بحاراً ومحيطات لجية (عميقة) يصل عمقها إلى أكثر من ١٠٠٠٠عشرة آلاف متر، وكذلك في تلك البحار جبال يزيد ارتفاعها على ارتفاع أعلى جبال الأرض (الهمالايا)، وقد يصل ارتفاع هذه الجبال حتى تصل إلى سطح البحر فتكون جزيرة أوتلة أو نتوءاً وقد تصل هذه الجبال في تلك البحار والمحيطات إلى وسط الماء، فإذا تعمقت في برك لأعماق البحار تشاهد هذه الجبال وقممها تحت الماء. . . عالم كبير، فهو يشكل أربعة أخماس الكرة الأرضية، أربعة أضعاف مساحة اليابسة، !! فلابد أن يكون فيه هذا العالم الغريب. . آلاف الأنواع والمخلوقات، بل قل مئات الآلاف من المخلوقات، تسبح في هذه البحار والمحيطات. . كل له شأنه وحياته وخاصيته، قد أمنّ اللّه سبحانه رزقها، وكلها في علم اللّه سبحانه صغيرها وكبيرها، وإذا قلنا إننا لا نريد أن نتوسع في تفصيل أمر هذه المخلوقات لأن لها جزءاً خاصاً من الموسوعة، بعنوان (آيات اللّه في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها) ولكن ما أردت قوله: إن اللّه سبحانه فصل بين هذه المخلوقات في بيئات خاصة،

فجعل لكل بحر مخلوقاته الخاصة، وجعل بين البحرين حاجزاً يمنع اختلاط تلك الحيوانات، ويمنع اختلاط الماء، ماء البحرين، أو ماء البحر، وماء المحيط، كما هو عند باب المندب أو عند جبل طارق. . . . . وكذلك بقدرته جعل حاجزاً، وحجراً محجوراً عند لقاء الأنهار بالبحار. . . وكذلك ظلام البحر اللجي. . وقد قدمت لهذا كله في هذا الجزء من الموسوعة. . وكما فعلت في الأجزاء الأولى، حيث قدمت العلوم الصرفة في علم الكون والأرض، ثم انتقلت إلى بيان إعجاز الآيات القرآنية في السماوات السبع والأرض، كذلك فعلت في هذا الجزء (آيات اللَّه في البحار والمحيطات والأنهار) حيث قدمت في نصفه الأول علوماً عن البحار والمحيطات والبحيرات والأنهار، ثم انتقلت في النصف الثاني لبيان آيات الإعجاز العلمي لآيات اللَّه في البحار، تلك التي ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه الكريم، وقد بذلت جهداً في استخراج هذه المعلومات العلمية عن البحار والمحيطات والأنهار. . كما تحدث عنها العلماء من خلال اكتشافاتهم، وجولاتهم البحرية على السطح وفي الأعماق، وقد أردت أن تكون هذه المعلومات عصرية وحديثة، لأن المعلومات القديمة لم تعد تنفع في شيء طالما أن العلم مستمر في اكتشافاته، ولكن الملاحظ أو الذي لاحظته حين دراستي لعالم البحار. . . أن هذا العالم الكبير بالنسبة إلينا أو للأرض. . هو عالم مليء بالأسرار. . وما أظن أن العلم قد اكتشف منه إلا النذر اليسير. . مع الشكر لعلماء البيئة أو البحار، الذين بذلوا جهوداً كبيرة، ولهم الفضل في هذا الأمر. . أيها القارئ العزيز. . كم توقفت أمام شاشة التلفاز حين تعرض برنامجاً مصوراً عن عالم البحار ومخلوقاته؟. . ليس من أحد منا إلا وينبهر لما يراه من أنواع الخلق الإلَهي، وهذه الألوان والأشكال لعالم الأسماك والحيوانات البحرية. . فإذا كانت الكاميرات لا تستطيع أن تصور الحواجز بين البحار لأنها تكتشف بالتحليل. . لكننا نرى آثار وعجائب خلق اللَّه سبحانه الذي يخلق ما يشاء، كل ما تراه يؤكد لك حقيقة واحدةً وهي (لا إلَه إلا اللَّه) سبحان من أبدع وصنع، سبحان من خلق وأوجد، فلنتفكر في خلق السماوات والأرض، ولنتفكر في خلق البحار وما فيها، التي تدل على الخالق الواحد. . فإذا كنت ترى بعينيك هندسة وبناء هذه الأرض التي تسكنها فادخل في أعماق البحار لترى خلقاً

أعظم، وهندسة أكبر، وقدرة لا حدود لها. . . . فاللّه سبحانه حين وصف تلك البحار في كتابه الكريم في عشرات الآيات القرآنية الكريمة، ذلك أنه أعلم بما خلق، حتى هذه البحار من دلائل قدرته، وعظيم خلقه سبحانه، فليس من شيء في هذا الكون إلا ويدل على وحدانية اللّه سبحانه، وقدرة اللّه سبحانه، وعظمة اللّه سبحانه. . أرجو من اللّه سبحانه أن يكون هذا الجزء عن آيات اللّه في البحار، قد حقق المراد والهدف، وهو إظهار عظمة وإعجاز الخالق فيما خلق، اللّهم تقبل منا واجعلنا من عبادك الطائعين، ومن أهل العلم العاملين، ومن أهل جناتك المكرمين.

الباحث

د. ماهر أحمد الصوفي

أسماء العلماء والباحثين الـذين شاركـوا بـآرائـهـم في هذه الموسوعة جزء ١ ـ ٢٠

الرقم	الاسم	العمل
١	اندرولانج	خبير الفيزياء الفلكية في معهد كاليفورنيا
٢	باولو ديبيرنارويس	عالم فلكي
٣	جيمس دنلوب	عالم فلكي (المرصد الفلكي البريطاني بأدنبره)
٤	ريتشارد إيليس	مدير معهد علم الفلك بجامعة كمبردج بانكلترا
٥	د. فيليب لوكاس	أستاذ علم الفلك جامعة هيرتفورد انكلترا
٦	د. باتريك روتش	أستاذ علم الفلك جامعة اكسفورد انكلترا
٧	د. جاي ميلوش	أستاذ علم الفلك جامعة أريزونا الولايات المتحدة
٨	د. ترافيس متكالفي	عالم فلك مركز هارفارد سميبشويتان للفيزياء الفضائية
٩	ستيفن هاوكنغ	عالم فيزيائي
١٠	هوجيم هارتل	عالم فيزيائي
١١	شلايخ برغامان	مهندس فضائي. ألماني
١٢	جول فيرن	رائد الخيال العلمي
١٣	آرثر سي كلارك	كاتب الخيال العلمي
١٤	براد أدواردز	مهندس فضاء أمريكي
١٥	قسطنطين تسيولكر فسلكي	عالم روسي فلكي ورياضي وأبو الرحلات الفضائية

الرقم	الاسم	العمل
١٦	**جان بول نيب**	عالم فلكي / معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا
١٧	**د. أيد ويلر**	عالم فلك/ الولايات المتحدة
١٨	**د. ألن هايل**	عالم فلك ومكتشف مذنب هايل بوب مختص بعلم الكواكب
١٩	**جيوردانو برونو**	راهب إيطالي خبير في علم الفلك
٢٠	**د. لابلاس**	عالم فيزياء ورياضي ـ فرنسا
٢١	**إيمانيول كانما**	فيلسوف ألماني وخبير في علم الفلك
٢٢	**بروفسور شارل العشي**	مدير مختبر الدفع النفاث وكالة ناسا الأمريكية
٢٣	**أرسطو**	عالم فلسفي يوناني
٢٤	**فرانسيسكو ربدي**	عالم فلك وأحياء إيطالي
٢٥	**لويس باستور**	عالم أحياء
٢٦	**كانت**	عالم فلك ألماني ١٧٥٥م
٢٧	**هابل**	عالم فلك ١٩٢٩م
٢٨	**ليروي تشاو**	عالم من وكالة ناسا الفضائية ورائد فضاء
٢٩	**ساليزان شابيروف**	مهندس في الملاحة الجوية وكالة الفضاء الروسية
٣٠	**جورج حلو**	مدير مركز أيباك الفضائي
٣١	**رون غريزلي**	عالم فلك جامعة أريزونا الولايات المتحدة
٣٢	**كريس تشيبا**	عالم فلك معهد البحث العلمي الولايات المتحدة

الرقم	الاسم	العمل
٣٣	عدنان عضيمة	مختص بالشؤون العلمية والفلكية جريدة الاتحاد الإماراتية
٣٤	جون هومير	عالم فلك مختص بشؤون السفن الفضائية / أمريكا
٣٥	روبرت هارفين	عالم فلك/ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٦	جاك دوريل	عالم فلك ـ وكالة ناسا ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٧	معين أحمد محمود	كاتب في شؤون الفلك
٣٨	شاندراوبكرا ماسينج	عالمان ألّفا كتاب البذور الكونية
٣٩	أرهينوس	عالم فلك سويدي
٤٠	د. كارل سيجان	عالم فلك أميركي
٤١	مسلم شلتوت	عالم فلك ـ المعهد القومي للعلوم الفلكية مصر ـ حلوان
٤٢	أينشتاين	عالم رياضيات وفلك صاحب النظرية النسبية
٤٣	فان ألن	عالم فلك صاحب حزام ألن المغناطيسي فيزيائي أمريكي
٤٤	بروس جاكوسي	عالم فيزياء فلكي جامعة كولورادو الولايات المتحدة
٤٥	د. ديفيد شاربونو	عالم فلك ـ معهد سيموثنيان للفيزياء الفضائية الولايات المتحدة
٤٦	د. إل دريك ديمنج	عالم فلك مركز جودارد للطيران الفضائي الولايات المتحدة الأمريكية
٤٧	د. جيفري دبليو مارسي	عالم فلك مختص بشؤون الكواكب جامعة كاليفورنيا الولايات المتحدة
٤٨	د. آلان بي بوس	عالم النظريات الكوكبية ـ معهد كارنيجي واشنطن الولايات المتحدة

الرقم	الاسم	العمل
٤٩	د. جون موري	عالم فلك ـ باحث في جامعة منبيلتون
٥٠	بيتر آن أبسبوت	كاتب أمريكي متخصص في الشؤون العلمية
٥١	مايكل سواتويك	كاتب متخصص في الشؤون الفلكية والعلمية/ الولايات المتحدة
٥٢	لورانس أم كروسي	مدير مركز التعليم والبحوث في علوم الكون والفلك جامعة كينويسترون ريزيرن نيويورك
٥٣	د. ياسين محمد المليكي	عالم مشارك في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي دبي ٢٠٠٤م
٥٤	سعيد حوى	كاتب وعالم يتحدث في أمور الإعجاز من كتبه (اللّه جل جلاله)
٥٥	رودريغو إيباتا	عالم فلك مدير المرصد الفلكي ستراسبورغ / فرنسا
٥٦	كارل ماركس	من كتاب الفلسفة المادية الوجودية
٥٧	د. أنور عبد العليم	كاتب وباحث في الشؤون العلمية من كتبه (قصة التطور)
٥٨	رالف ألفر	كاتب في الشؤون العلمية والفلكية الولايات المتحدة
٥٩	بيجر إنك	عالم نباتي ألماني
٦٠	البروفيسور سول سبيكمان	عالم كيميائي نباتي إنجليزي
٦١	هارولد يوري	عالم كيميائي فلكي حائز على جائزة نوبل ١٩٢٣م إنجليزي
٦٢	د. زغلول راغب النجار	عالم وكاتب مصري مختص بالشؤون الجيولوجية والفلكية

الرقم	الاسم	العمل
٦٣	د. محمد سعيد رمضان البوطي	كاتب وعالم إسلامي كبير حائز على جائزة شخصية العام الإسلامي/ سوريا
٦٤	إنجلز	كاتب وجودي من كتاب الفلسفة المادية من مؤلفاته (الأنتي دوهرنغ)
٦٥	الكسندر ايفانوفيتش	عالم في الكيمياء الحيوية بأكاديمية العلوم الروسية
٦٦	جورج جاموف	كاتب في الشؤون العلمية والفلكية/ الولايات المتحدة
٦٧	ستيفن هوكنج	عالم مختص في الشؤون العلمية والفلكية / انكلترا
٦٨	الجاحظ	عالم عربي اجتماعي فلسفي من كتبه: كتاب الحيوان
٦٩	ابن النظام إبراهيم بن سيار	عالم عربي اجتماعي وفلسفي هو أستاذ الجاحظ
٧٠	د. معين صلاح الدين	كاتب عربي سوري
٧١	ستانلي ميلر	عالم كيميائي / إنجليزي
٧٢	الفرد دالاس	عالم اجتماعي/ ألماني
٧٣	هوستان ارينبوس	عالم فيزيائي/ السويد
٧٤	جيمس متشز	مستشرق له كتب ومؤلفات في القرآن الكريم وكان منصفاً في وصف القرآن الكريم
٧٥	الفيلسوف الكندي	فيلسوف عربي
٧٦	ميكاييل ترنر	عالم فلك الجمعية العلمية الوطنية أمريكا
٧٧	ابن رشد	كاتب وفيلسوف عربي من كتبه «تهافت التهافت»

الرقم	الاسم	العمل
٧٨	ابن سينا	عالم عربي في الطب والفلسفة من كتبه عيون المسائل
٧٩	إخوان الصفاء	أصحاب نظريات فلسفية من كتبهم (كتاب الرسائل)
٨٠	جليشر	عالم فلك إنجليزي ١٨٦٣ حاول الصعود إلى السماء بالمنطاد
٨١	د. أرنولد توينبي	باحث وكاتب اجتماعي بيئي فلسفي
٨٢	فرانك ألن	عالم الطبيعة البيولوجية
٨٣	تشارلز يوجين	عالم رياضيات سويسري
٨٤	بول كلارنس	عالم في الطبيعة الحيوية ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٨٥	جورج إيريل دافيز	عالم طبيعة/ الولايات المتحدة الأمريكية
٨٦	العلامة الخنجواني	مفسر وعالم من كتبه (الفواتح الإلّهية)
٨٧	ريشارد هوفر	عالم فلك/ مركز آيمز للأبحاث وكالة ناسا
٨٨	الفارابي	فيلسوف وكاتب عربي
٨٩	فرانشيسكو	عالم فلك إيطالي حاول الصعود إلى السماء عن طريق البالون
٩٠	دونيس سكايما	عالم فلك من أشد أنصار نظرية الكون المستقر
٩١	ستيفن هوفكن	عالم فلك وفيزياء صاحب كتاب التاريخ المختصر للزمن
٩٢	جورج كرنشتاين	عالم فلك صاحب كتاب الكون التكافلي
٩٣	دوس	عالم فلك قام بدراسات كثيرة عن الجو الأرضي
٩٤	فرانك دراك	عالم فلك ١٩٦٠م كان يراقب الشموس الشبيهة بشمسنا

الرقم	الاسم	العمل
٩٥	**جورج كامو**	عالم فلك صاحب نظرية أن انفجاراً نووياً للنيترونات
٩٦	**مارتن رايلي**	عالم فلك جامعة كامبردج انكلترا درس كثافة المجرات
٩٧	**بنزياس**	عالم فلك ١٩٦٥ التقط الإشعاع الراديوي الوارد من جميع أنحاء الكون
٩٨	**أنطواني ملوف**	عالم فلك مؤيد دعاة الأزلية
٩٩	**بول ديفز**	عالم فلك أيد نظرية أن قوة عاقلة مدركة أنشأت الكون ـ بريطانيا
١٠٠	**ألكسندر فريدمان**	عالم فيزياء روسي برهن بنظريته بداية لهذا الكون
١٠١	**بجيران**	عالم فلك وفيزياء صاحب نظرية انتشار النظم الكوكبية في الكون
١٠٢	**ستيفن دول**	عالم فلك صاحب الإحصائية أربعة عشر نجماً أقرب إلى شمسنا لها كواكب وعليها حياة
١٠٣	**بروفسور بييرلس**	عالم فلك
١٠٤	**ولتر باد**	عالم فلك مدير مرصد بالومار كاليفورنيا
١٠٥	**ويلسون**	عالم فلك ١٩٦٥ اشترك مع بنزياس في التقاط الإشعاع الراديوي الوارد من جميع أنحاء الكون
١٠٦	**لوميتر**	عالم فلك بلجيكي أول من قدم نظرية حديثة عن نشأة الكون
١٠٧	**توم غولد**	عالم فلك ١٩٥٠ صاحب نظرية الضربة الكبرى
١٠٨	**مولتون**	عالم فلك
١٠٩	**فايتز بكر**	عالم فلك صاحب نظرية أهم مظاهر عمر الأرض

الرقم	الاسم	العمل
١١٠	توني هيويش	عالم فلك أول من اكتشف أجرام كاوي بأقطار بحدود ١٦ كم في الفضاء تدور حول محورها
١١١	شابلي	عالم فلك ١٩١٧ قدر البعد بين الشمس ومركز المجرة ١٠ ك. فرسخ
١١٢	مستر جينز	عالم فلك صاحب نظرية أصل المجموعة الشمسية
١١٣	ريتشارد كوفي	عالم فلك ورائد رئيس لجنة الإشراف على إطلاق ديسكفري
١١٤	هيرمان بوندي	عالم فلك ١٩٥٠ صاحب نظرية الضربة الكبرى
١١٥	بازل	عالم فلك ألماني ١٩٣٨ قام بأول قياس لبعد النجوم
١١٦	جوسلين بل	عالم فلك ألماني ١٩٣٨ اشترك مع بازل بتصميم أول جهاز لقياس بُعد النجوم
١١٧	كاسينس	عالم فلك إيطالي
١١٨	كويير	عالم فلك صاحب نظرية أصل الكون
١١٩	مستر جيفرز	عالم فلك صاحب نظرية أصل الأرض
١٢٠	توماي ستافورد	عالم فلك ورائد رئيس لجنة الإشراف على إطلاق ديسكفري
١٢١	مايكل لينباخ	عالم فلك مدير إطلاق محطة الفضاء ديسكفري
١٢٢	سكوت تشاجمان	عالم فلك جامعة كالتك الولايات المتحدة الأمريكية
١٢٣	أنالسيماندر	عمل بالفلك مساعداً لطاليس
١٢٤	عبد الحليم الخطيب	عالم عربي له مؤلفات منها (أسرار معجزة القرآن الكريم) وقد أخذنا من كتابه البراهين
١٢٥	أبيقور	عالم فلسفة اليونان ٥٠ سنة قبل الميلاد

الرقم	الاسم	العمل
١٢٦	**طاليس**	أول فيلسوف إغريقي تحدث عن علم الفلك قام بقياس قطر الشمس وتنبأ بالكسوف
١٢٧	**هيبا رخوس**	عالم فلك إغريقي ١٦٠ ـ ١٥٠ ق. م أول من قسم الأقدار الظاهرية للنجوم
١٢٨	**سند بن علي**	رئيس الفلكيين بمعهد الخليفة المأمون بنى مرصداً فلكياً وكان تحت إشرافه
١٢٩	**أحمد عبد اللّه المروزي**	عرف باسم الحاسب لدقة حساباته الفلكية أدخل طريقة تحديد الوقت أثناء النهار
١٣٠	**أبو الريحان المسعودي**	عالم فلك صاحب كتاب القانون المسعودي
١٣١	**عبد الرحمن بن يونس المصري**	عالم فلك عربي رصد كسوف الشمس وخسوف القمر
١٣٢	**ابن القزويني**	عالم فلك له مؤلفات كثيرة. وقسم الكون إلى علوي وسفلي واهتم بعلم السماء
١٣٣	**تايخو براهي**	عالم فلك أثبت نظرية كوبر نيكوس وعرف (بالنظام التايخوي)
١٣٤	**إدوارد ميلين**	عالم فلك وفيزياء ـ الولايات المتحدة
١٣٥	**أحمد زويل**	عالم كيمياء مصري حائز على جائزة نوبل للعلوم
١٣٦	**واطسون وكريك**	عالمان اكتشفا الحمض النووي
١٣٧	**فرانك ألن**	عالم الطبيعة البيولوجية/ كندا
١٣٨	**أيسد ويلر**	عالم فلك أمريكي تحدث عن نشأة المجرات في الكون

الرقم	الاسم	العمل
١٣٩	كوبر نيكوس	أول عالم نقد نظرية بطليموس ونقد نظرية أن الشمس هي مركز الكون وليس الأرض
١٤٠	أبو العباس أحمد الفرنحاني	عالم فلك عربي ذاع صيته مؤلف كتاب الحركات السماوية وجوامع النجوم
١٤١	عبد الرحمن بن عمر الصوفي	عالم فلك عربي من مؤلفاته صدر الكواكب الثابتة
١٤٢	إسحاق نيوتن	١٧٢٧م عالم فلك وفيزياء وقد اقترن اسمه بقوانين الحركة وقانون الجاذبية
١٤٣	روجيه حجار	عالم فلك وأستاذ محاضر في مادة الفيزياء في جامعة نوتردام لبنان
١٤٤	د. كارل سيجان	عالم فلك رئيس معمل الدراسات الكونية بجامعة كورنل أصله هندي
١٤٥	فريد هويل	عالم فلك صاحب كتاب (البذور الكونية) بريطاني
١٤٦	جوهان كيبلر	عالم فلك ١٦٣٠م عالم رياضيات كان يحسب مدارات الكواكب بدقة
١٤٧	جاليلو جاليلي	عالم فلك ١٦٤٢م رصد بمرصده الفلكي وأكد أن الشمس مركز الكون وهو أول من رأى أربعة كواكب تدور حول المشتري
١٤٨	تشارلز يوجين جاي	عالم طبيعة وبيئة سويسري وهو القائل أنه لا يمكن تكوين جزيء بروتيني واحد عن طريق المصادفة
١٤٩	ح. ليثر	عالم طبيعة وبيئة القائل أيضاً أنه من المحال تكوين جزيء بروتيني عن طريق المصادفة

الرقم	الاسم	العمل
١٥٠	**محمد عبد السلام**	بروفسور باكستاني حائز على جائزة نوبل لتوحيده قوتين من قوى الطبيعة
١٥١	**أرهينيوس**	عالم فلك سويدي صاحب نظرية ترفض نظرية النشوء والارتقاء
١٥٢	**هويل وفادلار**	عالمان فلكيان الولايات المتحدة قدرا عمر الكون بين ١٢ و١٥ مليار سنة
١٥٣	**جان بول نيب**	عالم فلك مرصد ميدي بيرينيه ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا أمريكا
١٥٤	**سكوت تشاجمان**	عالم فلك جامعة كالتك أمريكا
١٥٥	**جيمس جينز**	عالم فلك صاحب نظرية أن الكون كان سديماً غازياً
١٥٦	**د. جامو**	عالم فلك أمريكي صاحب نظرية أن الكون كان أوله غازاً موزعاً توزيعاً منظماً
١٥٧	**بينزياس وويلسون**	عالمان فلكيان اكتشفا الأمواج الراديوية
١٥٨	**تشارلز داروين**	عالم طبيعة وفلسفة وصاحب نظرية النشوء والارتقاء
١٥٩	**تشارلز لينويفر**	عالم فلك نيو ساوث سدني أستراليا
١٦٠	**د. شكويف**	عالم فلك صاحب نظرية أن الحياة بزغت تحت سماء جهنمية لكوكب يعج بالاندفاعات البركانية/ روسي
١٦١	**بيتر كوبوتيكن**	تطوري معروف أمريكي
١٦٢	**هاينز ريخنر**	أستاذ علم أحياء فرنسي
١٦٣	**كينيث ووكر**	باحثي الطب الفيزيولوجي أمريكي
١٦٤	**فرديك سيارلينغ**	عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم أمريكي

الرقم	الاسم	العمل
١٦٥	**وليام شافيز**	رئيس دائرة الطب الوقائي أمريكي
١٦٦	**توران بوزغان**	تركي
١٦٧	**ألن هاي**	مدير مركز الأنفلونزا إنكليزي
١٦٨	**ماريا زامبون**	وكالة الحماية الصحية انكليزية
١٦٩	**فرانوا ميسين**	أحد خبراء منظمة الصحة العالمية
١٧٠	**يوين كووك بانج**	رئيس قسم الكائنات الدقيقة صيني
١٧١	**شانورا ويكراماسينفهي**	بروفسور بريطاني انكليزي
١٧٢	**ديفيد أتنبوور**	عالم طبيعة بريطاني
١٧٣	**ديفيد نوبارا**	منسق شؤون الأنفلونزا إنكليزي
١٧٤	**مايك ديفيس**	خبير بريطاني
١٧٥	**جورج بولاند**	طبيب أمريكي
١٧٦	**بني هيتشكوك**	خبير في الأمراض المعدية انكليزي
١٧٧	**إزاك واير فيوز**	إدارة الصحة الأميركية أمريكي
١٧٨	**مايكولا هاداك**	باحث سويسري
١٧٩	**فاسيليا موسوك ليبفك**	سيدة من يوغسلافيا تعمل في مجال بحوث البيئة والأمراض
١٨٠	**رويال وكنسون**	عالم تاريخ الطبيعة فرنسي
١٨١	**عبد الحكم عبد اللطيف الصعدي**	باحث عربي

الرقم	الاسم	العمل
١٨٢	**دارفين**	عالم بيئة إنكليزي
١٨٣	**رلي توم**	باحثة متخصصة بالبيئة فرنسية
١٨٤	**الفريدر رسل لاسي**	صاحب كتاب تعاقب الأنواع إنكليزي
١٨٥	**مولار سير**	عالم نبات فرنسي
١٨٦	**الدميري**	عالم عربي
١٨٧	**بول وتس**	عالم طبيعة مشهور من النروج
١٨٨	**أدولف مور**	عالم حيوانات سويدي أول من اكتشف رعاية الأبوين للصغار في عالم الحيوان
١٨٩	**رون أودور**	عالم طبيعي فرنسي
١٩٠	**سير فنجر**	عالم جيولوجي معروف انكليزي
١٩١	**ابن الأثير**	عالم إسلامي مشهور
١٩٢	**د. علي العجلة**	مدير مجلة منار الإسلام أبوظبي دولة الإمارات
١٩٣	**كيري سيه**	عالم جيولوجي معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا أمريكا
١٩٤	**د. جون بد**	عالم جيولوجي اليونيسيف إنكليزي
١٩٥	**د. سير ريشتر**	عالم جيولوجي أمريكي صاحب مقياس زلازل ريشتر
١٩٦	**د. سير جوتنبرج**	عالم جيولوجي إنكليزي
١٩٧	**د. سير أوريختر**	عالم جيولوجي أمريكي صاحب مقياس الزلازل أو ريختر
١٩٨	**رينان**	مستشرق وكاتب له العديد من المؤلفات تحدث عن القرآن الكريم وكان منصفاً في حديثه

الرقم	الاسم	العمل
١٩٩	المسعودي	عالم عربي جيولوجي صاحب كتاب مروج الذهب ٣٣٦ هجري
٢٠٠	بلـيـنـي وإسـتـرابـو وهيرودوت	فلاسفة إغريق أكدوا أن نشأة البراكين تعزى إلى الغازات الساخنة الصاعدة من باطن الأرض
٢٠١	أ ـ د حـسـن أبـو العينين	عالم وكاتب عربي مصري له كتب كثيرة في علوم الأرض والجيولوجيا منها مع آيات الله في الأرض
٢٠٢	ميا تيرنر	رئيسة برنامج الغذاء العالمي باحثة اجتماعية
٢٠٣	ج ن ليونارد	عالم طبيعة إنكليزي من مؤلفاته كتاب جولة عبر العلوم
٢٠٤	فيجان وشمارس	عالم طبيعة فرنسي
٢٠٥	د. أحمد فؤاد باشا	كاتبوعالموباحثرئيسقسمالفيزياءجامعةالقاهرةـمصر
٢٠٦	ولسون بعكي	عالم طبيعة إنكليزي اهتم جداً بدراسة (الكسف الثلجية)
٢٠٧	الأميرال بوفورت	واضع مقياس بوفورت لقياس الريح عالم طبيعة إنكليزي
٢٠٨	أ - د مستر ريل	عالم طبيعة إنكليزي اهتم بنشأة الزوابع المدارية ومسالكها
٢٠٩	الزمخشري	عالم ومفسر عربي معروف
٢١٠	ابن سيرين	عالم عربي اشتهر بعلم النوم والرؤى والأحلام
٢١١	مستر برجسون	عالم نفس مختص بعلم النوم والرؤى والأحلام
٢١٢	إيزابيل سمبسون	رئيسة منظمة أطباء بلا حدود باحثة في الطب ولها دراسات وكتب
٢١٣	ارخميدس	عالم مشهور من كتبه المشهورة (تعبير الرؤيا)
٢١٤	القاضي الباقلاني	عالم عربي له كتاب إعجاز القرآن

الرقم	الاسم	العمل
٢١٥	**اللورد أفيري**	عالم طبيعة انكليزي من مؤلفاته كتاب محاسن الطبيعة وعجائب الكون
٢١٦	**فخر الدين الرازي**	عالم عربي مشهور اعتني بتفسيره بالنواحي العلمية صاحب تفسير التفسير الكبير ومفاتيح الغيب
٢١٧	**البروفيسور هوارد كريتشفيلد**	عالم طبيعة إنكليزي له اهتمامات بآلية الرعد والبرق وقدَّم دراسات حول الموضوع
٢١٨	**مستر ألفاريز الأب**	عالم طبيعة وحيوان له نظريات حول انقراض الديناصورات
٢١٩	**مستر ألفاريز الابن**	عالم طبيعة وحيوان إنكليزي له نظريات حول انقراض الديناصورات والماموت
٢٢٠	**د. خالص الجلبي**	طبيب وباحث عربي له مؤلفات عديدة منها (الطب محراب الإيمان)
٢٢١	**بروفيسور جيمس ترفل**	عالم طب وتشريح له مؤلفات منها (نحن متفردون)
٢٢٢	**بروفيسور فرويد**	عالم نفس مشهور صاحب كتاب تفسير الأحلام عام ١٩١٠
٢٢٣	**الشيخ محمد عبده**	عالم وفقيه ومفكر عربي له كتب ومؤلفات كثيرة
٢٢٤	**عامر الشعبي**	عالم وفقيه عربي
٢٢٥	**أبو الليث السمرقندي**	عالم عربي له في التفسير واللغة مؤلفات كثيرة
٢٢٦	**الإمام السيوطي**	عالم وفقيه ومفسر عربي له مؤلفات تزيد عن ٣٠ مؤلف
٢٢٧	**الإمام الشوكاني**	عالم عربي وفقيه ومفسر له مؤلفات كثيرة
٢٢٨	**د. محمد طلعت**	باحث وكاتب عربي من كتبة المعروفة كتاب (محيط العلوم)

الرقم	الاسم	العمل
٢٢٩	البروفيسور إميل فيتشر	عالم وطبيب متخصص في دراسة البروتين حاصل على جائزة نوبل في دراسة البروتين
٢٣٠	د. محمد راتب النابلسي	باحث وكاتب عربي له مؤلفات كثيرة منها (آيات الله في الكون) (آيات الله في الإنسان)
٢٣١	الشيخ محمود شلتوت	عالم وفقيه وإمام للأزهر الشريف له مؤلفات كثيرة
٢٣٢	الحسن البصري	عالم وفقيه عربي وإمام وحجة في الإسلام
٢٣٣	بلاشير	مستشرق له أبحاث كثيرة في القرآن الكريم ولقد نقد نظرية تؤكد له بأن أوائل السور دخيلة على نص القرآن
٢٣٤	الشيخ عبد الغني النابلسي	عالم نفس وتفسير أحلام من كتبه (تعطير الأنام في تفسير الأحلام)
٢٣٥	كارل جوستاف يونج	تلميذ فرويد العالم النفسي عارض أستاذه في كثير من النظريات في عالم الرؤى والأحلام
٢٣٦	د. مستر أزرنسكي	باحث إنكليزي في الدراسات النفسية اعتنى بدراسة النشاطات البيولوجية والفيزيولجية في الدماغ والجسم
٢٣٧	الشيخ محمد بن علي خلف الحسيني	عالم عربي وشيخ القرّاء بالديار المصرية له مؤلفات منها (إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن)
٢٣٨	شفالي	مستشرق ألماني له مؤلفات في اللغة
٢٣٩	كالفن هول	عالم نفس أمريكي استطاع أن يجمع عشرة آلاف من الأحلام على مدى عشر سنوات وقام بدراستها من كتبه (معنى الأحلام)
٢٤٠	ابن خلدون	عالم عربي مختص في علم الاجتماع وعلم النفس وله تفسيرات كثيرة حول الأحلام والرؤى. له كتاب مقدمة إبن خلدون
٢٤١	نصر بن عاصم الليثي	عالم لغة وفقيه عام ٨٩ هجري

الرقم	الاسم	العمل
٢٤٢	**ابن قيم الجوزية**	عالم كبير مشهور ومعروف درس النفس البشرية والروح ومن كتبه (الروح لابن القيم)
٢٤٣	**مستر بيرغر**	عالم طب إنكليزي مشهور اختص في دراسة الدماغ البشري أثبت أن نمط الكهرباء في الدماغ يتغير بين اليقظة والنوم
٢٤٤	**أرتميدوس الأقسوسي**	عالم نفس من أشهر من تكلموا في الأحلام وقام برحلات حول العالم مما ساعده على معرفة المفاهيم المختلفة لدى الناس
٢٤٥	**بروفيسور سير أزير ينسكي**	عالم طب وعلم نفس أول من أثبت أن بؤبؤ العين يتحرك ويتقلب بسرعة أثناء النوم
٢٤٦	**آن فارادي**	عالم نفس إنكليزي درس علم الأحلام وله آراء كثيرة حول الأمر
٢٤٧	**باتريشيا غارفيلد**	عالم نفس درس النوم والأحلام والرؤى وألف فيها مؤلفات روسي
٢٤٨	**غايل ديلاني**	عالم نفس وفيلسوف تحدَّث في علم الرؤى والأحلام بولوني
٢٤٩	**الدكتور ألن هوبسون**	عالم وطبيب أمريكي من جامعة هارفارد أول من نادى أن آليات عصبية في جذع الدماغ تقوم بصوغ الأحلام
٢٥٠	**سيبويه**	عالم لغة عربي معروف له مؤلفات في اللغة وآراء ونظريات
٢٥١	**الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**	عالم عربي مفسر له كتب عدة في الإعجاز
٢٥٢	**الإمام الزركشي**	عالم عربي وله كتب ومؤلفات كثيرة منها البرهان، ذكر عشرين وجهاً لتفسير أوائل السور

الرقم	الاسم	العمل
٢٥٣	هرشفيلد	مستشرق إنكليزي له دراسات موسعة في القرآن الكريم
٢٥٤	أحمد بن المبارك	عالم عربي فقيه له مؤلفات منها (الذهب الإبريز)
٢٥٥	الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي	عالم عربي له مؤلفات منها رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات
٢٥٦	عبد الصبور مرزوق	عالم عربي معاصر له مؤلفات كثيرة منها كتابه (عليها تسعة عشر)
٢٥٧	الدكتور فاضل السامرائي	عالم لغة معاصر له مؤلفات كثيرة من كتبه (معاني النحو)
٢٥٨	بُهل	مستشرق ألماني له مؤلفات وأبحاث في القرآن الكريم واللغة
٢٥٩	الخليل بن أحمد الفراهيدي	عالم لغة عربي
٢٦٠	سهل بن عبد الله التستري	عالم وفقيه عربي
٢٦١	الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	عالم وفقيه عربي من مؤلفاته مناهل العرفان في علوم القرآن
٢٦٢	ابن حجر العسقلاني	عالم وفقيه عربي إمام وحجة في العلم والفقه له مؤلفات كثيرة
٢٦٣	جوته	من الكتاب والمستشرقين انصف بكتبه القرآن الكريم ومن أقواله (إن تعاليم القرآن عملية ومطابقة للحاجات الفكرية)
٢٦٤	نولد كه	مستشرق ألماني له مؤلفات كثيرة في اللغة له كتاب (تاريخ القرآن)
٢٦٥	محمد عبد اللطيف ابن الخطيب	فقيه عربي من كتبه (الفرقان)

الرقم	الاسم	العمل
٢٦٦	**سعيد بن جبير**	عالم وفقيه عربي معروف له كتب في التفسير وتحدث عن فواتح السور فقال (ولو عرف الناس تأليفها تعلموا اسم الله الأعظم)
٢٦٧	**يو كاي**	من الكتَّاب المشهورين مستشرق تحدث عن الإسلام والقرآن الكريم ، كان منصفاً وعادلاً في آرائه وحكمه على القرآن الكري
٢٦٨	**هنري دكاستري**	مستشرق انكليزي له مؤلفات في دراسة القرآن من أهم أقواله (إن القرآن الكريم يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب)
٢٦٩	**واشنطن يروينج**	مستشرق انكليزي له مؤلفات في أبحاث القرآن الكريم من أهم أقواله (يحوي القرآن أسمى المبادئ وأكثرها فائدة وإخلاصاً)

مراجع
الموسوعة الكونية الكبرى

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ صحيح البخاري

٣ ـ صحيح مسلم

٤ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

٥ ـ سنن ابن ماجه

٦ ـ مسند الإمام أحمد

٧ ـ سنن الترمذي

٨ ـ سنن النسائي

٩ ـ سنن أبي داود

١٠ ـ صحيح الجامع الصغير/ للسيوطي

١١ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة/ للألباني

١٢ ـ المعجم الأوسط والكبير / للطبراني

١٣ ـ صحيح ابن خزيمة

١٤ ـ رياض الصالحين/ للإمام الحافظ النووي الدمشقي

١٥ ـ المستدرك/ للحاكم

١٦ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث الصحيحة/ للمؤلف

١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ للشيخ إسماعيل العجلوني

١٨ ـ مختصر تفسير ابن كثير

١٩ ـ تفسير ابن جرير الطبري

٢٠ ـ تفسير الفخر الرازي/ التفسير الكبير ومفاتح الغيب/ دار الفكر
٢١ ـ التفسير الوسيط/ أ ـ د وهبة الزحيلي
٢٢ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ أبي بكر الجزائري
٢٣ ـ تفسير القرآن الكريم جزء عمَّ/ محمد بن صالح عثيمين
٢٤ ـ تفسير الجلالين/ للسيوطي
٢٥ ـ صفوة التفاسير/ للصابوني الدار العصرية
٢٦ ـ كلمات القرآن الكريم/ الشيخ حسنين محمد مخلوف
٢٧ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة/ دار الفكر دمشق
٢٨ ـ التفسير الواضح الميسر/ محمد علي الصابوني
٢٩ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن ناصر السعدي
٣٠ ـ تفسير الثعالبي/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن
٣١ ـ فتح الباري/ ابن حجر العسقلاني
٣٢ ـ الروح/ ابن قيم الجوزية
٣٣ ـ كبرى اليقينيات الكونية / الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٣٤ ـ شرح النووي على مسلم/ الإمام النووي
٣٥ ـ مختار الصحاح/ دار المعارف مصر
٣٦ ـ آيات اللَّه في البحار/ للمؤلف
٣٧ ـ آيات اللَّه في السماء/ للمؤلف
٣٨ ـ آيات اللَّه في الروح والنفس والجسد/ للمؤلف
٣٩ ـ الهبوط على المريخ وبيان قدرة اللَّه/ للمؤلف
٤٠ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم/ للمؤلف
٤١ ـ موسوعة الآخرة/ للمؤلف
٤٢ ـ القرآن الكريم والعلم الحديث/ الدكتور منصور محمد حسب النبي
٤٣ ـ المنظومة الشمسية/ د. علي موسى د. مخلص الريس/ دار دمشق

٤٤ ـ إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان/ الدكتور منصور حسب النبي
٤٥ ـ الكون والحياة/ د. مخلص الريس د. علي موسى
٤٦ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ د. زكريا ياهيمي
٤٧ ـ آيات اللّه في الآفاق/ أ ـ د محمد راتب النابلسي/ دار المكتبي دمشق
٤٨ ـ الموسوعة العلمية في الإعجازالقرآني/ د. سمير عبد الحليم
٤٩ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة/ يوسف الحاج أحمد
٥٠ ـ اللّه يتجلى في عصر العلم/ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين
٥١ ـ رصيد العلم والإيمان/ الدكتور أحمد فؤاد باشا
٥٢ ـ علم الفلك والكون/ د. عواد الزحلف
٥٣ ـ تاريخ موجز للزمان/ ستيفن هوكنج/ ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي
٥٤ ـ الكون بداية ونهاية/ د. محمد الجزار
٥٥ ـ آيات اللّه الكونية في القرآن الكريم/ الدكتور محمد بن جمعة بن سالم
٥٦ ـ موسوعة الكون والفضاء والأرض/ د. موريس أسعد شربل ـ د. رشيد فرحات
٥٧ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ محمد سامي محمد علي
٥٨ ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ د. كارم السيد غنيم
٥٩ ـ آيات اللّه في السماء/ د. زغلول النجار
٦٠ ـ المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم/ د. زغلول النجار
٦١ ـ من آيات الإعجاز العلمي النبات في القرآن الكريم. جزء ٤ ـ ٥/ د. زغلول النجار
٦٢ ـ موجز تاريخ الكون من الانفجار العظيم إلى الاستنساخ البشري/ د. هاني رزق/ دار الفكر/ سورية
٦٣ ـ الموسوعة الحديثة كوكبنا في الكون/ عويدات للنشر والطباعة

٦٤ ـ كوكب الأرض/ سلسلة دليل المعرفة دار العلم للملايين
٦٥ ـ الأطلس الفلكي / محمد عصام الميداني دار دمشق للنشر والتوزيع
٦٦ ـ موسوعة الطبيعة الميسرة/ مكتبة لبنان
٦٧ ـ الموسوعة الذهبية من آدم إلى اختراع الآلات البسيطة/ مؤسسة سجل العرب
٦٨ ـ النجوم والكواكب سلسلة دليل المعرفة/ دار العلم للملايين
٦٩ ـ الأطلس العلمي فيزيولوجيا الإنسان / دار الكتاب اللبناني
٧٠ ـ جسم الإنسان/ موسوعة لاروس/ عويدات للنشر والطباعة
٧١ ـ الكون/ موسوعة لاروس/ عويدات للنشر والتوزيع
٧٢ ـ الموسوعة العلمية الحديثة/ كولين رونان الأهلية للنشر والتوزيع
٧٣ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن/ والسنة آيات اللَّه في الإنسان/ أ ـ د محمد راتب النابلسي
٧٤ ـ خلق الإنسان/ أبي الحسن سعيد بن هبة اللَّه/ دار الكتب العلمية
٧٥ ـ دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن / د. كريم حسنين ـ دار نهضة مصر
٧٦ ـ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة/ هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ مكة المكرمة
٧٧ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة/ فلينظر الإنسان إلى طعامه/ د. أحمد شوقي خليل
٧٨ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة/ أطوار الخلق وحواس الإنسان/ د. أحمد شوقي خليل
٧٩ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة الشفاء النفسي وأسرار النوم وعلم الجمال/ د. شوقي خليل
٨٠ ـ الطب النبوي/ ابن قيم الجوزية دار الفكر ـ بيروت ـ دمشق
٨١ ـ كيف نتوجه إلى العلوم والقرآن مصدرها/ د. نور الدين عتر
٨٢ ـ القرآن الكريم إعجاز تشريعي متجدد/ د. محمود أحمد الزين

٨٣ ـ مباحث في إعجاز القرآن الكريم/ أ ـ د مصطفى مسلّم
٨٤ ـ دلائل الإعجاز/ الإمام عبد القاهر الجرجاني تعليق/ د. محمد عبد المنعم خفاجي
٨٥ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي
٨٦ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي/ أ ـ د. أحمد شوقي خليل ١ ـ ٥
٨٧ ـ الإعجاز العلمي في الإسلام السنة النبوية/ محمد كامل عبد الصمد
٨٨ ـ كتاب الخبر اليقين في معجزات النبي الأمين/ د. أحمد عوض أبو الشباب ـ المكتبة العصرية
٨٩ ـ معجزات الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ/ محمد صالح مهندس
٩٠ ـ نبوءات الرسول ما تحقق منها وما لم يتحقق/ سماحة الشيخ أبو الحسن أحمد الندوي
٩١ ـ الإعجاز العلمي في السنة النبوية جزء أول/ جزء ثاني/ الدكتور زغلول النجار
٩٢ ـ معجزات محمد رسول اللَّه / محمد توفيق الحكيم
٩٣ ـ نهاية العالم/ الشيخ محمد متولي الشعراوي
٩٤ ـ دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة دار المعارف/ القاهرة
٩٥ ـ إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح. السحاب. المطر/ هيئة الإعجاز العلمي/ مكة المكرمة
٩٦ ـ أضواء على إعجاز القرآن الكريم/ د. عكرمة سعيد صبري
٩٧ ـ آيات اللَّه في الآفاق/ عبد المجيد الزنداني
٩٨ ـ غزو الفضاء بين أهل الأرض والسماء/ عبد الرزاق نوفل
٩٩ ـ النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن/ حسان شمسي باشا
١٠٠ ـ الإشارات العلمية في القرآن الكريم/ السيد كارم السيد غنيم

١٠١ ـ الإسلام وقوانين الوجود / محمد جمال الدين الفندي
١٠٢ ـ الطب محراب الإيمان/ خالص جلبي
١٠٣ ـ كل شيء عن الصحراء/ سام ويريل إيشتين دار المعارف
١٠٤ ـ أشكال الصحارى المصورة/ د. محمد مجدي تراب
١٠٥ ـ كل شيء عن الأدغال/ ارمسترونج سيبري ـ ترجمة الدكتور علي علي المرسي
١٠٦ ـ قصة الإيمان/ الشيخ نديم الجسر
١٠٧ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم/ السيد الجميلي
١٠٨ ـ الإسلام والحقائق العلمية/ محمود القاسم
١٠٩ ـ التوحيد/ د. عبد المجيدالزنداني
١١٠ ـ القرآن وعلوم العصر/ إبراهيم عراجي ـ الموسوعات العالمية
١١١ ـ روح الدين الإسلامي/ عفيف طبارة/ الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١١٢ ـ سبعون برهاناً علمياً على وجود الذات الإلّهية/ ابن خليفة عليوي
١١٣ ـ محاضرات في الإعجاز العلمي في القرآن/ د. عبد المجيد الزنداني
١١٤ ـ القرآن والعلم الحديث/ عبد الرزاق نوفل
١١٥ ـ مع اللَّه في السماء/ أحمد زكي
١١٦ ـ مجلة منار الإسلام/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/
١١٧ ـ مجلة الوعي الإسلامي/ دولة الكويت
١١٨ ـ مجلة الإعجاز العلمي/ المملكة العربية السعودية/ مكة المكرمة
١١٩ ـ مجلة أكاديمية البحث العلمي/ القاهرة
١٢٠ ـ مجلة علم وعالم/ دولة الكويت
١٢١ ـ مجلة العلوم/ دولة الكويت/ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
١٢٢ ـ المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ دولة الإمارات العربية/ دبي

١٢٣ ـ الموسوعة العالمية/ دولة الإمارات
١٢٤ ـ الموسوعة البريطانية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١٢٥ ـ الموسوعة الأمريكية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/ المجمع الثقافي
١٢٦ ـ الموسوعة العربية/ دار الفكر/ دمشق ٨ أجزاء
١٢٧ ـ الموسوعة الإسلامية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١٢٨ ـ الموسوعة البريطانية/ لعالم الطبيعة/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/ المجمع الثقافي
١٢٩ ـ مجلة نيتشر العلمية المتخصصة
١٣٠ ـ موقع سبيس دوت كوم على الإنترنت Space.com
١٣١ ـ نشرات NASA وكالة ناسا الفضائية الأمريكية
١٣٢ ـ نشرات وكالة ESA ايسا الفضائية الأوروبية
١٣٣ ـ مجلة نيو بانتشت العلمية المتخصصة
١٣٤ ـ جريدة الاتحاد الإماراتية أبوظبي/ دولة الإمارات العربية المتحدة
١٣٥ ـ جريدة الخليج الإماراتية الشارقة/ دولة الإمارات العربية المتحدة
١٣٦ ـ نشرات معهد بروكهافن الوطني/ نيويورك
١٣٧ ـ نشرات مركز هارفارد سيمبشونيان للفيزياء الفضائية
١٣٨ ـ نشرات الجمعية الفيزيائية الأمريكية
١٣٩ ـ نشرات معهد علم الفلك / جامعة كمبريدج
١٤٠ ـ الكون ذلك المجهول/ جلال عبد الفتاح
١٤١ ـ الكون بين العلم والإيمان/ محمد صبحي
١٤٢ ـ الخيوط الخفية/ محمد عيسى داود

فهرس محتويات الجزء السابع

الفصل الأول

الفصل الثاني

فهرس محتويات الجزء الثامن

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس